

فى اللهجات العربية

دكتور / إبراهيم أنيس

أستاذ بكلية دارالعلوم - القاهرة

وعضو مجمع اللغة العربية سابقاً



مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

اسم الكتاب : **في اللهجات العربية**

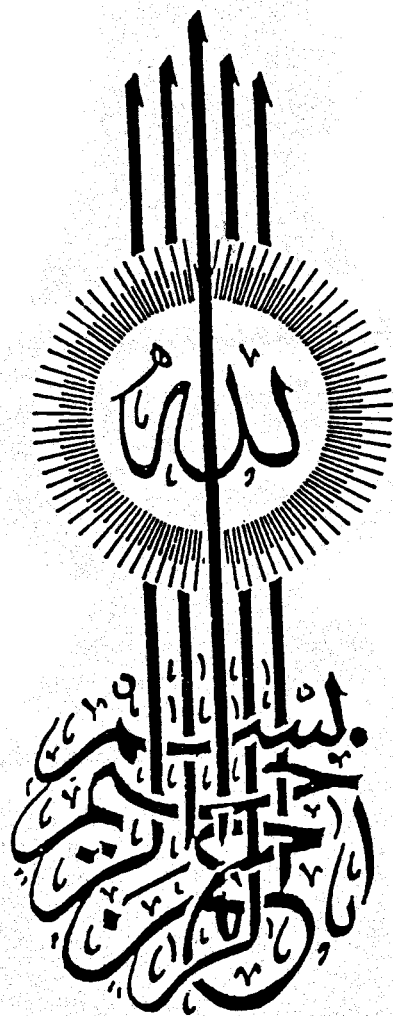
المؤلف : د. ابراهيم انيس

الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية

الطبعة : مطبعة أبناء وهبه حسان

رقم الإيداع : ٥١٤١ لسنة ٢٠٠٣

الترقيم الدولي : I.S.B.N : 977- 05 - 1974- X



بسم الله الرحمن الرحفم

مقدمة الطبعة الثالثة

مضى أكثر من اثنى عشرة سنة على ظهور الطبعة الثانية لهذا الكتاب وعدة سنوات على نفاذ هذه الطبعة . وخلال هذه المدة أشعر أن دراسة اللهجات العربفة قد نمت فى بلادنا وازدهرت ، وأصبحت الكلفاء الجامعفة تعنى بها كل العنافة ، بل خصصت لها أقسام مستقلة فى بعض الكلفاء ، ونوقشت بعض الرسائل الجامعفة التى عرضت لهذه الدراسة ، وكان آخر هذه الرسائل وأوقافها فى البحث تلك الرسالة التى نال عليها الدكتور أحمد الجندى درجة الدكتوراه من كلفة الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٥ ، وعنوانها «اللهجات العربفة كما تصورهما كتب النحو واللغة» ، وكان لى حظ الاشتراك فى مناقشتها .

ويفدولى أننا لم نعد الآن بحاجة إلى مزيد من البحث والتنقفب فى بطون الكتب القفمفة ، التى عرضت فى ثناياها اللهجات العرب بقدر ما نحن فى أمس الحاجة إلى دراسة اللهجات العربفة الفففة ، فتلك هى التى نفتقدها أو لا نزال نتطلع إليها ، ولم نقطع فىها لسوء الحظ شوطاً بعيداً برغم ما لافنا الآن من إمكانيات التسجيل الصوتى ؛ وأجهزة التجارب النطقفة . ففى بعض كلفائنا الجامعفة ، لم تستغل معامل للتجارب الصوتفة الاستغلال الكافى فى دراسة اللهجات الفففة بالبلاد العربفة . وأرجو ألا يمر زمن طوفل قبل أن نجد لافنا دراسات مستففةفة ، وبحوثاً عميقة فى هذه اللهجات الفففة كى نستكمل معرفتنا للهجات أجدافنا من العرب القفماء ، وبالله التوففق .

نوفمبر ١٩٦٥

مقدمة الطبعة الثانية

ظهر هذا الكتاب للمرة الأولى منذ ست سنوات بمثابة دعوة إلى البحث فى اللهجات العربية قديمها وحديثها ، بعد أن طال إهمالها وانصرف الباحثون عنها ، وكان بدءاً موقفاً لتلك الرحلة الطويلة الشاقة التى لا بد منها فى مثل هذه الدراسة .

وقد حفزنى على مواصلة الدراسة والبحث فى اللهجات ما لقيه هذا المجهود المتواضع من حماس وتشجيع فى الهيئات العلمية ، وما لمستته من إقبال طلبتى فى كلية دار العلوم على هذه الدراسة القديمة فى مادتها الحديثة فى تصويرها وتفسيرها ، مما جعلنى أستعين بالنابهين منهم على جمع الكثير من شواردها ورواياتها ، فاستطعنا معاً أن نجمع كل الروايات المنسوبة التى وردت فى معجم لسان العرب لابن منظور ، وفى كتاب المخصص لابن سيده ، ثم بوبناها ونظمناها على ضوء ما درسناه من نظريات صوتية حديثة ، فبدت فى آخر الأمر عملاً علمياً ضخماً ، نقوم الآن بهذيبه وتوضيح الغامض منه ، وتحقيق المبتور من أجزائه ، راجين ألا يمر زمن طويل ، قبل أن تتضح لنا معالم هذه اللهجات فى صورة دقيقة مؤكدة .

ورغم ما بذلناه حتى الآن من جهود مضنية ، لا تزال بعيدين عن الهدف الذى نتطلع إليه ، ولا تزال بعض نواحي هذه اللهجات العربية القديمة يكتنفها الظلام والغموض ، ولا سبيل لكشف هذا الظلام إلا بعد أن تتم معرفتنا ودراستنا للهجات الحديثة فى الأقطار العربية المختلفة .

ومما يبعث على شحذ الهمم ومتابعة الدراسة فى اللهجات ما اتجه إليه مجمع اللغة العربية من تشجيع هذه الدراسة والعمل على النهوض بها ، فقد خصص إحدى لجانه لدراسة اللهجات ، وضم إليها من أعضائه عدداً من العلماء الأجلاء الأفاضل الذين شرفونى بالانضمام إليهم كخبير لهذه اللجنة .

ولم تقتصر العناية بدراسة اللهجات فى السنوات الأخيرة على المحدثين من علمائنا أبناء العربية ، بل شملت أيضاً بعض المستشرقين من علماء أوروبا . ويكفى هنا أن نشير إلى ذلك المؤلف القيم الذى ظهر فى العام الماضى لأحد المدرسين

فى جامعة أكسفورد ، وهو الدكتور «رابفن» C. Rabin تحت عنوان :
(Ancient West - Arabian)

وففه فحاول المؤلف النابه البرهنة على أن غرب الجزيرة العربفة قد
انتظمتة فى العصور الجاهلفة لغة مستقلة فى خصائصها وظواهرها وتطوراتها .

ومهما فكن من الأمر فقد أطلعنا الدكتور «رابفن» على مصادر وروايات لم
نقف عليها قبل ظهور كتابه ، وكان فى عرضها دققاً أميناً ، مما فستحق له
الإعجاب والتقدير .

ونحن إذ ننشر الطبعة الثانية لكتاب اللهجات العربفة ، بعد أن نفذت الطبعة
الأولى ، نشعر بالاطمئنان على مستقبل هذه الدراسة ، ونرقب فى غبطة وسرور
نموها ونهضتها فى السنوات الأخيرة التى زادت ففها معرفتنا بكثفر من خصائص
اللهجات وتنقلات القبائل وغير ذلك من أمور فكشفت لنا بعد غموض ، واتضح
لنا بعد إبهام . وكان من الطبعف أن فظهر لهذه الدراسات التى قمنا بها خلال
السنوات الست الأخيرة أثر كبفر فى الطبعة الثانية لهذا الكتاب ، وأن ففكون لها
صدى قوى فى بعض مسائله ، مما جعلنا نزفد من الشرح والبيان فى بعض
النواحف ، ونغير أو نحور فى بعض الآراء التى جاءت فى الطبعة الأولى . وقد
راعىنا فى كل هذا الاقتصاد الذى تحتمه رغبة الناشرين من ظهور الكتاب فى
حجم معين ، كما فملفه علينا الحرص على تجنب المسائل التى لم فتم نضجها ، أو
التى لم نفرغ من بحثها .

نفع الله بهذا الكتاب الطلاب والدراسفن من أبناء العربفة ، إنه سمفع مففب
الدعاء .

سبتمبر سنة ١٩٥٢ .

إبراهفم أنفس

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحفم ، الحمد لله رب العالمفن ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلفن وبعد :

فقد ترددت زمناً غير قصفر قبل أن أقدم على نشر هذا الكتاب الذى يعرض للهجات العربفة القدفمة ، لأن البحث فى مثل هذا قد فكون من عمل الهفئات العلمفة ، ولا فقوم به فرد وحده . وذلك لتشعب الموضوع ، ووعورة الطرفق إلفه ، وما فحتاج من بحوث مستففةضة قد تنفذ أعمار الأفراد دون أن تكمل ، أو فكشف عن كل غوامضها وأسرارها .

ولكنف ففن رأفت انصراف أهل العلم فى مصر عن هذه الناففة من البحث اللغوى ، واكتفاءهم بترفد بعض الروافات الشائعة فى ثنائفا كتب التاريخ والأدب دون فهم لها ، أو نظر ففها ، أو عناية بعرضها عرضاً علمياً صحفياً مؤسساً على أحدث النظرفات التى قرررها المحدثون فى دراسة اللهجات قدفمها وحدفثها ، أقول ففن رأفت هذا أقدمت على نشر كتاب أستحث به الهمم على العناية بمثل هذه الدراسة ، راجياً ألا يمر زمن طوفل قبل أن نرى بحوثاً جلفة تكشف لنا عن كل أسرار اللهجات العربفة .

وتعد دراسة اللهجات من أحدث الاتجاهات فى البحوث اللغوفة . فلقد نمت هذه الدراسة بالجامعات الأورففة خلال القرنفن التاسع عشر والعشرفن ، حتى أصبحت الآن عنصراً مهماً بفن الدراسات اللغوفة الحدفثة ، وأسست لها فى بعض الجامعات الراففة ، فروع خاصة بدراستها ، فعنى بشرحها ، وتحلفل خصائصها وتسجفل نماذج منها تسجفلا صوتياً فبقى على الزمن .

وقد اعتمدت فى هذا الكتاب على المشهور من روافا الأقدمفن التى جاءتنا مfbورة ففناً ، وممسوخة ففناً آخر ، لم تراع الدقة فى نقلها ، بل لم تنسب فى غالب الأحيان إلى قبائلها أو بفئاتها . ولست أعرف بفن علماء العربفة على كثرتهم ، وكثرة ما كتبوه فى كل فرع من فروع اللغة ، من عنى باللهجات فأفرد لها مؤلفاً مستقلاً فجمع شتاتها ، وشرح غامضها ، وإنما هى روافا متناثرة نجدها فى بطون كتب الأدب واللغة والتاريخ .

وقد ظلت الحال هكذا حتى دوت صيحة للمرحوم حفنى ناصف بك ، في رسالته الصغيرة التي سماها : «مميزات لغات العرب» ، والتي ألقاها في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد بمدينة فيينا في أوائل سنة ١٣٠٤ هجرية ، فكانت الصيحة الأولى ؛ ولكنها لم تحفز الهمم ، ولم تسمع المتصاممين عن كل بحث جديد في اللغة . فها هو ذات قد مضى على نشرها نحو ستين عاماً ، دون أن نسمع لعالم آخر صوتاً ، أو نرى له إنتاجاً في هذا الشأن الجليل .

وقد كانت هذه الرسالة الصغيرة عمادنا في كثير مما روينا هنا ، بعد عرضه عرضاً علمياً مؤسساً على ما تقرره النظريات الحديثة في دراسة اللهجات . ولعل صيحتي لا تذهب أيضاً هباء ، ولعل جامعاتنا ومعاهدنا العلمية تعنى فيما بعد بهذه الدراسة الجليلة الشأن .

وستظل آراؤنا في اللهجات القديمة مجال الجدل والنقد ، وأحكامنا عليها أقرب إلى الترجيح منها إلى اليقين ، ما لم تؤسس على أسس علمية صحيحة ، وما لم تتبع الطريق المستقيم في دراساتها . إذ لا بد لدراسة اللهجات العربية القديمة من الاعتماد على أسس ثلاثة :

أولها : وأهمها دراسة اللهجات العربية الحديثة دراسة مستفيضة في كل البيئات العربية . وليس هذا بالأمر الهين ؛ بل ليس هذا من عمل فرد واحد ، وإنما هو من عمل الهيئات والجماعات ؛ لأنه يتطلب السفر إلى تلك البيئات ، والإقامة فيها زمناً كافياً لتعرف خصائصها ، وما امتازت به . فهناك لهجات مصرية ، وأخرى عراقية ، وثالثة شامية ، ورابعة مغربية ، وأخيراً لهجة البلاد الجزيرية في عرصنا الحالي . وفي كل بيئة من هذه البيئات لهجات حديثة يتكلم بها الناس ، وهي تشترك في بعض الصفات ، ولكنها تختلف في أمور مهمة تميز لهجة كل بيئة عن الأخرى ، حتى في قراءتهم القرآن الكريم قد نلاحظ بعض الفروق الصوتية التي تميز المصري من الشامي ، والشامي من العراقي ... وهكذا .

وربما كان السر في تباين هذه اللهجات الحديثة أنها : أولاً انحدرت من لهجات عربية قديمة متباينة . فلم تكن القبائل التي نزحت إلى هذه البيئات ذات لهجة واحدة ، بل لقد وفدت إليها في عهود الغزو الإسلامي وبعده ، ومعها لهجاتها المختلفة ، وأقامت بها وكل منها يحتفظ بخصائصه ومميزاته في لهجات التخاطب التي تأثر بها أهل البلاد المفتوحة ، وبدأوا يحذون حذوها في لهجات كلامهم وفي تخاطبهم . هذا رغم أن تلك القبائل قد احتفظت جميعها باللغة

التموزجية ، لغة الأدب والدين التي نزل بها القرآن الكريم ، فكانوا بها يكتبون ويقرأون ، ويظلمون الشعر ويخطبون . فلما خلوا إلى أنفسهم ، أو عن لهم من أمور حياتهم ما ليس بذى بال ، عبروا عنه بلهجتهم الخاصة ، دون حرج أو تردد . فكلامهم في حياتهم العادية كان يخالف إلى حد كبير لغة الكتابة والأدب ، التي كانوا يلجأون إليها في المجال الجدى من القول .

وتلك اللهجات المتباينة التي وجدت من شبه الجزيرة قد غزت بيئات مصورة يتكلم أهلها لغات غير عربية ، منها القبطي والروماني والفارسي والآرامي والبربري وغير ذلك من لغات كانت شائعة في البيئات التي تتولد عنها الفتوحات الإسلامية . وهنا كان لابد من صراع بين اللهجات الغازية واللهجات المعززة أدنى في معظم الحالات إلى اترواء اللهجات المعززة ، أو القضاء عليها قضاء تاماً .

ولكنها لم تنزرو أو لم يقض عليها إلا بعد أن تركت بعض الآثار في اللهجات الغازية من الفاحية الصوتية على الأقل . فترك القبطية قبل اتروائها بعض الآثار الصوتية في السنة المصرية حين تكلموا اللهجات العربية . وإذا علمنا أن القبطية ظلت يتكلم بها في بعض التواحي المصرية حتى القرن السابع عشر (١) ، استطعنا أن ندرك إلى أي مدى يمكن أن تكون لهجاتنا الحديثة قد تأثرت ببعض الآثار القبطية من الفاحية الصوتية .

وقد حدث ما يشبه هذا في البيئة العراقية والأشلمية والمغربية وهكذا . وإذا أضيف إلى كل هذا أن اللهجات العربية الحديثة قد تطورت في بيئاتها المختلفة تطورات مستقلة ، لما أحاط بها من ظروف اجتماعية مختلفة في كل بيئة من تلك البيئات ، ولما طرأ عليها بعد الفتح العربي من ظروف سيبلسية اختلفت أيضاً في تلك البيئات ، فهناك آثار فارسية ، وأخرى تركية ، وثلاثة أوربية (٢) (فرنسية وإنجليزية بل وإنجليزية أيضاً) ، إذا تذكرنا كل هذا عرفنا لماذا اختلفت اللهجات العربية الحديثة في بيئاتها ، ورأينا هذا الاختلاف أمراً طبيعياً .

ومع هذا فقد اختلفت هذه اللهجات الحديثة ببعض الآثار القديمة ، التي يمكن أحياناً إرجاعها بسهولة إلى لهجات عربية قديمة ، وأحياناً يصعب هذا إلا بعد بحث دقيق ، ودراسة عميقة .

(١) Mallom صفحة ١

(٢) ظهر أثر هذه اللغات الأوربية في المدن السلطانية بصفة خاصة : لا سيما فيما يتعلق باستعارة الكلمات الأجنبية والاستعمالها في لهجات التخاطب .

فمن الممكن مثلاً أن يعزى النطق الخاص بالقاف فى نواحى بنى سوف والفىوم وبعض مفرفة الجفة وأهل أبفار ورشف وضواحفها والمحلة الكبرى والبرلس وبلبس ، للهفة فى قرش .

ومن الممكن أيضاً أن ننسب إبدال الهمزة عفنأ بفن سكان البواى المصرفة إلى لهفة نمف .

ومن الممكن أن ننسب ما نسمعه الآن من بعض أهل الشام والعراق حفن فقفون على الفاء المرفوطة «بائف» ، إلى اللهجات الفمفة القفمفة أو بفبار أوق لهفة حمفر .

ومع الممكن أن نعزو كسر حرف المضارعة ذلك الأمر الشائع فى معظم اللهجات المصرفة ، إلى قبائل مثل بفراء من قضاة .

ومن الممكن أن ننسب الصيغة العلمفة «مفون» إلى لهفة نمف الفى روى عنها مثل هذا .

ومن الممكن أن نعزو مفنا إلى الفسهل فى الهمزة ، إلى القبائل الحجازفة .

ومن الممكن أن ننسب ما هو معروف عن نواحى المحلة الكبرى وما حولها وجزرفة بنى نصر وأبفار وكثفر من مفرففى البخرة وبنى سوف من مفلفم إلى قطع أواخر الكلمات حفن الوقوف ، إلى لهفة طى الفى عرفت بهذا .

ومن الممكن أن ننسب الإمالة المشهورة فى كثرفر من نواحى الرف المصرى إلى قبائل مثل نمف وأسف .

فنحن نرى من هذا أن كثرأ من الصفات الفى نلحظها الآن فى لهجاتنا الحففة فمكن - بفف الفرافة والفمفصف - إرفاعها إلى لهجات عربفة قفمفة .

ولكمال الكشف عن أسرار اللهجات الحففة ، لابد من فرافتها فرافة علمفة صالحة ، وفسفل نماذج منها فسفلأ صوفأ ، لفعرف أولاً ما ففصف بف كل لهفة من خصائص . هذا وفرافتنا لها ففب أن فبأ وصففة ، نشرحها ونسفلها ونحلل أصواتها وكلماتها ، فون الفعرض فى الففء إلى أى نوع من المقارنات ، أو الحكم على أفة صلة بلهفة قفمفة ، فافا فرغنا من الفرافة الوصففة الفللفلفة لكل لهفة من اللهجات الحففة فكون قد ففمنا أغراضأ جلفة : منها فسفل لهجاتنا الفى فكون مرلفة فارففة من ففائنا الففماعفة ، ومنها إشباع رغبة العلماء منا فى الفرافات الأكافمفة البخرة للهجات الحففة ، ثم بفف هذا وفوق هذا فصبح فلك الفرافة فواف أو مادة فسفلها فى فرافة اللهجات العربفة القفمفة .

ثانيها : دراسة القراءات القرآنية دراسة واسعة ، غير مكتفين فيها بما روى فى بطون الكتب ؛ بل يجب أن تطبق تلك الروايات على ما نسمعه فعلا من أفواه المجيدين للقراءات فى البيئات العربية المختلفة ، مستخدمين فى دراستنا النظريات الصوتية الحديثة ، والمقاييس والآلات التى تستخدم فى معامل علم الأصوات .

هذا إلى جانب دراسة القراء وما روى عنهم ، والبيئات التى تأثروا بها أو نشأوا فى كنفها ، وما اختلطوا به من قبائل عربية ، ثم نستخرج من هذه الدراسة ما مرجعه فن القراءات ، أو اجتهدا القدماء من القراء ، وما يمكن أن يعزى إلى لهجة قديمة أبيح القراءة بها ، أو ببعض خصائصها . فقد احتفظت لنا القراءات القرآنية بعناصر مهمة مرجعها اختلاف اللهجات العربية القديمة ، ولابد من نسبتها إلى قبائلها أو بيئاتها .

ثالثها : جمع الروايات المتناثرة فى بطون اللغة والأدب ، مما يمت إلى اللهجات القديمة بصلة ، ثم تجميعها وتحقيقتها وإصلاح ما فسد منها فى رواية مبتورة ، أو رواية ممسوخة ، سالكين طريقة تتبع السند التى عنى بها علماء الحديث لنميز الحق من الباطل ، والصحيح من الزائف . هذا إلى دراسة تاريخية مستفيضة لتقلبات القبائل قبل الإسلام وبعده ، وبيئاتها الاجتماعية فى العصور المختلفة ، وما خالطت من أمم أو شعوب .

نرى من كل ما تقدم أن دراسة اللهجات القديمة ، والكشف عن أسرارها ، ونسبتها إلى قبائلها ليس بالأمر الهين اليسير ؛ لأنه لابد قبل البدء بها من جمع المادة بها ، وهذا الجمع يتطلب جهوداً عظيمة يجب أن يقوم بها عدد من المشتغلين باللغات .

فإذا جمعت تلك المادة ، بدأنا مرحلة المقارنة ، واستنباط القوانين التى خضعت لها اللهجات العربية فى عصورها الأولى ، وقوانين تطورها بعد الفتح الإسلامى .

ولست أدعى فى كتابى هذا أنى قمت بقسط كبير مما ذكرت ، أو أنى اتبعت الطريق العلمى الدقيق التى يجب اتباعها فى دراسة اللهجات ؛ ولكن ما لا يدرك ؛ كله لا يترك كله .

ولعل المستقبل يكفل لنا بمساعدة الهيئات العلمية أن نجند لهذا العمل الضخم جميع المعنيين بمثل هذه الدراسات ، حتى تتم وفق الأصول العلمية الصحيحة .

إبراهيم أنيس

الفصل الأول

- ١ -

اللهجة (*)

اللهجة فى الاصطلاح العلمى الحديث هى مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة خاصة ، ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة . وبيئة اللهجة هى جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات . لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً فى مجموعة من الظواهر اللغوية التى تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث ، فهما يتوقف على قدر الرابطة التى تربط بين هذه اللهجات .

وتلك البيئة الشاملة التى تتألف من عدة لهجات ، هى التى اصطلح على تسميتها باللغة . فالعلاقة بين اللغة واللهجة هى العلاقة بين العام والخاص . فاللغة تشمل عادة على عدة لهجات ، لكل منها ما يميزها . وجميع هذه اللهجات تشترك فى مجموعة من الصفات اللغوية ، والعادات الكلامية التى تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات .

وقد كان القدماء من علماء العربية يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة «اللغة» ، حيناً ، وب«الحن» ، حيناً آخر . نرى هنا واضحاً جلياً فى المعاجم العربية القديمة وفى بعض الروايات الأدبية . فيقولون مثلاً : الصقر بالصاد من الطيور الجارحة وب«الزأى لغة (بضم اللام وكسرهما) . وقد يروى لنا أن إعرابياً يقول فى معرض الحديث عن مسألة نحوية : «ليس هذا لحنى ولا لحن قومى» . وكثيراً ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم ولغة طى ولغة هذيل ، ولا يريدون بمثل هذا التعبير سوى ما نعتيه نحن الآن بكلمة «اللهجة» .

ويظهر أن العرب القدماء فى العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونوا يعبرون عما نسميه نحن «باللغة» إلا بكلمة «اللسان» ، تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى فى معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية . وقد يستأنس لهذا رأى

(*) "Dialect"

بما جاء فى القرآن الكريم من استعمال كلمة «اللسان» وحدها فى معنى اللغة نحو ٨ مرات .

أما الصفات التى تتميز بها اللهجة فتكاد تنحصر فى الأصوات وطبيعتها ، وكيفية صدورها . فالذى يفرق بين لهجة وأخرى ، هو بعض الاختلاف الصوتى فى غالب الأحيان . فيروى لنا مثلاً أن قبيلة تميم كانوا يقولون فى «فرت» ، «فرد» ، كما كانوا ينطقون بالهمزة عينا . كما يروى أن «الأجلح» وهو الأصلع ينطق بها «الأجله» عند بنى سعد .

وتتميز بيئة اللهجة بصفات صوتية خاصة تخالف كل المخالفة أو بعضها ، صفات اللهجات الأخرى فى اللغة الواحدة . غير أن اللهجة قد تتميز أيضاً بقليل من صفات ترجع إلى بنية الكلمة ونسجها ، أو معانى بعض الكلمات : فيروى أن بنى أسد كانوا يقولون فى «سكرى» ، «سكرانة» ، وأن بعضاً من تميم كانوا يقولون «مديون» بدلا من «مدين» . كما تذكر المعاجم أن كلمة «الهجرس» تعنى القرد عند الحجازيين ، وتعنى الثعلب عند تميم . ولكن يجب أن تكون هذه الصفات الخاصة التى مرجعها بنية الكلمات ودلالاتها ، من القلة بحيث لا تجعل اللهجة غريبة على أخواتها ، بعيدة عنها ، عسرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى فى اللغة نفسها . لأنه متى كثرت هذه الصفات الخاصة ، بعدت باللهجة عن أخواتها ، فلا تلبث أن تستقل وتصبح لغة قائمة بذاتها . ويكفى أن نبحث فى اللغة العبرية ، شقيقة اللغة العربية عن نظائر للكلمات العربية الآتية :

[رجل ، فتى ، العم والخال ، الجبل ، البحر ، النجم ، الشجر] ، ونحو ذلك من كلمات كثيرة الشيوخ فى لغتنا ، حتى ندرك أن كلا من اللغتين الشقيقتين قد استقلت بمجموعة كبيرة جداً من الكلمات . فإذا أضيف إلى هذا ما اختلفت فيه هاتان اللغتان من حيث صيغ الأفعال وأنواع الجموع وأداة التعريف ، وغير ذلك من ظواهر لغوية كثيرة ، استطعنا أن ندرك لماذا يعتبرها اللغويون لغتين مستقلتين .

فلا بد أن تشترك لهجات اللغة الواحدة فى الكثرة الغالبة من الكلمات ومعانيها ، وفى معظم الأسس التى تخضع لها بنية الكلمات ، وفوق هذا وذاك فى تركيب الجمل . فإذا اختلفت معانى معظم كلماتها ، واتخذت أسساً خاصة فى بنية كلماتها ، وقواعد خاصة فى تركيب جملها ، لا تسمى حينئذ لهجة ، بل لغة مستقلة ، وإن ظلت تتصل وغيرها بوشائج تجعلها تنتمى إلى فصيلة واحدة من

الفصائل اللغوية .

فالفصيلة اللغوية تتألف من عدة لغات ، ترجع جميعها إلى أرومة واحدة ، وقد احتفظت كل منها بصفات يسهل على اللغوى إرجاعها إلى ذلك الأصل القديم . والعناصر التى تحتفظ بها لغات الفصيلة الواحدة هى تلك العناصر التى لا يصيبها إلا قليل من التغير رغم مرور الزمن عليها ، ورغم تطور فروع الفصيلة الواحدة . وتلك العناصر القديمة تكاد تنحصر فى الأمور الآتية :

- ١ - الضمائر .
 - ٢ - الأعداد .
 - ٣ - أسماء الإشارة والموصول .
 - ٤ - الاشتراك فى معانى نسبة كبيرة من الكلمات ذات الدلالات القديمة كالأرض والسماء وألقاب الأسرة كالأب والأم والأخ والابن .
 - ٥ - أدوات الربط بين أجزاء الجملة .
 - ٦ - الاشتراك العام فى كيفية تركيب الجمل .
- أما تلك الصفات الصوتية التى تميز اللهجات ، فيمكن أن تلخص فى النقاط الآتية :

- ١ - اختلاف فى مخرج بعض الأصوات اللغوية .
 - ٢ - اختلاف فى وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات .
 - ٣ - اختلاف فى مقياس بعض أصوات اللين^(١) .
 - ٤ - تباين فى النغمة الموسيقية للكلام .
 - ٥ - اختلاف فى قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة ، حين يتأثر بعضها ببعض .
- تلك هى أهم الصفات التى نلاحظ بعضها أو كلها بين لهجات اللغة الواحدة . وليس من الضرورى أن نجد كل هذه الفروق ممثلة فى لهجات لغة من اللغات ، بل قد نشهد بعضاً منها فقط .

(١) أصوات اللين اصطلاح علمى حديث لما يسمى بالحركات طوليلها وقصيرها ، انظر للمؤلف كتاب « الأصوات اللغوية » صفحة ٣٠ .

وتتباعد اللهجات أو تتقارب بعضها من بعض ، على قدر اشتغالها على الصفات السابقة ، وعلى قدر شيوع تلك الصفات . فقد يكون للغة الواحدة لهجات متقاربة ، لا يفرق بين لهجة وأخرى منها سوى صفتين أو ثلاث من تلك الصفات ، في حين أن لهجات بعض اللغات متباعدة لا تكاد تستبين للسامعين ، ولا يكاد يفهما كل الأفراد في شعب من الشعوب .

ومن العسير أن نضع حداً أدنى للفروق بين لهجات اللغة الواحدة ، متى وجد امتازات لهجة عن أختها ، أو قيل إن هذه لهجة وتلك لهجة أخرى ، وكلاهما في لغة واحدة . نعم من العسير وضع هذا الحد الأدنى ، لأن عملية النطق ليست إلا نشاطاً عضلياً يختلف أدأؤه باختلاف أفراد البيئة اللغوية الواحدة . وقد برهنت التجارب الدقيقة التي قام بها علماء الأصوات اللغوية على أنه لا يكاد يوجد شخصان في بيئة واحدة ينطقان نطقاً متماثلاً تمام التماثل ، بل لابد أن تلحظ الآن المدربة بعض الفروق الصوتية الدقيقة . وقد ظهر هذا جلياً حين سجل نطق بعض الأفراد في البيئة اللغوية الواحدة . بل إن من العلماء من يؤكدون أن المرء نفسه يختلف نطقه بعض الاختلاف في كل مرة يتكلم فيها ، وإن اشتركت الكلمات نفسها في قوله . وذلك لأن عضلات النطق لا تؤدي عملها بالصورة نفسها في كل مرة . على أن مثل هذه الفروق الدقيقة بين نطق المرء ونفسه في ظرفين متماثلين ، أو بين أبناء اللهجة الواحدة ، ليست من الأهمية في الدراسة اللغوية بحيث يعنى بها ، ويحللها ويشرحها . وإنما يكفي اللغوي عادة بملاحظة تلك الصفات العامة التي تميز لهجة من اللهجات ، والتي يشترك فيها كل أفراد تلك اللهجة ، وهي الصفات التي نراها ممثلة دائماً في كلامهم ، وتصدر عنهم بالسليقة دون تكلف أو تعمد .

هذا إلا أن الظروف الاجتماعية في البيئة الواحدة قد تولد أنواعاً من اللهجات الخاصة كتلك التي نراها بين أصحاب حرفه من الحرف أو بين اللصوص وطريدي القانون ، أو بين طائفة من الناس قد انعزلت عن المجتمع لسبب ديني أو سياسي .

وهكذا لا يكاد ينتهي مثل هذا التشعب في اللهجات . لهذا يكفي المحدثون في غالب الأحيان بالنظر إلى صفات اللهجة العامة ، تلك الصفات التي تنتظم جميع الأفراد في منطقة جغرافية معينة .

ولهذا كله كان من العسير تحديد الحد الأدنى الذي تتميز به اللهجات ، وإنما

يمكن أن يقال إنه متى برزت صفات خاصة ، واتضحَت للسامعين ، وظهر اختلافها عن صفات البيئات الأخرى للغة الواحدة ، أمكن القول أن هناك لهجة قد نشأت وتميزت ، وندرس حينئذ على أنها لهجة متميزة . وليس هناك رابط بين اللهجة الواحدة ككتلة متميزة ، وبين سعة بيئتها أو عدد سكانها . فقد تتكون لهجة مستقلة في بيئة جغرافية ضيقة قليلة السكان . غير أننا نلاحظ بصفة عامة أن اللهجات العربية القديمة كانت منعزلة في بيئات ضيقة قليلة السكان ، في حين أن اللهجات الحديثة قد اتسعت رقعتها ، وكثر المتكلمون بها .

فإذا وجد في بيئة اللهجة الواحدة منطقة صغيرة ذات خصائص متميزة تخالف ما يشيع في هذه اللهجة من صفات ، كأن نجد قرية تنطق بالقاف نطقاً يشبه الجيم غير المعطشة في وسط مديرية ينطق فيها بهذه القاف همزة ، سميت مثل هذه القرية جزيرة لغوية Speech-Island . ويعنى اللغوى الحديث بمثل هذه الجزائر اللغوية عناية كبيرة في دراسة اللهجات ، ويحاول أن يتعرف تاريخ هذه القرية والسفر في احتفاظها بمثل هذا النطق .

- ٢ -

كيف تتكون اللهجات

هناك عاملان رئيسيان يعزى إليهما تكون اللهجات في العالم ، وهما :

(أ) الانعزال بين بيئات الشعب الواحد .

(ب) الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات .

وقد شهد التاريخ نشوء عدة لغات مستقلة للغة الواحدة ، نتيجة أحد هذين العاملين أو كليهما معاً .

فحين تنصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها ، وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية ، أو اجتماعية ، نستطيع الحكم على إمكان تشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات عدة . فقد تفصل جبال أو أنهار أو صحارى أو نحو ذلك ، بين بيئات اللغة الواحدة . ويترتب على هذا الانفصال قلة احتكاك أبناء الشعب الواحد بعضهم ببعض ، أو انعزالهم بعضهم عن بعض ، ويتبع هذا أن تتكون مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة ، التي لا تلبث بعد مرور قرن أو قرنين أن تتطور تطوراً مستقلاً ، يباعد بين صفاتها ، ويشعبها إلى لهجات متميزة ، إذ لا بد من تطور الكلام وتغييره على مرور الزمن . ولكن الطريق الذي يسلكه الكلام في هذا التطور يختلف من بيئة إلى أخرى ؛ لأن ظروف الكلام تختلف بين البيئات المنعزلة .

ولو أمكن أن تتحد تلك الظروف لاتخذ الكلام طريقاً واحداً في تطوره ، وشكلاً واحداً في تغييره ، ولظلت البيئات المنعزلة ذات لهجة واحدة لا تتشعب إلى صفات متباينة ، ولكن الواقع المشاهد أن البيئات متى انعزلت أشكالاً متغايرة في تطور لهجاتها ؛ فليس للانعزال الجغرافي وحده كل الأثر في تكون اللهجات ؛ بل يجب أن يضم إليه الانعزال الاجتماعي ، واختلاف الظروف الاجتماعية بين البيئات المنعزلة ، فمن بين هذه البيئات المنعزلة ما تتخذ فيه العلاقة بين أفراد الأسرة شكلاً خاصاً ونظماً خاصاً ، ومنها ما قد تشتهر فيه مهنة خاصة ، أو تتصف بطبيعة خاصة في تربتها تصلح لنوع خاص من الزراعة أو الصناعة . فأبناء البيئات الزراعية لهم من الظروف الاجتماعية ما يخالف ظروف أبناء

البيئات الصناعية أو التجارية .

فتلك الظروف الاجتماعية التي لا تكاد تقع تحت حصر ، هي التي تساعد الانعزال الجغرافي على اختلاف الطريق الذي يسلكه الكلام في تطوره .

وكما أن هناك اختلافاً بين الظروف الاجتماعية ، في البيئات المنعزلة من الأمة الواحدة ، هناك عوامل اشتراك بينها جميعاً ، قد ترجع إلى رابطة سياسية أو نعة قومية ، أو اتجاه خاص في التفكير . وتلك العوامل المشتركة بين بيئات الأمة الواحدة ، هي التي تحافظ على استمرار نوع من الوحدة بينها ، وتعزّل من ذلك التغير الذي قد يباعد بين بيئتها . ولا يزال الأمر بين عوامل انفصال ، وعوامل اتصال ، هذه تباعد بين اللهجات ، وتلك تقرب بينها . ولكن الغلبة في جميع الأمثلة التاريخية كانت دائماً لعوامل الانفصال في آخر الأمر ، فتشعبت اللغات إلى لهجات ، واستقلت اللهجات وتميزت بعضها عن بعض . ولكن كان لابد لهذا الشعب من زمن طويل حتى يتحقق وجوده .

وخير مثل يمكن أن يضرب لهذا الانعزال الذي يشعب اللغة الواحدة إلى لهجات ، تلك اللهجات العربية القديمة في جزيرة العرب قبل الإسلام . وأحدث الأمثلة لهذا الانعزال ما حدث للإسبانية والإنجليزية حين انتشر كلاهما في بقاع بعيدة ، الأولى في أمريكا الجنوبية ، والثانية في أمريكا الشمالية . وبدأنا الآن نلاحظ فروقاً صوتية بين إسبانية أوربا وإسبانية أمريكا ، وإنجليزية أوربا وإنجليزية أمريكا .

فانتشار اللغة الواحدة في بيئات منعزلة يكون لهجات ، لا تلبث أن تستقل وتتميز بصفات خاصة .

أما العامل الرئيسي الثاني لتكوين اللهجات فهو الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة . فقد يغزو شعب من الشعوب أرضاً يتكلم أهلها لغة أخرى ، فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزوة ، وتكون النتيجة عادة إما القضاء على إحدى اللغتين قضاء يكاد يكون تاماً ، أو أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من كلتا اللغتين الغازية والمغزوة ، يشتمل على عناصر من هذه وأخرى من تلك .

وقد حدثنا التاريخ عن أمثلة كثيرة للصراع اللغوي . فقد غزا العرب جهات كثيرة متعددة اللغات واستطاعت اللغة العربية آخر الأمر أن تصرع تلك اللغات في مهدها ، وأن تحل محلها . فقد تغلبت على الآرامية في العراق والشام ، وعلى

القبطية في مصر ، والبربرية في بلاد المغرب ، والفارسية في بعض بقاع مملكة فارس القديمة .

كما يحدثنا التاريخ أن غزو الرومان لجهات كثيرة في أوروبا ، جعل الرومانية تدخل محل عدة لغات كان يتكلم بها وفي تلك الجهات .

وقد استعرض المحدثون من علماء اللغات الأمثلة التاريخية للصراع اللغوي فحلوها أنواعاً ، وقد رأوا أن نتيجة الصراع تختلف حسب كل نوع وظروفه :

١ - فهناك غزو كان الغزاة فيه قليلي العدد ، قد اقتصر على جيش قوى كامل العدد ، ظهر تنوُّفه ساعة القتال ، قلما وضعت الحرب أوزارها ، وبدأ الغزاة حياة سلمية مع أهل الأرض المغزوة ، ظهرت قلتهم ، وضعف أثرهم ، وبدأ المستوطنون منهم يهجرون لغتهم الأصلية ، متأثرين بلغة البيئة الجديدة . غير أن اللغة المغزوة قد تستعير في مثل هذه الحالة بعض الكلمات والأساليب من اللغة الغازية ، كذلك التي تعبر عن نظام الحكم ، وأمور الجيش ونحو ذلك . وخير مثل لهذا غزو النورمنديين لإتجلترا في القرن الحادي عشر ، إذ تغلبت اللغة الإنجليزية على لغة الغزاة بعد زمن ما ، وقد تركت النورماندية للقرنسية آثاراً ضئيلة باللغة الإنجليزية . ويطول زمن الصراع أو يقصر في مثل هذه الحالة ، على حسب قرب اللغتين الغازية والمغزوة إحداهما من الأخرى ، وعلى قدر اعتزاز الغزاة بمواطنهم الأصلي ، وتمسكهم بتقاليدهم وعاداتهم ، ومقدار اختلاطهم بالشعب المغزو .

٢ - وهناك غزو كثر الغزاة فيه ، وتبعه موجات من هجرات لشعب الغازي ، جاءت بطوائف كثيرة من الناس ، يستعمرون الأرض ، ويشتركون في مهنتها وحرفها ، ويقسمون الرزق من مواردها ، زراعة أو صناعية ، فلا يدعون مجالاً لاجتلاب الخير إلا طرْفوه ، ولا مرزاً للحصول على ثمن إلا أسرعوا إليه .

وفي مثل هذه الحالة نرى الغزاة يكونون الطبقة العليا والوسطى ، في حين أن من قهرروا في عقر دارهم يكونون الطبقة الدنيا ، تلك الطبقة الضعيفة المقابلة التي تعز بصفتها الغالب ، ويكل ما جاء به ، ومن بين تلك اللغة . فلا تلبث اللغة المغزوة في صراعها إلا زمناً قصيراً بعده تنهزم تاركة آثاراً ضئيلة جداً في اللغة الغازية التي تشيع بين الناس ، وتصبح لغة الخاص والعالم . وتكاد تنحصر تلك الآثار التي تخلفها اللغة المغزوة في صفات صوتية خاصة ، أو بضع كلمات تعبر عن مهن حقيرة ، أو عن أشياء اختصت بها البيئة المغزوة من حيوان أو نبات . وخير مثل لهذا ، غزو الأنجلوساكسون لبلاد الإنجليز قديماً ، ذلك الغزو الذي

قضى على اللغة الكلتية، القديمة التى تركت آثاراً ضئيلة جداً فى اللغة الإنجليزية الغازية .

٣ - أما هجرة شعب إلى أرض معمورة ، دون غزو منظم تقوم به جيوش محاربة ، وإنما الأمر أمر منافسة فى طلب العيش ، فقد حدثت أمثلة له فى العصور التاريخية ، حين هجر قوم من الساميين إلى بلاد ما بين النهرين ، وكونوا على أنقاض السومريين ، تلك المملكة التى عرفت فيما بعد بمملكة البابليين والآشوريين . وقد قصت هذه الهجرة السامية على اللغة السومرية بعد أن تركت فى اللغة السامية آثاراً ، وأحدثت بها أحداثاً جعلتها تباين أخواتها السامية فى جهات أخرى .

واحتكاك اللغات الغازية ومعها لهجاتها المتباينة ، باللغات المغزوة التى تشتمل على لهجات أيضاً ، يولد لنا أنواعاً جديدة من اللهجات . فنحن حين نستعرض اللهجات العربية الحديثة ، نراها قد اتخذت فى مصر شكلاً من الأشكال يباين ذلك الذى اتخذته فى العراق أو الشام أو بلاد المغرب .

ويمكن أن تعزى تلك المباينة بين اللهجات العربية الحديثة إلى اختلاف لهجات الغزاة من العرب ، وإلى التطور المستقل فى تلك البيئات الجديدة ، وفوق هذا وذاك إلى أثر اللغات الأصلية فى هذه البيئات . فقد تركت القبطية قبل زوالها آثاراً فى العربية المصرية ، كما تركت الآرامية آثاراً مباينة فى عربية بلاد الشام ، وكما تركت البربرية آثاراً أخرى فى عربية بلاد المغرب وهكذا .

من أجل هذا نشهد الآن لهجات متباينة فى البلاد العربية ، ويجب أن نعمل جاهدين على التقريب بينها .

- ٣ -

وحدة النطق في البلاد العربية

نزحت اللغة العربية من شبه الجزيرة مع الفتوح الإسلامية واستقرت في بيئات معمورة جديدة كانت أهلة بسكان يتكلمون لغات متباينة ، بعضها قريب الشبه بلغة الفاتحين والأخرى لا تكاد تمت إليها بصلة . وبدأ الصراع اللغوي يتخذ صوراً مختلفة في تلك البيئات المغزوة ، فهو هزيل حيناً وعنيف حيناً آخر ، حتى تم الفتح واستقرت الدولة العربية وكان أن انتظمت اللغة العربية تلك النواحي التي تأثرت بالثقافة العربية الإسلامية ، والتي تعرف الآن بالدول العربية الشقيقة .

وقد نزحت اللغة العربية إلى تلك البيئات المتعددة في صورتين : إحداهما موحدة منسجمة وتلك هي لغة الآثار الأدبية والقرآن الكريم ، تلك اللغة النموذجية التي نمت وازدهرت قبل الإسلام في بيئة مكة والحجاز ، والأخرى تشتمل على تلك الصفات الكلامية التي امتازت بها لهجات القبائل المتباينة إبان الفتوح الإسلامية .

وقد ظلت اللغة الأدبية موحدة في البيئات العربية الجديدة زمناً طويلاً لم يصبها إلا القليل من التغيير حين استقلت هذه البيئات بعضها عن بعض ، ولكنها كانت دائماً مفهومة وفي متناول المثقفين من الناس الذين كانوا ولا يزالون القلة في تلك البيئات ، كما ظلت الآثار الأدبية القديمة نماذج تحتذى ويعتز بها وتقوم على دراستها والعناية بها تلك القلة من الناس في جميع عصورنا التاريخية .

ورغم ذلك الاستقلال السياسي الذي أصاب الدول العربية في عصور الانحلال ، فقد ظل الاتصال الثقافي وثيقاً ، يكتب المصري للعراقي كما يكتب الشامي للمغربي ، فيقرأ بعضهم لبعض ويعجب بعضهم بمؤلفات بعض ، لأن أداة الكتابة كانت واحدة أو تكاد تكون واحدة ، ومحور الثقافة متحد بين الجميع إذ يجمعهم دين واحد وتقاليد متحدة إلى حد كبير .

وكان المصري يرحل إلى بيئة بغداد ليقرأ القرآن على قارئ مشهور ، أو ينزح المغربي أو الشامي إلى الديار المصرية يقرئ بعض الناس ما تيسر من كتاب الله . هذا إلى أن تدوين تلك المؤلفات في كل نواحي الثقافة قد حد من تطور

تلك اللغة وتغيرها ، وجعل منها أداة مشتركة بين البلاد العربية . وقد سلمت من طفرات التطور والتغير لأن الآثار الأدبية التي سجلت بها في العصور الأولى للإسلام قد ظلت بمثابة الحراس عليها ، إذ اتخذتها كل العصور مثلها العليا ، يهدف احتذاءها كل متعلم .

أما لغة الكلام وأحاديث الناس في شلونهم العامة وأداة التخاطب بينهم في التافه من القول ، فقد اتخذ صورة خاصة في كل بيئة من البيئات العربية . قالناس في أغانيهم وفي أسواقهم وبين المرء وأهله ، وفي الحديث إلى أطفالهم وأجيالهم الناشئة قد اصطنعوا لهجات متباينة ، منها انحدرت تلك اللهجات العربية الحديثة التي نشاهدها الآن في البلاد العربية ، والتي نلقبها حيناً بالعامية وأخرى بالدارجة ، دون أن نحفل بها أو بدراسة خصائصها ، بل تركناها تنمو في أقواله الكثرة من الناس وتتطور مع الزمان تطوراً مستقلاً في كل بيئة من البيئات العربية ، حتى أصبحت لغة سليقة يتحدث بها المرء دون شعور بخصائصها .

وليس مما نهدفه هنا البحث عن كيف نشأت لهجات الكلام في البيئات العربية ، وكيف تباينت هذا التباين الذي يباعد بين أبناء ثقافة وتقاليد متحدة الأصول ، بل يكفي أن نشير إلى أن الغزاة من العرب ومن تبعوهم في الهجرات الكثيرة قد جاءوا بلهجات عربية قديمة اختلفت بعض الاختلاف .

وتلك اللهجات المختلفة هي التي صرعت لغات الكلام في البيئات الجديدة وحلت محلها بعد قرن أو قرنين من الزمان ، ولكن لا في صورتها الأصلية ، بل في صورة جديدة من بعض النواحي ، نتيجة صراعها مع تلك اللغات المغزوة التي لم تسلم قيادها إلى اللغة الغازية إلا بعد أن تركت بها بعض الآثار وصبغتها بصبغة خاصة . وقد اختلف الصراع اللغوي شدة وضعفاً في البيئات المفتوحة ، وحيث كان الصراع هزئلاً ضعيفاً شهدنا اللغة العربية أو لهجات الكلام فيها تخرج من مثل هذا الصراع سالمة لم يمسسها ضرر ، وهو ما يحدث في الجهات القريبة من شبه الجزيرة .

أما فيما بعد من الجهات فقد كان الصراع غنياً ، خرجت منه اللغة الغازية مشوهة لا نكاد نتبين فيها كثيراً من صفاتها الأصلية . هذا إلى أن الصراع كان بين العربية ولغات متباينة ، مما جعل الأثر المتروك في اللغة الغازية متبايناً أيضاً .

فإذا أضيف إلى هذا أن البلاد العربية قد استقل بعضها عن بعض بعد سقوط الدولة العباسية ، وأن لهجات الكلام فيها قد أهملت وتركزت شأنها تنمو في الأقوال

وتورث إلى الأجيال الناشئة في صور جديدة دون حد من هذا التطور المستقل ، أدركنا السر فيما نشاهده الآن من فروق لغوية بين لهجات الكلام في البيئات العربية .

تلك هي الحقيقة التي لا نستطيع أن نفر منها ، بل يجب أن نواجهها في شجاعة ، وأن نفكر كيف نقرب بين هذه اللهجات حين ينطق أهلها جميعاً لغة واحدة هي اللغة الفصيحة .

واللغة من أقوى الدعائم على التوثيق بين الأفراد في الشعوب ، إن لم تكن أقواها . وأوضح العناصر اللغوية التي توحد بين البيئات تلك التي تتعلق بالناحية الصوتية منها ، لا سيما ونحن مقبلون على عصر فيه الدراسة اللغوية دراسة سمعية أكثر منها دراسة بصرية . فيجب ألا تنفر آذاننا من نطق بعضنا البعض ، لأن في مثل هذا تفرقة بين أبناء الأمة العربية التي نعمل على توحيدها أو التقريب بينها .

وليس أبعد على نفور العربي من أخيه العربي من أن يسمعه ينطق الكلام نطقاً يخالف نطقه . فإذا تم لنا التقريب بين نواحي النطق في البلاد العربية ، فقد تم لنا كل شيء ...

عناصر اختلاف النطق :

وتكاد تنحصر نواحي الاختلاف الصوتي بين لهجات الكلام في الأمور الآتية :

١ - اختلاف في نطق بعض الأصوات الساكنة كالکاف التي هي في النطق الصحيح صوت شديد ، ونسمها في بعض اللهجات الحديثة صوتاً أميل إلى الرخاوة (تش) كما هو الحال في بعض لهجات فلسطين وسوريا .

وكالقاف التي نسمعها الآن في أفواه المجيدين للقراءات صوتاً مهموساً رغم أن القدماء من علماء مخارج الحروف قد وصفوها لنا على أنها مجهورة . وكالطاء التي ينطق بها في معظم اللهجات الحديثة صوتاً مهموساً ، ومع هذا فقد رواها القدماء بين الأصوات المجهورة . وكالضاد التي نقرأ وصفها في كتب القدماء ثم لا نكاد نجد لها في الأفواه ذكراً إلا ربما في نطق بعض العراقيين لها وبعض البلاد العربية الأخرى . وكالجيم التي اختلفت بين اللهجات الحديثة فطوراً شديدة كما في النطق المصري ، وأخرى أميل إلى الرخاوة كما هو الحال في النطق الفصيح المروى في كتب القدماء ، وثالثة كثيرة الرخاوة كتلك الجيم التي كثر تعطيشها كما

في نطق المغاربة وبعض السوريين . وكالأصوات اللغوية (الذال والطاء والناء) التي يميل حتى المتعلمين منا إلى النطق بها زائاً وسيناً وزائاً مفخمة على الترتيب . ورغم أن القدماء قد وصفوا لنا الأصوات الساكنة وصفاً دقيقاً من ناحية المخرج والصفة ، ورغم تواتر القراءة القرآنية عن طريق التلقّي والمشافهة جيلاً بعد فقد جيل ، تطورت بعض الأصوات في قراءتنا وأصبح بعضها مهموساً بعد أن كان مجهوراً ، كما أصبح بعضها شديداً بعد أن كان رخواً . واختلف هذا التطور بين بيئة وأخرى من البيئات العربية حتى أصبح الطفل العراقي الآن يخطئ في إملائه بين الضاد والطاء ، كما يخطئ الطفل في بعض قبائل السودان بين القاف والغين ، ولا بد لهذا من أن تتخذ نطقاً نموذجياً يخضع له الجميع ونورثه الأبناء في مدارسنا ، نطقاً نشترك فيه حين نعلم إلى اللغة الفصحى . والأمر في هذا هين سهل لا يجد المتعلم بعد المران الكافي مشقة أو عنقاً في تعود هذا النطق الذي نجعل عليه .

فإذا لوحظت الفروق الضليلة التي أشرت إليها سابقاً وأمكن اتخاذ نطق نموذجي موحد بيننا في هذه الفروق ، لا نلبث أن نشهد وحدة تامة بين الدول الشقيقة فيما يتعلق بالأصوات الساكنة .

٢ - اختلاف في نطق بعض أصوات اللين Vowels ، تلك الأصوات التي سماها بعض القدماء بالحركات حين تكون أصوات اللين قصيرة ، وسموها حين تكون طويلة بحروف المد . ونحن في الاصطلاح العلمي الحديث نجعل بين هذه وتلك فنسميها جميعاً أصوات اللين ، لأن الفرق بين الفتحة وألف المد ليس إلا فرقاً في الكمية . وكذلك الحال بين الكسرة وياء المد . وينظر إليها المحدثون من علماء الأصوات نظرة واحدة ، لأنها جميعاً تكون مجموعة من الأصوات اللغوية وثيقة الاتصال بعضها ببعض .

ورغم توارث القراءات القرآنية جيلاً بعد جيل عن طريق التلقّي والتلقين ، فقد أهمل في أمر أصوات اللين العربية ولم يعن بها القراء عناية كافية ، بل تركت وشأنها تتخذ في الأفواه أشكالاً كثيرة حتى صارت إلى ما نشهده الآن من فروق خطيرة بين البلاد العربية الشقيقة . وكأن القدماء قد ظنوا لخلو الرسم العربي من هذه الأصوات في غالب الأحيان ، أنها ليست عنصراً من عناصر اللغة ، في حين أنها لكثرة شيوعها في الكلام والنطق ، أوضح وأبرز في تكوين الفروق بين اللهجات .

لهذا أكرر القول بأن الانسجام فى أصوات اللين أولى بالعناية من الأصوات الساكنة ، بل تلك هى المشكلة الخطيرة التى يجب أن نواجهها وأن نعمل على حلها ، وذلك بأن نتخذ مقاييس خاصة لأصوات اللين نمرن عليها ونتعودها ولا نحيد عنها ، مهما صادفنا فى هذا من عنت وعسر .

٣ - اختلافنا فى موضع النبر من الكلمة : وهذا هو المظهر الصوتى الثالث الذى يفرق بين النطق فى البلاد العربية ، بل ويفرق أيضاً بين لهجات الكلام فى الإقليم الواحد حتى فى نطقهم القرآن الكريم . فاستمع مثلاً إلى قاهرى أو من أبناء الوجه البحرى يقرأ قوله تعالى « فتحرير رقبة مؤمنة » ، أو قوله « ويل لكل همزة لمزة » ، فسقراه يضغط فى الكلمات (رقبة ، مؤمنة ، همزة ، لمزة) على مقطع خاص فى كل منها يخالف ما يصنعه الرجل من أهل الصعيد حين يقرأ هاتين الآيتين . ذلك هو مثل واضح يبين ما نعنى باختلاف موضع النبر بين نطق أبناء الدول الشقيقة .

وسائل توحيد النطق :

بقى بعد هذا أن أعرض عرضاً سريعاً لبعض الوسائل ، التى أرجو أن تمكننا من التغلب على تلك الحوائل الصوتية التى تفصل بيننا وتجعل نطقنا متبايناً .

ليس من المعقول طبعاً أن نطمع فى جعل كل فرد من المتعلمين يدرك تلك الفروق الصوتية إدراكاً علمياً ، بل إن هذا يكاد يكون مستحيلاً . وإنما الذى يمكن أن نهدفه هو أن نتخير طبقة منهم تدرك تلك الفروق ذلك الإدراك العلمى بعد دراسة مستفيضة لها فى معاهد المعلمين . فلنعمل إذاً على تكوين ما أسميه بالمدرس الخاص ؛ أى الذى يصلح للتدريس فى بيئة معينة من البيئات العربية يكون قد درس عاداتها الصوتية دراسة علمية صحيحة ، تلك العادات التى كونتها لهجة الكلام فيها ، وأصبح الناس هناك يتميزون بها عن غيرهم ، ثم يكون مع هذا على علم تام بخصائص النطق النموذجى الذى نهدفه ، والذى نرجو أن ينتظم كل البيئات العربية ، ليحاول التوفيق بين صفات صوتية مصدرها لهجة الكلام فى كل بيئة وتلك الصفات الصوتية التى ستتم المواضعة عليها فى النطق النموذجى للغة الفصحى . فمتى عرف كل هذا سهل عليه تخير النماذج الخاصة التى يدرّب عليها تلاميذه الصغار تدريباً سمعياً ، دون حاجة إلى الالتجاء إلى اصطلاح فى أو شرح علمى .

ويحسن أن يختار هذا النوع من المدرسين اختياراً خاصاً من بين أولئك الذين لهم آذان موسيقية مرهفة وممن وهبوا القدرة على تقليد الأصوات . وحين

نصطلح على النطق النموذجي الذي نرتضيه جميعاً يسجل هذا النطق تسجيلاً صوتياً ويدرس دراسة علمية مفصلة لهذا النوع من المعلمين في معاهدهم ، فإذا انتهوا من هذا وزعوا على البيئات العربية ليكونوا رسل الوحدة الثقافية بين هذه البلاد ، عنهم يتلقى التلاميذ الصغار ذلك النطق النموذجي بطريق المحاكاة والتلقين . ومن حسن الحظ أن الصغار من النشء أقدر على التقليد والمحاكاة .

وهناك وسائل أخرى ربما تكون أعم نفعاً ، لأنها تكفل لنا تكرار هذا النطق النموذجي على آذان الناس في كل وقت وكل مكان ، لا تقتصر على البيئة المدرسية ، بل يتأثر بها الخاص والعام أينما كانوا ، وتلك هي الإذاعة وأقلام السينما والروايات المسرحية . فإذا نشأنا المذيعين والممثلين تنشئة خاصة راعينا فيها العناية بنطقهم وجعلنا منهم أداة نافعة لنشر ذلك النطق النموذجي بين الناس يسمعونهم فيحاولون تقليدهم ، استطعنا بهذا أن نقطع شوطاً بعيداً فيما نهدف إليه من تقريب النطق بين أبناء الدول الشقيقة . ولا مناص من جعل أداة القول في كل هذا تلك اللغة الفصيحة التي نقرأها في تراثنا الأدبي القديم وفي صحفنا ومجلاتنا الحديثة ، ففيها قدر مشترك كبير بين جميع البلاد العربية .

اللغة العربية قبل الإسلام

طفولة اللغة العربية :

حين نفكر في حال اللغة العربية قبل ظهور المسيحية مثلاً نجد أنفسنا في ظلام دامس ، فليس بين أيدينا نصوص عربية ترجع إلى تلك العهود . فأقدم ما عثر عليه من نصوصها لا يكاد يجاوز القرن الثالث الميلادي . وليس معنى هذا أن اللغة العربية لم تكن موجودة قبل المسيحية ، أو أنها أحدث من شقيقتها السامية كالعبرية مثلاً ، بل يؤكد لنا المستشرقون أن اللغة العربية المألوفة لنا قد احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأم أكثر مما احتفظت به الساميات الأخرى . ففيها من الأصوات ما ليس في غيرها من اللغات السامية ، وفيها ظاهرة الإعراب ونظامه الكامل ، وفيها صيغ كثيرة لجموع التكسير ، وغير ذلك من ظواهر لغوية ؛ يؤكد لنا الدارسون أنها كانت سائدة في السامية الأولى التي انحدرت منها كل اللغات السامية المعروفة لنا الآن ؛ أي إن لغة سامية كالعبرية مثلاً قد مرت بها مراحل من التطور والتغير أبعدتها عن السامية الأولى ، أكثر مما مرّ باللغة العربية التي انعزلت في شبه الجزيرة واقتصر تطورها أو تغييرها على ظواهر قليلة بالنسبة لشقيقتها من الساميات .

ولعل أوضح تفسير لندرة النصوص العربية التي يمكن أن ترجع إلى ما قبل ظهور المسيحية هو شيوع الأمية في شبه الجزيرة ، وأن العرب قبل الإسلام لم يكونوا أهل كتابة وقراءة^(١) . فلدينا من النصوص العبرية مما يرجع إلى القرون الثمانية قبل الميلاد الشيء الكثير ، نراها ممثلة في نصوص التوراة وكتب الأنبياء وغيرها من نصوص العهد القديم . في حين أن أقدم نصوص العربية على الصورة المألوفة لنا لا تكاد تجاوز قرنين من الزمان قبل الإسلام ، وتلك هي

(١) انظر دلالة الألفاظ ص ١٨٧ .

النصوص التي ندرسها ونسميها بالأدب الجاهلي ؛ أي إننا نجعل جهلاً تاماً ما يمكن أن يسمى بطفولة اللغة العربية ، ويحاول الدارسون جاهدين أن يستشفوا شيئاً عنها بالدراسة المقارنة للغات السامية ونصوصها التي انحدرت إلينا .

ومع هذا يصّر بعض المستشرقين على أن كثيراً من النقوش التي عثروا عليها في شمال شبه الجزيرة يمثل لغتنا العربية في العهود التي سبقت الأدب الجاهلي .

فقد عثر بروفيسر «ليتمان» وحده على نحو ١٤٠٠ نقشاً حاول فك رموزها وتفسير كلماتها ، وقرر أنها صورة للغة العربية قبل العصر الجاهلي . على أن هذه النقوش لخلوها من النقط والحركات ، بل ومعظم حروف المدّ ، كانت محل خلاف كبير بين الدارسين في تفسيرها ، فلم يهتدوا في شأنها إلى رأى حاسم قاطع .

ومن أشهر هذه النقوش التي يقال إنها تمثل اللغة العربية قبل الأدب الجاهلي ثلاثة نقوش :

(أ) نقش «النمارة» وهو قصر صغير بالقرب من دمشق لامرئ القيس أحد ملوك الحيرة . ويبدأ النقش بالنص التالي : «تى نفسى مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج ...» .

ويرجع تاريخ هذا النقش كما يؤكد الدارسون إلى سنة ٣٢٨ م . ويلاحظ أن به كلمة «بر» بمعنى «ابن» ، وكلمة «بر» هذه هي الصورة الآرامية لكلمة «ابن» المألوفة في كثير من الساميات الأخرى .

(ب) نقش «زبد» وهي أطلال بالقرب من حلب ، ويسجل هذا النقش تاريخ تشييد كنيسة في تلك المنطقة . ويرجع تاريخه إلى سنة ٥١٢ م .

(ج) نقش «حوران» وعثر عليه جنوب دمشق ويقال إنه يرجع إلى سنة ٥٦٨ م أي أيام ولد النبي «محمد» . ومع ذلك نجد فيه كلمات لا تعرفها العربية مثل كلمة «المرطول» بمعنى الكنيسة ، كما نرى فيه كلمة «بر» الآرامية ، ويبدأ نص هذا النقش كما يلي : «أنا شر حبيب بر ظلموا»^(١) !!

وحين نسلم جدلاً أن لغة هذه النقوش تمثل مرحلة من مراحل اللغة العربية يجب أن نعترف أن نصوصها ضحلة لا تقنع الباحث لتلقى ضوءاً كاشفاً على حال

(١) تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون . ص ١٩٠ - ١٩٢ .

اللغة العربية فى تلك العهود ، فهى فى مجموعها لا تكاد تعادل سفرأ صغيراً من أسفار العهد القديم . هذا إلى أن كثيراً من كلماتها عبارة عن أعلام لأشخاص ، ولاتكاد تجدى مثل هذه الأعلام فى البحث اللغوى . وفوق هذا وذاك تعرض هذه النقوش لأمر متشابهة كتسجيل تاريخ كنيسة أو قبر ، مما جعل كثيراً من عباراتها وألفاظها يتكرر ويجعل نصوصها قليلة القدر لا تكفى فى بحث لغوى جدى ، ولكنها ربما تفيد بعض الفائدة فى البحث التاريخى .

على أننا بعد استعراض كثير من هذه النقوش نرى لغتها مزيجاً غريباً . فبينها وبين اللغة العربية المألوفة لنا وجوه شبه وجوه خلاف .

أما وجوه الشبه فهى أن نصوص هذه النقوش تتضمن من الأصوات مالم يعد موجوداً فى الساميات الأخرى مثل [ذ ث ظ غ ض] . وفيها كلمات كثيرة مشتركة مع العربية فى معناها وصورتها ككلمة «الإله» ، ومعظم الأعلام بها أعلام عربية مثل امرئ القيس ، كعب وغيرها . ويلحظ الدراسون فى لغة هذه النقوش أن بها آثاراً لظاهرة الإعراب التى تعدّ من أخص خصائص اللغة العربية وفيها كذلك التعبير عن التفضيل بصيغة خاصة كما فى العربية .

أما وجوه الخلاف فلعل من أهمها استعمال كلمة «بر» الآرامية بدلا من كلمة «ابن» ، ووجود كلمات لا تعرفها العربية كالمرطول بمعنى الكنيسة . ولعل أهم من هذا وذاك أن أداة التعريف بهذه النقوش هى الأداة المألوفة ، فى الآرامية .

ليس من الإسراف إذاً أن نقرر أن لغة هذه النقوش مزيج من اللغتين العربية والآرامية ، وأنها كانت لغة قوم من العرب عاشوا فى قديم الزمان فى شمال الجزيرة العربية وتأثرت لغتهم بالآرامية .

لهذا كان من رأى المتواضع عدم الاعتماد على لغة النقوش فى دراسة طفولة اللغة العربية ، فأنعين بدراسة تلك النصوص ، التى لا نشك فى صحتها من الأدب الجاهلى ، ففيها القدر الكافى لتوضيح حال اللغة العربية قبل الإسلام .

لغة الأدب الجاهلى :

حين نعرض للغة العربية قبل الإسلام ، لا نريد أن نذهب إلى أبعد من تلك العصور الجاهلية التى رويت لها آثار أدبية من شعر أو نثر .

والذى تحققت صحته من تلك الآثار الأدبية . لا يكاد يجاوز قرناً أو قرنين قبل ظهور الإسلام . وقد ظلت تلك الآثار الأدبية تتناقلها الألسن ، وتعيها الحافظة

زمنأ بالقصفر . ومهما فكن من عناية العرب بأدابهم ، واعتمادهم على الذاكرة ، ففن ففدت وسائل التدوفن ، وشاعت الأمفة بفنهم ، مهما فكن من قوة هذه الذاكرة ، فلا شك أن تلك الآثار قد اعفورها من عوامل النقص والزفافة ، وضعف الروافة فى بعض الأحيان ، مما جعل العلماء قديمهم وحديثهم فتشكون فى صحة بعض تلك الآثار ، أو على الأقل فى نسبئها لأصحابها ، لأنه قد مرئ فترة فزفد عن قرنفن بفن عهد أنشئت فى تلك الآثار وعهد التدوفن .

والفارفخ السفاسى والاجفماعى لجزفرة العرب قبل الإسلام ، غامض فى كفففر من نواصفه ، وما روى عنه ففما بعد قد اشفمل على كفففر من الروافات الفارفخفة الفف فعوزها دقة الروافة والففففف العلمى . ومع هذا فنسطففع مما روى لنا أن ففصور جزفرة العرب فى الجاهلفة منقسمة إلى بفففففف ففكادان ففكونان مسفففففف من الفاففففف الاجتماعية والفففافة : البففة الأولى بففة الفواففر فى مكة وففرب وفى مدن الففمن الكبرى ، وفلاذ الففرفة جنوب العراق وعلى ففدود الصفراء وفلاذ الففساسفة جنوب الشام ، والبففة الأفرى البففة البدوفة المنففلة الفف لا ففكاد فسفففر على فال .

ورغم تلك العوامل السفاسفة والاجفماعفة الفف قرفب بفن البفففففف قبل الإسلام ، من مواسم للفف ، وأسواق للففارة ، فقد ظل النظام فى البففة البدوفة قبلأ ، فىه الاعفزاز بالففبلة ورئفسها ، وما فمكن أن فكون فىها من ففالفد ففافة فسكوا بها وذافوا عنها . ولم ففوفق الاففال بفن هاففن البفففففف إلا قبل الإسلام بعد أن ظفئ الجزفرة عشراف من السنفن قبل هذا مففكة الصفلاف ، فكونف فىها جماعات من الناس اسفففل بففافئها وففالفدها ، وانعزلف بعضها عن بعض .

فأبعد ما فمكن أن ففصوره لجزفرة العرب هو أن نراها مكونة من وففداف منعزلة فففففل فى قبائلها . وانعزال تلك القبائل بعضها عن بعض ، واسفمسافهم بنظمهم وففالفدهم ، فقد أذى إلى نشأة اللهفجات العربفة القدفمة الفف روى لنا طرف منها فى كففب اللغة والأفب والفارفخ . ورغم اشفراك القبائل فى بعض النظم الاجتماعية ، قد دعت وففالفدها الففافة ، وبففافئها الجفراففة الففافة ، إلى فطور مسففل فى لهفجاتها ، وكان من ففففئه تلك الصفاف الففافة الفف فلحفها فى لهجة كل قبفلة . فالقبفلة الفف دعت ظروفها إلى شن الفارات وإلى الففرقة بفن المرء وأهله ، وبعد الأطفال عن رعاة أهلفهم ورقابفهم ، لفست كففك الفف ظفئ زمنأ طوفلا هافنة وافعة قد فوففف فىها الصلة بفن أفراد الأسرة . لأنه فى الأولى

ينشأ الأطفال منعزلين قلىلى الاحتكاك والاتصال برجال القبيلة . ومثل تلك الحال تساعد على نمو تلك التطورات اللغوية التى عزوها المحدثون عادة إلى الأجيال الناشئة وأخطائهم . فإذا مر جيل أو جيلان رأينا تلك التطورات التى لم تكن فى بادىء الأمر إلا أخطاء أطفال لم تصلح فى حينها ، قد أصبحت فيما بعد عنصراً صحيحاً معترفاً به بين المتكلمين بهذه اللهجة . هذا إلى ما قد يكون للأمهات من أثر فى تطور اللهجة من حال إلى حال ، وكل هذا نتيجة الانعزال بين رجال القبيلة ونسائها وأطفالها لظروف اجتماعية خاصة .

أما حيث تتوثق الصلة بين أفراد القبيلة فنلاحظ أن التغير يكون بطيئاً ، ولكنه ينمو أيضاً مع الزمن ، لأن الكلام عملية عضوية لا تؤدى دائماً بشكل واحد ، فلاتلبث الأجيال المتعاقبة أن تتوارث صوراً مختلفة منه ، ثم تتراكم تلك الاختلافات حتى تصبح صفة خاصة .

فاللهجات العربية القديمة هى نتيجة انعزال القبائل ، ونتيجة التطور المستقل لكلام كل قبيلة ثانياً . ولابد من مرور زمن طويل قد يبلغ قرنين أو ثلاثة ، قبل أن تتبلور تلك الصفة وتصبح من مميزات قبيلة من القبائل .

وليس يعنينا هنا البحث عما كانت عليه تلك اللهجات القديمة قبل العصور الجاهلية التى روى لنا الشىء الكثير عنها ، ولا البحث عن المراحل التى مرت بها حتى صارت على الصورة التى رويت لنا فى كتب التاريخ والأدب ، وإنما الذى نهدهه هنا هو أن نصور تلك اللهجات التى نعرفها من روايات الرواة تصويراً علمياً صحيحاً بقدر الإمكان .

نحن إذاً أمام لهجات مستقلة ذات صفات خاصة ، تميزت بها القبائل العربية قبل ظهور تلك العوامل السياسية التى أدت آخر الأمر إلى ظهور الإسلام . فلما دعت الحاجة إلى اتصال تلك القبائل فى مواسم الحج قبل الإسلام وإلى عقد تلك المؤتمرات الثقافية التى سميت بالأسواق ، بدأت الحاجة إلى وسيلة للتفاهم تجمع بين تلك القبائل . وهنا نشهد ما يحدث عادة بين البيئات المنعزلة حين تبغى الوحدة ، إذ تتخذ مركزاً واحداً تتطلع إليه ، وتطمئن إليه ، لما يمتاز به من نهضة فى الثقافة أو نفوذ سياسى .

وليس هناك ما يقرب بين الجماعات المتنافرة ، كاللغة الموحدة التى تجمع شملهم وتلم شتاتهم .

فلما بدأت عوامل الوحدة السياسية والثقافية بين القبائل تهيأت كل الظروف لجعل مكة مركزاً لتلك الوحدة ، وبدأ رؤساء القبائل يفدون إليها يحجون إلى ذلك البيت الذي قدسوه قبل الإسلام ، كما وفدوا للتجارة ، وليشهدوا منافع لهم في أسواق كانت مجالا للثقافة بين القبائل ، فيها تعقد المناظرات الأدبية والمساجلات من شعر أو خطابة . ويذكر الرواة أن أسواق العرب قبل الإسلام كانت في أرجح الآراء ثمانى أسواق أشهرها : «عكاظ» وهى السوق العامة للعرب وكانت تعقد حول مكة في أوائل شهر ذى القعدة . وكانت سوق «المجنة» تعقد بعدها في أواخر هذا الشهر، ثم تعقد سوق «ذو المجاز» في أوائل شهر ذى الحجة . أما سوق «خبير» فكانت تعقد بعد أشهر الحج .

وليؤدى الخطيب رسالته كاملة واضحة ، وليترك سامعيه مشدوهين معجبين بقوله ولباقته ، كان عليه أن يتحاشى تلك الصفات المحلية التى تتصل بلهجة من اللهجات ، وأن يتحدث إلى القوم بلغة تواضعوا عليها ، وألفوها جميعاً . كذلك كان لايد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنة أو عجعة أو كشكشة ، لينال إعجاب سامعيه ، ولا يكون موضع سخريتهم وهزئهم . وإلا فكيف كان من الممكن أن يفضل شاعر على شاعر في تلك المناظرات إذا كان المقياس مختلفاً ، وأداة القول متباينة .

لهذا توحدت القبائل في لغة أدبية ممتازة مختارة الألفاظ يعمد إليها الشاعر والخطيب كلما عن له القول . وتلك كانت اللغة النموذجية ، لغة الخاصة من الناس ، اللغة التى استحققت أن تروى آثارها ، ويعتز بها طويلا .

وظلت مع هذا كل قبيلة تتمسك بلهجة كلامها في الخطاب العادى بين أفراد القبيلة بعضهم مع بعض . فالوحدة اللغوية بدأت قبل ظهور الإسلام ؛ بل ونمت وازدهرت ، وعرف كثير من العرب من قبائل مختلفة بفصاحة القول وإجادة الشعر؛ لأن إتقان تلك اللغة الأدبية كان موضع فخر بين رؤساء القبائل والخاصة من الناس ، يحاولون إتقانها والتفنن في نواحي القول بها .

وعلى هذا إذا قيل لنا إن القرآن الكريم قد تحدى الفصحاء من العرب ، فليس يعنى هذا أنه تحدى جميع العرب ؛ وإنما قد تحدى أولئك الذين كرسوا حياتهم على نواحي القول فأجادوها خطابة وشعراً ، أولئك الذين هم خاصة العرب والمثقفون منهم . وليست كل الثقافة قراءة أو كتابة ، فرما كان بين الأميين مثقفون تفتقت أذهانهم ، ونظروا إلى الحياة نظرة أوسع وأشمل من كثير ممن يحسنون تلك الوسيلة

الناقصة التى تسمى بالكتابة .

وأهم وسيلة فى الثقافة اللغوية هى تلك الوسيلة الطبعفة التى عن طريقها تعلمنا الكلام ، أعنى وسيلة السماع ؛ فهى أسرع وأدق من وسيلة الكتابة والقراءة ، ولكن نفعها مقصور على السامعين ، وعلى أولئك الذين تتاح لهم الفرص ليشهدوا مجال القول ممن وهبوا اللياقة فى الكلام ، والذلاقة فى اللسان .

وإذا كان للقراءة والكتابة فضل فهو الشمول ، واتساع دائرة الثقافة ؛ لهذا كانت الثقافة اللغوية فى الجاهلفة مقصورة على أولئك الذين شهدوا مجالس الخطابة والشعر ، وهم الخاصة من الناس .

ولما جاء الإسلام ، ونزل القرآن بتلك اللغة الأدبفة قوًى من تلك الوحدة اللغوية التى كانت قد نمت وازدهرت قبل نزوله ، وزاد فى شمولها لأن الرغبة الدينفة ، وقوة الشعور الدينف قد دعا كثيراً من العامة إلى تفهم الكتاب الكريم والتعبد به . ولم يكن الأسلوب القرأنف فى متناول جميع العرب ، بل كان أسمى من هذا وأرقى ؛ فقد جاء يتحدى الخاصة منهم ، وظل حتى الآن يتحدى الخاصة منا . ولم يمنع هذا أن يبجل فى كل جيل ، وأن يتعبد به فى كل زمان .

والأ فكيف نتصور أن عمر بن الخطاب وهو من خاصة العرب وفصحائهم لا يدرى معنى كلمة «أبأ» فى قوله تعالى «وفاكهة وأبأ متاعاً لكم ولأنعامكم» ! وكيف نتصور ما أجمعت عليه الروايات من أن بعضاً من فصحاء العرب وأهل البيان فىهم كانوا يؤخذون بروعة الأسلوب القرأنف حين سماعه للمرة الأولى فىسلمون ويصدقون ما جاء به الرسول الكريم :

فقد أسلم عمر بن الخطاب حين سمع سورة طه ، وأسلم جبفر بن مطعم حين دخل على النبف وهو يقرأ «والطور وكتاب مسطور» إلى قوله «إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع» ، فقال جبفر : خشيت أن يدركنى العذاب ، ثم أسلم . كذلك ماروى من أن جماعة من قرش بعثوا بعثة إلى النبف ليكلمه ، وكان حسن الحديث عجيب الشأن ببلغ الكلام وأرادوا أن يأتيهم بما عنده ، فقرأ النبف سورة «فصلت» من أولها حتى انتهى إلى قوله «فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة عاد وثمود» ، فوثب عتبة مخافة العذاب ثم أسلم .

ولله در الباقلانى^(١) حين يصف إعجاز القرآن وسموه عن مستوى

(١) إعجاز القرآن صفحة ٢٨ .

متوسطى الناس ، بل حتى عن المتناهيين في معرفة الشعر وحده ، أو المتناهيين في معرفة الخطب والرسائل وحدهما فيقول :

«وقد علمنا تفاوت الناس في إدراكه ومعرفة وجه دلالاته ، لأن الأعجمي لا يعلم أنه معجز إلا بأن يعلم عجز العرب عنه ، وهو يحتاج في معرفة ذلك إلى أمور لا يحتاج إليها من كان من أهل صنعة الفصاحة . فإذا عرف عجز أهل الصنعة حل محلهم وجرى مجراهم في توجه الحجة عليه . وكذلك لا يعرف المتوسط من أهل اللسان من هذا الشأن ما يعرفه العالي في هذه الصنعة . فربما حل ذلك محل الأعجمي في ألا تتوجه عليه الحجة حتى يعرف عجز المتناهي في الصنعة عنه . وكذلك لا يعرف المتناهي في معرفة الشعر وحده أو الغاية في معرفة الخطب والرسائل وحدهما غور هذا الشأن ما يعرف من استكمل معرفة جميع تصارييف الخطاب ووجوه الكلام وطرق البراعة ، فلا تكون الحجة قائمة على المختص ببعض هذه العلوم بانفرادها دون تحقيقه بعجز البارع في هذه العلوم كلها عنه . فأما من كان متناهيًا في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن فيها إظهار الفصاحة فهو متى سمع القرآن عرف إعجازه .

ولا معنى لأن ننساق مع بعض الرواة الأقدمين فننسب لكل العرب الفصاحة في القول ، والإجادة في صناعة الكلام ، إذ ليس العرب إلا شعباً ككل الشعوب فيهم القليلون ممن وهبوا تلك الصفة ، وأغلبهم من العامة الذين يكتفون في حياتهم بنصيب ضئيل من حسن القول وفصاحته .

وتلك اللغة الأدبية التي خطب بها الخطباء ، وشعر بها الشعراء ، ونزل بها القرآن الكريم ، لم تكن لغة تخاطب للناس في حياتهم العامة ، بل يجب أن تنزه عن هذا ، وأن نرقى بها إلى مستوى أرفع منزلة من أساليب التخاطب . لم تكن إذاً لغة سليقة يتكلمها الناس دون شعور بخصائصها ، بل كان المتكلم بها يشعر كل الشعور بنواحي القوة والجمال فيها ، ويتطلع إلى إجادتها وتحسينها . أما لغة التخاطب فهي تلك التي يمكن أن يقال إن الناس كانوا يتكلمونها بالسليقة ، ويؤدون بها التافه من شئونهم ، لا يعمدون إليها عن قصد ، ولا يتخيرون ألفاظها ، بل يكتفون منها بتأدية الأغراض العامة في الحياة العادية ، فإذا جد الجد وتطلب المجال نواح خاصة من القول ، نواحي جدية لا يعمد إليها في كل يوم ، لجأ المتكلم من الخاصة إلى تلك اللغة الأدبية ، ورأها أهلاً لذلك .

لهذا رويت لنا الآثار الأدبية القديمة في لغة موحدة ، لا تشتمل على

خصائص من تلك التي رويت عن اللهجات العربية القديمة . ولا يعقل أن الرواة رووها موحدة ، وغير تلك الصفات الخاصة التي يمكن أن يكون قد اشتمل عليها شعر شاعر من قبيلة عرفت بلهجة من اللهجات ، لأن مثل هذا التغيير ليس ممكناً في كل الحالات ؛ فإذا أمكن عمله في النثر ، فإن الوزن الشعري يأباه في بعض الأحيان .

ونحن حين نستعرض شعراء ربيعة تلك القبيلة التي عرفت بالكشكشة لانكاد نلمح أثراً لتلك الصفة في شعر شعرائها ، ورواية شعر فيه كشكشة بشعر خال منها تأباه بعض الأوزان الشعرية .

بل حين نرجع إلى ديوان الهذليين^(١) لنستشف منه الصفات التي عرفت بها لهجة هذيل كالفحفة أو تسهيل الهمز أو الاستنطاء ، لا نكاد نعثر على أثر لها في أشعارهم . وكل الذي نراه في الديوان مما ينسب إلى هذيل وحدها لا يعدو أن يكون بضع كلمات قيل لنا إنها بلفظها ومعناها قد اختصت بها هذيل مثل : إيل ضحضاح أى كثيرة ولا يعرف هذا غير هذيل ، والخيطه أى الودد ، أو بمعناها فقط مثل : الطرف بمعنى الفتى الكريم والجش بمعنى الخشف . وهناك كلمات وردت بالديوان في صيغة خالفة لما اشتهر عنها مثل : سميح بمعنى سمح ، نجد بمعنى نجد ، والسب بمعنى السبب أى الحبل . ويوصف كل هذا بأنه لغة هذيل !!

ويظهر أن شراح الديوان حين كان يعيهم تفسير كلمة من الكلمات أو تبرير صيغتها كانوا يعتمدون إلى القول بأنها لهجة هذيل . فليس ماورد بالديوان مما يسمى بلغة هذيل إلا نوعاً من مما حكاه المفسرين والشرح .

انظر مثلاً إلى قولهم إن البيت :

بأسفل ذات الدبر أفرد خشفها فقد ولهت يومين فهي خلوج^(١)

قد روى بكلمة «جش» بدلا من «خشف» ، ثم يزعمون أن الجش بمعنى الخشف عند هذيل ، في حين أن كلمة الخشف قد استعملها الشاعر بمعناها المعروف وهو ولد الظبية في مواضع أخرى من الديوان .

(١) طبع دار الكتب .

(١) ذات الدبر : موضع ، خلوج انتزع منها ولدها .

كذلك حين يروون للبيت :

تروت بماء البحر ثم تنصبت على حبشيات لهن نليج^(٢)

رواية أخرى ويقولون :

شرين بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نليج

لا لشيء سوى أن يزعموا لنا أن «متى» في لهجة لها معنى خاص ! وحين يتخبطون في شرح البيت :

على أطرقا باليات الخيا م إلا الثمام وإلا العصي

فبينما يقول بعضهم إن «أطرقا» موضع ، يقول آخرون إنها جمع طريق على لغة هذيل !!

وبينما يقول الأخفش إن «نجد» لغة هذيل في «نجد» ، نرى الصيغتين مستعملتين في شعر الهذليين .

وهكذا نرى أن لغة الشعر على الأقل قد خلت من صفات اللهجات التي اشتهرت بها القبائل ، مما يجعلنا نرجح أن اللغة الأدبية كانت موحدة قبل الإسلام وظلت موحدة بعده ، وقد خلت من الصفات المحلية للهجات ، تلك الصفات التي نفر منها خاصة العرب ، وأصبحت بعد الإسلام موضع السخرية في كثير من الأحيان . فقد رويت لنا روايات كثيرة عن بعض الأعراب وقد حضروا مجالس الخلفاء ولا سيما أمام معاوية ، حين برئوا من طمطمانيه حمير وعجعة قضاة ، وعدوا أمثال تلك الصفات بعداً عن الفصاحة ، بل تكاد تكون نوعاً من الرطانة أو العجمة .

قال الجاحظ في البيان والتبيين^(١) [سأل معاوية يوماً : من أفصح الناس ؟ فقال قائل قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ، ليست لهم غمغة قضاة ولا طمطمانيه حمير ، قال من هم ؟ قال : قريش] .

(١) نليج : مر سريع مع صوت

(٢) جزء ثالث صفحة ١٣٧ طبعة الرحمانية .

- ٢ -

كيف كان ينظر إلى اللهجات

لقد اختلفت النظرة إلى اللهجات العربية باختلاف العصور ، والعوامل السياسية والاجتماعية فى كل منها :

فقبل الإسلام استمسكت كل قبيلة بصفات الكلامية ، فى حديثها العادى وفى لهجات التخاطب ، ولكن الخاصة من الناس فى تلك القبائل قد لجأوا إلى تلك اللغة النموذجية التى نشأت فى مكة ، فى شئونهم الجدية يخطبون بها وينظمون الشعر ، وينفرون من صفات اللهجات فى مثل هذا المجال . حتى إذا عادوا إلى بيئتهم تحدثوا إلى الناس فى الشئون العامة بمثل لهجتهم ، لئلا تنفر منهم النفوس . وإنما مثلهم فى هذا مثل بعض الأعيان من أهل الريف المصرى حين يفدون إلى القاهرة ، ويخالطون المثقفين فيها فلا نكاد نلاحظ فى كلامهم صفات خاصة تنبئ عن بيئتهم الريفية . فإذا عمدوا إلى مقرهم الأسمى سمعتهم يخاطبون الناس بلهجاتهم كأن لم يبرحوا تلك البيئات ولا يوماً واحداً . وأولئك الخاصة من أعيان الريف يجعلون لكل مجال ما يناسبه من القول ، فهم بين المثقفين من القاهرين مثلهم ، وهم بين أهلهم فى البيئة الريفية مثلهم أيضاً .

تلك هى الحال التى كانت شائعة بين رؤساء القبائل ، يرونها عيباً أن يخطبوا فى سوق كسوق عكاظ بتلك اللهجة الخاصة بهم ، كما يرونها عيباً أن يتحدثوا إلى قبائلهم بغير تلك اللهجات . هذه حال كانت مألوفة بين القبائل ، متواضعاً عليها ، ولهذا لم ترد لنا روايات جاهلية عن السخرية بصفات كلامية لقبيلة من القبائل أو القدح فيها .

فلما جاء الإسلام ، وأراد أن يتألف قلوب العامة والخاصة معاً ، سمح بأن يقرأ القرآن الكريم ببعض تلك الصفات التى لم يكن فى مقدور العامة غيرها . فالقرآن الكريم وإن نزل بلهجة موحدة ، ولغة أدبية موحدة ، أبيح فى قراءته الخروج عن تلك اللغة الموحدة ، تيسيراً على عامة العرب ، وتأليفاً لقلوبهم ، وهذا هو معنى الحديث الشريف «أنزل القرآن على سبعة أحرف» ، وسنعرض فيما بعد إلى ما اشتملت عليه القراءات القرآنية من صفات اللهجة العربية القديمة .

ثم اتسعت الدولة العربية حتى شملت دولا كثيرة ، فكان لابد لضمان وحدتها ، والقضاء على عوامل الفرقة فيها ألا تعطى اللهجات العربية من العناية ما قد يزيد من عصبية القبائل ويباعد بينها ، فأهمل أمرها ، ولم يرو عنها إلا القليل في ثنايا كتب اللغة والأدب والتاريخ . بل إن ما روى عنها جاءنا مبتوراً ناقصاً في معظم الأحيان . ولسنا نعلم مؤلفاً من علماء العرب ، على وفرتهم واهتمامهم بكل دقائق الدراسة اللغوية ، قد عنى باللهجات العربية عناية خاصة فأفرد لها كتاباً مستقلاً . وكل ما نعلمه عن تلك اللهجات من روايات الأقدمين لا يعدو أن يكون مجرد إشارات مبعثرة هنا وهناك ، تضمنتها كتب التاريخ والأدب .

ولما جاء عهد التدوين بدأ الرواة يفرقون بين قبيلة وأخرى ، فينسبون الفصاحة لهذه ، وينكرونها على تلك ، فقد رفضوا الأخذ عن تلك القبائل المتطرفة التي كانت مساكنها حدود الجزيرة العربية . فلم يأخذوا عن قضاة لمجاورتها بلاد الرومان ، واحتمال تأثرهم بلغة الروم في حدود سوريا وفلسطين . كما رفضوا الأخذ عن تغلب والنمر ، لقربهم من أرض الجزيرة وتأثرهم بالفارسية واليونانية . كما أنكروا الفصاحة على بكر لاتصالهم بالفرس والنبط .

وقالوا أيضاً إن اختلاط قبائل اليمن بالحبشة قد أضعف من فصاحتهم ، وإن اتصال لخم وجذام بمصر قد جعل لغتهم موضع الشك ، فلا يحتج بها في الروايات اللغوية .

وقد أثر الرواة الأخذ عن قریش وقيس وتميم وأسد وهذيل وغيرهم ممن كانت مساكنهم في وسط الجزيرة . على أنه لم يكد ينقضى القرآن الرابع الهجري حتى ظهر من علماء العرب من لم يفرق بين قبيلة وأخرى ، بل عددهم جميعاً سواء في جواز الأخذ عنهم ، والاحتجاج بأقوالهم ، فقد عقد ابن جنى في كتابه الخصائص فصلاً مستقلاً سماه «اختلاف اللغات وكلها حجة» أشار فيه إلى بعض الصفات المشهورة عن لهجات القبائل ، وأن بعض تلك الصفات أشهر من البعض الآخر ، وأكثر شيوعاً في اللغة ، ولكنها جميعاً مما يحتج به ، إلى أن قال مخطئاً لأجود اللغتين ، فأما إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه غير منعى عليه .

تلك هي نظرة الأقدمين للهجات العربية القديمة في العصور المختلفة . ومنها يتضح لنا مبالغة المتأخرين منهم في الاعتزاز بكل ما ينسب إلى قبائل البدو

حتى ولو كان مخالفاً لما جاء به القرآن الكريم ، والآثار الأدبية فى الجاهلية وصدر الإسلام . ذلك لأنهم لم يفرقوا بين اللغة الأدبية التى جاء الإسلام فوجدها موحدة ، ذات خصائص متميزة ، وبين لهجات التخاطب التى اشتملت على الصفات الخاصة للقبائل . وفى هذا من الاضطراب ما فيه ، لأن شرط اللغة الاطراد والتوحد فى الخصائص . فمحاولة بناء قواعد اللغة العربية من كل ما روى عن القبائل ، يؤدى حتماً إلى التناقض ، ويبعد باللغة عن الانسجام والاطراد فى الخصائص . فلو أن الرواة وقفوا فى استنباط قواعدهم عند اللغة الأدبية التى جاءتهم موحدة وممثلة فى الآداب الجاهلية والقرآن الكريم ، لجنبوا أنفسهم الكثير من المهارات والجدل حول ما يجوز ، وما لا يجوز . ولكنهم حاولوا إقحام تلك الصفات المحلية للهجات العربية ، فبدت لهذا لنا القواعد اللغوية مضطربة متعددة الوجوه .

وربما كان المسئول عن هذا الاضطراب ، ذلك الدور الذى لعبته السياسة العباسية ، فى الصراع العلمى بين مدرستى البصرة والكوفة ، فقد انتصر العباسيون للكوفيين فى غالب الأحيان ، وبلغ التنافس بين أنصار المدرستين أوجه فى عصور تدوين اللغة ، وكان كل فريق يجرح الآخر ويظعن فيما يرويه . بل كان العلماء شغوفين بأن يقفوا على كل جديد لم يعرفوه ، وكان يقضى على العالم فى جهله بكلمة ، أو خطئه فى مسألة ، فدعا ذلك بعضهم لأن يتزيدوا ويختلفوا إذا أخرجوا (١) .

مقياس الفصاحة لدى العلماء :

والذى استقر عليه الرأى بين جمهور العلماء من القدماء أن نصوص القرآن الكريم يحتج بها فى تعديد قواعد اللغة ، ولا خلاف بينهم فى هذا . أما حين نظروا إلى المروى من الشعر العربى فقد أجمعوا على أنه يحتج بالشعر الجاهلى كشعر زهير وطرفة وامرئ القيس وأمثالهم ، كما يحتج بشعر المخضرمين وهم الذين عاشوا فى الجاهلية والإسلام ونظموا شعراً فى المرحلتين كحسان بن ثابت وأمثاله . وكذلك يحتج بشعر الإسلاميين حتى منتصف القرن الثانى الهجرى من أمثال جرير والفرزدق والأخطل وإن كان بعض المتشددى من علماء العربية كأبى عمرو بن العلاء كان يرفض الاستشهاد بالشعر الإسلامى . فيروى عنه أنه كان

(١) ضحى الإسلام الجزء الأول .

فقول : لقف حسن هفا المولد - فرفف شعر جرفر والفرفرفق - فففى كفف أمرف صففاننا برواففه !! وفقول عنه فلفمفه الأصمفى : لقف لازمفه عشر ففج ففا سمففه فففف ببفف إسلامف قف !! .

أما موقف العلماء من الاستشهاد فى مسائل اللغة بنصوص الأحافف الشرففة فقف وففانهم فرفففف : فرفف فمفل معظم هؤلاء العلماء وأصحاب هفا الفرفف كانوا فرون منع الاستشهاد بالففف فى مسائل اللغة . وفففهم فى ففك أن روافه الففف ففوز بالمعنى مفل [زوفففها (فى روافه) ملفففها (فى روافه أفرى) ففها بما مفل من القرآن] . وفففهم ففك أن كففراً من روافه الأحافف كانوا من المولففن أى الففن عاشوا بفف عصور الاحتجاج ، وهؤلاء ففوز فلفهم اللحن .

أما القلة ممن كانوا ففوزون الاستشهاد بنصوص الأحافف فى مسائل اللغة فففففم أنه إذا جاز اللحن فى روافه الففف ففكفك ففال فى روافه الأشعار ، فل إن احتمال اللحن فى روافه الأشعار أكفر . وففك لأن الوازع الففف فساعد على ففكر نصوص الأحافف وفعمل على صفانفها من أى انحراف أما قولهم إن ففوفن الففف كان قبل فساد اللغة فففه نظر ، لأن المعروف أنه فوف فى القرن الففانى الهجرى فى الأمصار ؛ أى بفف عصر الاحتجاج وقف ظهر اللحن فى أواخر عهد بنف أمفة .

وقف سكت المفففمون من علماء العربفة عن الاستشهاد بالففف ولم ففو عنهم ما فففف أنهم منعه ، فل فف فى بعض كففهم استشهاداً بالففف وإن كان قلفلا .

أما بفن المفففرفف من العلماء فقف اشفد الخلاف ، وأصبح واضحاً كل الوضوح فى القرنفف السابع والفامن من الهجرة ، ومن زعماء المنع للاستشهاد بالففف ابن الضائع الأشبفلى وأبو ففان ، ومن زعماء المفففف له ابن مالك وابن هشام .

وفرى بعض الفارففن من المففففن أننا ففب أن نفق موقفاً معتفلا ، فنقسّم الأحافف قفففف :
قسّم فسفشر بنصوفه ، وقسم لا فففف به فى مسائل اللغة ؛ ففسفشر بالأحافف الففلفة :

١ - ما يروى بقصد الاستدلال على فصاحته صلى الله عليه وسلم مثل :
مات حتف أنفه ، حمى الوطيس .

٢ - ألفاظ القنوت والتحيات والأدعية وغيرها من أقوال التعبد .

٣ - أحاديث من مصادر متعددة وبلفظ واحد ..

٤ - أحاديث يرويها أولئك الذين ربا في بيئة عربية كأنس بن مالك
والشافعي . أما الأحاديث التي لا يحتج بها في مسائل اللغة فتلك التي
دونت متأخراً أو التي غمرت في صحتها أو الأحاديث التي شذت
روايتها^(١) .

أما حين نظر العلماء إلى ما يسمع من القبائل من كلام منثور فقد وجدناهم
يفرقون بين القبائل يأخذون عن بعضها ويرفضون الأخذ عن البعض الآخر . فقد
ذكر السيوطي في كتابيه الاقتراح والمزهر أن أبا إبراهيم الفارابي صاحب ديوان
الأدب قد حدد في أول كتابه المسمى «بالألفاظ والحروف» أسماء القبائل التي يحتج
بكلامها وأسماء القبائل التي لا يستشهد بما يسمع منهم .

وحين استعرضنا مساكن هؤلاء وهؤلاء وحالتهم الاجتماعية تبين لنا أن
العلماء قد أسسوا فصاحة القبيلة على دعامتين : الأولى مقدار قرب مساكنها من
مكة وما حولها ، والثانية مقدار توغلها في البداوة . ولذلك رأيناهم يعتزون بلغة
القبائل الحجازية بوجه عام وقبائل نجد ووسط الجزيرة ويرفضون الأخذ عن
القبائل التي كانت مساكنها في أطراف الجزيرة وعلى حدودها . كذلك رأيناهم
يعتزون اعتزازاً كبيراً بلغة القبائل المتوغلة في البداوة . ونلاحظ هذا في احتكامهم
في مسائل اللغة إلى الأعراب الوافدين إلى الأمصار أيا كانت ثقافتهم أو مركزهم
الاجتماعي اعتقاداً منهم أن هؤلاء الأعراب قد انعزلوا عن البيئات المتحضرة التي
فسدت لغتها ، وأنهم ورثوا اللغة سليمة صحيحة ، أما الأعرابي الذي يعيش فترة
في الحضر ثم يسأل في مسألة لغوية ويجب بما يعرف أو بما يخالف ما يتوقع منه
كان السائل من العلماء يقول له : هيهات لان جلدك يا أبا فلان !! أي أصبحت
متحضراً ولم تعد أهلاً لأخذ مسائل اللغة عنك . وخير مثل لهذا قصة أبي عمرو
بن العلاء مع أعرابي يدعى «أباخيرة» حين جاءه بجملة تشتمل على جمع مؤنث

(١) بحث الشيخ الخضر حسين - مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثالث ص ١٩٧ .

سالم فى حالة النصب وطلب من أبى خيرة ضبط هذا الجمع فنطق به مفتوحاً ،
فقال أبو عمرو : هيهات لان جلدك يا أبأ خيرة!!

وقد أورد ابن النديم فى أخبار الرىاشى البصرى أنه قال : إنما أخذنا اللغة
من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع (يريد البدو) ، وهؤلاء (يقصد الكوفيين) أخذوا
اللغة من أهل السواد أكلة الكواميخ والشواريز (يريد أهل الحضر)^(١) .

الفصل الثالث

- ١ -

القراءات القرآنية واللهجات

١ - روى عن أبي بن كعب^(١) رضى الله عنه ، قال ، دخلت المسجد أصلى ، فدخل رجل فافتتح النحل ، فقرأ ، فحالفنى فى القراءة ، فلما انفتل قلت : من أقرأك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء رجل فقام يصلى ، فقرأ وافتتح النحل فحالفنى وخالف صاحبى ، فلما انفتل قلت : من أقرأك ؟ قال رسول الله ﷺ . قال : فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية ، فأخذت بأيديهما ، فانطلقت بهما إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : استقرئ هذين ، فاستقرأ أحدهما وقال : أحسنت . فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية . ثم استقرأ الآخر وقال . أحسنت . فدخل صدرى من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية ، فضرب رسول الله ﷺ صدرى بيده فقال : أعيدك بالله يا أبى من الشك ، ثم قال : إن جبريل عليه السلام أتانى فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : اللهم خفف عن أمتى ، ثم عاد وقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين ، فقلت : اللهم خفف عن أمتى ، ثم عاد وقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، .

٢ - وفى حديث البخارى أن عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلعم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ ، فكدت أساوره فى الصلاة ، فتصبرت حتى سلم ، فلبته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ ! قال أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقلت كذبت فإن رسول الله صلعم قد أقرأنيها

(١) جاءت هذه الرواية على هذه الصورة فى كتاب النشر لابن الجزرى . ويذكر ابن حجر الرواية نفسها مع تغيير طفيف ، أما رواية مسلم لها فتتضمن فى مجموعها المعانى نفسها التى هنا مع اختلاف فى بعض الالفاظ والعبارات .

على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلعم فقلت : إنى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله ﷺ : كذلك أنزلت ، ثم قال : اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التى أقرأنى ، فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف .

٣ - وفى رواية عن عمرو بن العاص أن رجلاً قرأ آفة من القرآن فقال له عمرو : إنما هى كذا وكذا ، بغير ما قرأ الرجل ، فقال الرجل : هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ حتى أتياه فذكرا ذلك له ، فقال رسول الله ﷺ : إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فأى ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا فى القرآن فإن المراء فيه كفر .

٤ - ويروى عن أبى جهم الأنصارى أن رجلين اختلفا فى آفة من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشيا جميعاً حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أبو جهم أن رسول الله ﷺ قال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا فإن مراء فيه كفر .

٥ - وجاء زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أقرأنى ابن مسعود سورة أقرأنيها زيدو أقرأنيها أبى بن كعب فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم أخذ ؟ فسكت رسول الله ﷺ وعلى إلى جنبه ، فقال على : ليقرأ كل إنسان منكم كما علم فإنه حسن جميل .

هذه هى بعض الروايات التى بينت لنا أن النبى صلعم كان يجيز قراءات الناس ، ولا ينكرها عليهم ، متى كان موضع الخلاف فيها لهجات ألسنتهم وما تعودوه من طريقة النطق .

على أن هذه الروايات فى مجموعها يشوبها بعض الغموض والإبهام ، فليست تبين لنا بجلاء نص الآية أو الكلمة التى اختلف فى قراءتها ، ولا نوع الخلاف فى تلك القراءات ؛ أكان خلافاً صوتياً يمكن أن يعزى إلى تباين اللهجات والألسنة ، أم كان فى أمر آخر ، لا نعلم علم اليقين ؛ إذ نرى معظم هذه الروايات تشير إلى آفة ما يقرأها رجل ما ، فالآفة مجهولة ونوع الخلاف مجهول ، والقارئ لا نكاد ندري شيئاً عن بيئته ولهجه وما يمكن أن يكون قد تأثر به ، ولكننا مع كل هذا أو رغم كل هذا نرجح أن الخلاف بين القارئين لم يكن يعدو تلك النواحي الصوتية التى تفرق بين اللهجات فى النطق وطريقة الأداء .

وقد تواترت الروايات على صحة حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» ، ولكن علماء العربية قد اختلفوا في تفسيره اختلافاً يكاد يبلغ حد الاضطراب . والحديث على وضوحه ، وانسجامه مع روح الإسلام ، قد أسرف في تأويله وتخرجه إلى حد أن روى له السيوطي في كتابه «الإتقان» أربعين وجهاً ! ولست أدرى سر هذا الاختلاف ، وتعدد الأوجه ، إلا أن نعزوه إلى اجتهاد المتقدمين ، ومحاولتهم التوفيق بينه وما تواضعوا عليه في شأن القراءات .

ونحن لا نشك الآن في أن للحديث وجهاً واحداً ، يتفق والمنطق الإسلامي الذي يتلخص في أن الدين الإسلامي قد دعا الناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها ، إلى الإيمان به ، واتخاذة عقيدة لهم . فلم يبعث النبي ﷺ لشعب خاص من الشعوب ، وإنما أرسل إلى الناس كافة . هذا إلى أن الدين يسر لا عسر ، فقد اشتملت أحكامه وتعاليمه على كثير من الرخص حين يشق على الناس أمر من الأمور .

فحين ننظر إلى هذا الحديث في ضوء الروح الإسلامي نرى أنه ليس إلا إحدى تلك الوسائل التي أريد بها التيسير على الناس ، ومنع المشقة عنهم .

فالمسلم أيّاً كانت لهجته ، وأيّاً كانت بيئته ، وأيّاً كانت تلك الصفات الكلامية التي نشأ عليها وتعودها ولم يقدر إلا عليها ، يستطيع أن يقرأ القرآن بالقدر الذي تعودته عضلات صوته في نطقه ولهجته أو لغته . ويجب ألا ننكر عليه ، أو أن نهزأ من قراءته ، فقد حاول وبذل الجهد فله أجر اجتهاده .

وجميع الروايات التي صاحبت قول هذا الحديث تؤيد ما نذهب إليه من أن النبي ﷺ لم يرد به إلا أن يمنع الناس من القدح في قراءة غيرهم ، وإنكارها عليهم .

وقد نادى بمثل هذا الرأي بعض العلماء الأقدمين . فقد روى ابن الجزري في الجزء الأول من كتابه النشر في القراءات العشر ما نصه «كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، لغاتهم مختلفة وأسنتهم شتى ، يعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها ، أو من حرف إلى آخر ، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج لا سيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه ﷺ حيث أتاه جبريل فقال له : إن الله يأمرك أن تقرأ أمّك القرآن على حرف ، فقال ﷺ أسأل الله معافاته ومعونته ، إن أمّتي لا تطيق ذلك ، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف . فلو كلفوا العدول عن لغتهم ، والانتقال عن أسنتهم ، لكان من

التكليف مالا يستطاع .

وقال ابن قتيبة فى كتاب المشكل ، فكان تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ﷺ بأن يقرئ كل أمة بلغتهم ، وما جرت عليه عاداتهم ، فالهذلى يقرأ «عتى حين» ، والأسدى يقرأ «تعلمون» ، والتميمى يهمز والقرشى لا يهمز ... إلخ .

والفرق بيننا وبين أصحاب هذا الرأى هو أنهم قصرُوا الأمر على لهجات العرب فى حين أننا نجعله أعم وأشمل ، أى أن قصد التيسير والتسهيل يشمل جميع المسلمين على اختلاف ألسنتهم وأزمانهم ، فى الماضى والحاضر والمستقبل .

فليست تلك الحروف السبع التى أجزى قراءة القرآن بها مقصورة على اللهجات العربية ، بل تشمل جميع لهجات المسلمين فى جميع بقاع الأرض . فإذا قرأ الهندى المسلم القرآن أمامنا ، ولا حظنا بعض الخلافات الصوتية فى نطقه وجب ألا ننكر عليه قراءته ، فهى غاية جهده ، ولا يقدر على غيرها .

ويجب ألا تعدو تلك الأحرف النواحي الصوتية ، من اختلاف فى مخرج الصوت ، وتباين فى صفته ، بين جهر وهمس أو شدة ورخاوة ، أو تباين فى موضع النبر من الكلمة ، أو مقاييس أصوات اللين إلى غير ذلك من الموضوعات التى يعرض لها علم الأصوات اللغوية ؛ لأن لكل شعب من الشعوب صفات صوتية تميزه عن غيره ، وتكون جزءاً مهماً مما يسميه المحدثون بالعادات الكلامية (١) .

فقد أنزل القرآن للمسلمين جميعاً لا للعرب وحدهم ، وأمروا أن يتعبدوا بما يستطيعون من آياته ، بل فرض عليهم قراءة بعض آياته فى صلاتهم ونسكهم ، فإذا انحرفت الألسنة بعض الانحراف عن النطق الصحيح لألفاظه فليس ذلك إلا عن مشقة وعسر . ومتى صدرت مثل هذه القراءات عن قلب طاهر وإيمان قوى فهى حسنة متقبلة عند الله ، فهى نجوى بين المسلم وربه ، يقرأ بما يستطيع فيقبل عند الله ، ويستجيب له الله .

وليس معنى هذا أن نتخذ مثل هذه القراءة نموذجاً يحتذى ، أو أن تعد بين القراءات النموذجية التى يهتدى بها المسلمون ، والتى رواها لنا الأئمة فى فن القراءات فهناك أمران يجب الفصل بينهما فصلاً تاماً : أولهما القراءة الفردية التى

(١) انظر كتاب الأصوات اللغوية ، الفصل العاشر ص ١٨٢ .

لا تكاد تجاوز بضع آفات من القرآن الكرفم ، والافى فقوم بها أفراد المسلمفن فى فمففع بقاع الأرض على قدر ما فسمف به عاداتهم فى النطق ، وفاففهما : فلك القراءات النموذفة الفف سجلها علماء الففوفف وفعلوا منها فناً ففمفز الأصول سموه بفلم القراءات .

ولعلّ السرّ فى اضطراب المفسرفن لهذا الفففف أنهم فلفطوا بففنه وبفن القراءات السبع الفف رواها ووفف أسسها ابن مفاهف ؛ فظن بعض الشراف أن الأحرف السبعة هى القراءات السبع ، وما كانت كلمة السبع فى كل من الأمرفن إلا مفرف المصادفة ، وفف افففف معناها فى الفففف عن المعنى الذى أرادف ابن مفاهف . ولو أن ابن مفاهف قد عالف القراءات النموذفة على أنها عشر قراءات كما فعل الذىن جاءوا بفده ؛ ما ففف ذلك الرطف بفن الفففف وفن القراءات . فلفففف اففاه فافف ما اففه إلفه أئمة القراءات وعلماءها .

أما الناففة العفدفة فى الفففف ، فلفس المراف قصر الأحرف على العفد سبعة ، بل المراف مفرف الففف ، وهو ما ففسف مع العفلفة السامفة . لأن العفد سبعة فعبف عن الكثرة والففف فى الأسالف السامفة . وقد أشار إلى هذا ابن الففرف فى الففء الأول من كتابه النشر صففة ٢٥ ، إذ فقول ما فصف : «وقفل لفس المراف بالسبعة فقففة العفد بففف لا فزفد ولا ففقف ، بل المراف السعة والففسفر وأنه لافرف علفهم فى قراءفه بما هو من لغات العرب ، من ففف أن الله فعالى أذن لهم فى ذلك . والعرب فطلقون لفظ السبع والسبعفن والسبعمائه ، ولا فرففون فقففة العفد بففف لا فزفد ولا ففقف ؛ بل فرففون الكثرة والمبالغة من ففر فصر ، قال فعالى : «كمفل فبة أنبفت سبع سنابل» . وقال : وإن فسفففر لهم سبعفن مرة ... إلخ» .

أما ما اشفملت علفه القراءات القرآلفة ، من صفات صوففة ففمكن إرفاعها إلى بعض اللهجات العربفة . وفففف هذه الصفات الصوففة إلى أشهر القبائل القرآلفة ؛ لأنها الصفات الفف شافت فى معظم قبائل العرب ، والفف فافف فى لهجاتهم ، فافف القراء منها نماذفهم فى فن القراءات .

ولم فشمل القراءات القرآلفة ، على كل الصفات الصوففة الفف روفت لنا عن اللهجات العربفة ، لأن بعض فلك الصفات لم فكن من الشفوع بفن القبائل ما اسففقت معه ، فى رأى القراء ، أن فقرأ بها ، أو بعبارة أخرى ما اسففقت معه أن فذكر بفن القراءات القرآلفة المشهورة .

وإذا كان علماء القراءات أنفسهم يعترفون بأى ما روى لنا منها ليس كل القراءات التي قرئ بها في العصور الإسلامية الأولى ، وإنما هي طرف منها فقط فليس من التجنى أن نحكم بأن بعض تلك القراءات التي تنوسيت وأهمل أمرها كانت تشتمل على صفات صوتية للهجات غير التي رويت لنا في كتب القراءات .

فانظر مثلاً إلى ما يقرره ابن الجزرى في كتابه النشر الجزء الأول صفحة ٣٣ ، فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأول ، قل من كثر ، ونزر من بحر ، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين . فما روته القراءات القرآنية من صفات اللهجات العربية القديمة ليس إلا المشهور منها ، الكثير الشيوع الذي تأصل في النطق .

وتلك الصفات الصوتية التي اشتملت عليها القراءات كما نعرفها الآن ، والتي يمكن أن تعزى إلى اختلاف اللهجات العربية هي :

- ١ -

الفءء والإمالة

أجمع علماء العربفة على نسبة الفءء لأهل الءاز ، وعلى أن قبائل نء ءء عرف عنهم الإمالة فى كلامهم . فظهر أن القبائل العربفة قبل الإسلام وبعءه ءء انقسمء إلى شعبففن : الشعبة الأولى ءؤءر الفءء ، أو بعبارة أخرى لا ءسقفم أءنءها بففره ، والشعبة الأخرى ءء شاعء ففها الإمالة .

وفمكن بصفة عامة أن ننسب الفءء إلى فمفع القبائل الءى كانت مساكنها غربى الجزيرة بما فى ءلك قبائل الءاز أمءال ءرفش^(١) والأنصار وءقف وهوازن وسعد بن بكر وكنانة ، وأن ننسب الإمالة إلى فمفع القبائل الءفن عاشوا فى وسط الجزيرة وشرقفها ، وأشهرها : ءمفم وأسء وطئى وبكر بن وائل وعبء القفس وءغلب .

والقبائل الءى كءر انءشارها فى أمصار العراق بعء الفءء الإسلامى ، ءكاء ءنءصر فى الشعبة الءانفة . وقء اءء علماء الكوفة والبصرة مءلهم من القبائل الءى انءشرت فى ءلك الأصقاع ، أو ءعودء النزوح إلفها . وقء ءءءنا ءارفء الءجرات القبلفة ، رغم غموضه ، بأن أشهر القبائل الءى أءءر فى بفة الكوفة والبصرة ، هى قبائل وسط الجزيرة وشرقها . فعن معظمهم أءء علماء الكوفة والبصرة ، وبهم اقءءوا .

وفشفر ءورء زفءان فى ءءابه «ءارفء آءاب اللغة العربفة، إلى أن البفة العراقية ءء انءظمءها فى أوائل عهد الإسلام قبائل من وسط الجزيرة وشرقفها ففقول: «فءاشت عوامل الءء فى نفوس القبائل الءى كان لها شأن فى الءاهلفة وضاع فضلها فى الإسلام ، وءصوصاً أهل البصرة والكوفة لأن أكثر العرب الءفن نزلوا هذه الأمصار ءفءاء لم فسءكءروا من صءبة النبى ولا هءبءهم سفرءه ولا ارءاضوا بفلقه مع ما كان ففهم من ءفء الءاهلفة وعصبفءها ، فلما اسءفءلءء الءولة إذا هم فى قبضة المءاؒرففن والأنصار من ءرفش وكنانة وءقف وهءفل

(١) سمع الرسول فقرأ «فا فءفى» بالإمالة فقفل له فا رسول الله ءمفل فلفس هى لغة ءرفش فقال

هى لغة الأخوال بنى سعد . [الإءقان ء ١ ص ٢ ص ٩٢]

وأهل الحجاز ، فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لأنفسهم من التقدم بأنسابهم مثل قبائل بكر ابن وائل وعبد القيس من ربيعة وكندة والأزد من اليمن وتميم وقيس من مضر^(١) .

فلا غرابة إذا أن نرى الإمالة شائعة فى القراءات القرآنية ، التى انتظمت البيئة العراقية فى القرن الثانى الهجرى .

وأشهر من روى عنهم الإمالة من القراء العشرة هم :

حمزة الذى توفى سنة ١٥٦ هـ . وكان إمام القراء فى الكوفة .

الكسائى الذى توفى سنة ١٨٩ هـ . وورث إمامة القراءات بالكوفة بعد حمزة .

خلف الذى توفى سنة ٢٢٩ هـ بالكوفة أيضاً .

فأئمة القراءة الذين اشتهر عنهم الإمالة كوفيون ، أى تأثروا بتلك القبائل التى أقامت بالعراق ، أو تعودت النزوح إليه ، وهى قبائل قريبة مساكنها من العراق ، وعرفت لهجاتها بالإمالة .

ويظهر أن حمزة هو الذى رسم طريق القراءة الكوفية بين القراء العشرة ؛ مستمداً نماذجه من البيئة التى عاش فيها ، ثم تبعه الكسائى ، ولكنه أسرف فى اعتزازه بالإمالة ولا سيما إمالة الفتحة قبل تاء التانيث ، فله فيها مذهب خاص عرف به واشتهر فى فن القراءات . ولا غرابة فى ذلك فقد كان للكسائى شخصية متميزة فى القراءات ، وكان كما وصفه أبو عبيد فى كتاب القراءات بقوله : « كان الكسائى يتخير القراءات ، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً . »

أما خلف فقد ترسم خطأ أستاذه حمزة ، وكان يمثل القراءة الكوفية تمثيلاً صادقاً . قال ابن الجزرى : « تتبععت اختياره فلم أجده يخرج عن قراءة الكوفيين فى حرف واحد ، بل ولا عن حمزة والكسائى وأبى بكر إلا فى حرف واحد وهو قوله تعالى « وحرام على قرية أهلكناها ، فى سورة الأنبياء ، قرأها كحفص . »

وقد كان من المتوقع أن يشمل هذا التأثير بيئة البصرة أيضاً ، فنلاحظ الإمالة بين قرأتها أمثال :

أبى عمرو بن العلاء الذى توفى سنة ١٥٤ هـ ، ويعقوب الذى ورثه فى إمامة القراءات بالبصرة والمتوفى سنة ٢٠٥ هـ . ولكن الذى قد يدعو إلى الدهشة أن قراءة أبى عمرو وتلميذه يعقوب لم تنتصر للإمالة إلا فى مواضع خاصة نصت عليها كتب القراءات .

والأمر الذى يجب أن ننتبه إليه أن معظم هؤلاء القراء كانوا من الموالى ، فكان من الطبيعى أن يعظم تأثيرهم بطرق النطق والأداء التى عاشت فى القبائل حولهم . ولا غرابة إذا أن يظهر إعجابهم بالقبائل التى عاشوا بين ظهرانيتها ، وأن يحتذوا حذوها فى معظم الصفات التى عرفت بها لهجاتها . ولكن أبى عمرو بن العلاء لم يكن من الموالى بل كان من تميم ونسبه فيهم ونشأ على لهجتهم التى أصبحت له عادة وسليقة ، والتى لم تكن عنده إلا أمراً عادياً لا يثير منه إعجاباً ، فالتمس لهذا نماذج من بيئة أخرى وهى البيئة الحجازية ، التى خلت من الإمالة أو كادت ، فقد قرأ على جماعة جنة من أهل الحجاز ، ووصف أحمد بن حنبل قراءته قائلاً : «قراءة أبى عمرو وأحب القراءات إلى ، هى قراءة قریش ، وقراءة الفصحاء» . والمعروف أن أبى عمرو قد قرأ على ابن كثير القارئ المكى ، ثم أسس بالبصرة قراءة اشتهرت بها ، وخالف فيها ما شاع بين أهل البصرة من النطق بالإمالة فى لهجاتهم .

وإذا كان معظم القراء قد تأثروا بلهجة بيئتهم فإن قلة منهم قد تأثروا بأساتذتهم فى بيئات أخرى ، أو جمعوا بين هذه وتلك فيما انتهجوه من قراءات فأبو عمرو بن العلاء هو المؤسس الأول لقراءة البصرة ، وقد تبعه فيها تلميذه يعقوب وسلك مسلكه فى كل الحروف .

هذا هو ما يبرز الخلاف بين البصرة والكوفة فى ظاهرة الإمالة التى انتظمت كل البيئة العراقية ولهجاتها .

وأخيراً وليس آخراً لعل الصراع العلمى الذى كان بين الكوفة والبصرة هو الذى دعا إلى هذه المغايرة ، وإلى أن تتخذ البصرة طريق الفتح فى معظم المواضع ، حتى لا تشبه الكوفة فى إمالتها .

كذلك قد يبدو من الغريب أن نرى بين علماء الكوفة أمثال عاصم الذى توفى سنة ١٢٧ هـ . والذى أخذ عنه حفص تلك القراءة المشهورة الآن بالبلاد العربية ، والتى تكاد تخلو من الإمالة !

ولكننا حين نذكر أن عاصما كان أسبق علماء الكوفة في فن القراءات ، وأنه عاش قبل أن يشتد التنافس بين مدرستي البصرة والكوفة ، نستطيع بسهولة أن نتصور أن عاصما في قراءته قد تأثر ببيئة غير بيئته ، كالبيئة الحجازية مثلا . وبعض القراء في قليل من الأحيان يؤثرون القراءة التي تغاير اللهجة الشائعة بين ظهرانيتهم ، ففعل عاصما كان أحد هؤلاء .

نخلص من كل هذا إلى أن الإمالة كانت الصفة الشائعة بين قبائل وسط الجزيرة وشرقيها ، وأنها شاعت بعد الإسلام في اللهجات العربية ببلاد العراق . ومما قد يؤيد ما نذهب إليه أن الكسائي سئل مرة : إنك تميل ما قبل هاء التأنيث ، فقال هذا طباع العربية . وقد عقب على قول الكسائي أبو عمرو الداني في كتابه التيسير فقال : إن الكسائي أراد بذلك أن الإمالة لغة أهل الكوفة ، وهي باقية فيهم إلى الآن ، وهم بقية أبناء العرب ، أي أن الإمالة ظلت شائعة بين أهل الكوفة حتى عهد أبي عمرو الداني في أوائل القرن الخامس الهجري .

أما قراءة البيئة الحجازية أمثال ابن كثير المكي ونافع وأبي جعفر المدني ، فلا تعرف قراءاتهم الإمالة ، أي إنهم تبعوا ما اشتهر عن لهجات بيئتهم الحجازية من الميل إلى الفتح .

بقي أن نشرح معنى الفتح والإمالة كما يراهما المحدثون من علماء الأصوات اللغوية :

الفتح والإمالة صوتان من أصوات اللين ، سواء كانا قصيرين أو طويلين . وأصوات اللين القصيرة في الاصطلاح الحديث هي ما كان يسميه القدماء بالحركات ، أما أصوات اللين الطويلة فهي ما كانوا يسمونه بألف المد وياء المد وواو المد . ولا فرق بين القصيرة والطويلة إلا في الكمية . فمخرج الفتحة ووضع اللسان معها هو نفسه مخرج ألف المد ووضع اللسان معها ، والفرق بينهما فرق في الكمية . وكذلك الكسرة وياء المد متماثلتان في المخرج ووضع اللسان ، كما أن الضمة وواو المد متماثلتان فيهما أيضاً .

فلا فرق إذاً بين أن تمال الفتحة أو تمال ألف المد ، لأن العملية العضوية في الحالتين واحدة .

وقد وضع المحدثون مقاييس^(١) مشهورة لأصوات اللين يعرض لها

(١) انظر كتاب الأصوات اللغوية ص ٢٠ .

بالتفصيل علم الأصوات اللغوية . وما سماه القدماء بالفتح هو أحد تلك المقاييس ، وما سموه بالإمالة مقياس آخر منها .

واللسان مع الفتح يكاد يكون مستوياً في قاع الفم ، فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يسمى بالإمالة . وأقصى ما يصل إليه أول اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى ، هو ذلك المقياس الذي يسمى عادة بالكسرة ، طويلة كانت أو قصيرة . فهناك إذاً مراحل بين الفتح والكسر ، لا مرحلة واحدة . من أجل ذلك كان القدماء يقسمون الإمالة إلى نوعين : إمالة خفيفة وإمالة شديدة .

وهكذا نرى أن الفرق بين صاحب الفتح وصاحب الإمالة ليس إلا اختلافاً في وضع اللسان مع كل منهما ، حين النطق بهذين الصوتين . واللسان في حالة الإمالة أقرب إلى الحنك الأعلى منه في حالة الفتح .

ولقد اضطررت أقوال الأقدمين في شرح أسباب الإمالة ، حين حاولوا أن يضعوا لها قواعد وقوانين ، كما اختلفوا في الحكم على أيهما الأصل : الفتح أم الإمالة ؟

ونحن حين نستعرض أمثلة الإمالة وأحوالها ، نراها تنقسم إلى نوعين مختلفين :

١ - صوت لين خالص تكون من صوت لين مركب يسميه المحدثون .
Diphthong .

٢ - تغير في مقياس صوت من أصوات اللين .

ونلاحظ الحالة الأولى حين يكون صوت اللين طويلاً ، ومنقلباً عن أصل من أصول الكلمة ، يائياً كان أو واوياً ، ففي مثل الفعلين «باع ، قال» يظهر أنه قد أتى عليهما حين من الدهر كان ينطق بهما .

بيع ، قول

ثم تطور الصوت الأول "ai" إلى e : والصوت الثاني "au" إلى o : أي إن فتحة فاء الكلمة في الفعل الأول قد أميلت إلى الكسرة ، وأنها في الفعل الثاني قد أميلت إلى الضمة .

فهناك إمالة في الحالين ، فكما يمال الفتح إلى الكسر قد يمال أيضاً إلى الضم . ولكن القراء في إمالتهم لم يعنوا إلا بالإمالة الأولى . وهي الفتح إلى الكسر ،

لأنها أكثر شيوعاً وانتشاراً وظهوراً بين القبائل العربية المشهورة . أما إمالة الفتح إلى الضم فقد ظلت مهمة يشار إليها أحياناً في بعض المطولات من كتب اللغة على أنها لهجة لبعض القبائل ، دون نسبتها إلى قبيلة خاصة ، فقد أشار إليها ابن جني في كتابه «سر صناعة الإعراب» ، وعلل بها كتابة الصلاة والزكاة وأمثالهما في الخط العثماني بالواو .

ونحن في مثل هذه العجالة لا نستطيع أن نرجح نسبة هذه اللهجة إلى قبيلة من القبائل العربية ، غير أننا نلاحظ وجودها في بعض اللهجات الحديثة . وهناك نوعان آخران من الإمالة رواهما ابن جني في كتابه الآنف الذكر، وهما :

١ - الكسرة المشوبة بالضممة ، وهي تلك التي في صيغ البناء للمجهول ، والتي عبر عنها القدماء من النحاة بالإشمام في مثل قيل ، بيع . وقد قرأ بهذه اللهجة الكسائي وهشام في [قيل . غيض . جئ . جيل . سيق . سيئ] .

٢ - الضمة المشوبة بالكسرة ، كأن يمال بمثل «بوع» نحو الكسرة . وهذه اللهجة أقل اللهجات شهرة وشيوعاً ، وإن رويت بين لهجات العرب .

فالإمالة كما ترى أنواع أربعة ، أشهرها إمالة الفتح إلى الكسر . وهذا النوع هو المراد بالإمالة حين تطلق في كتب القراءات واللغة . وعلى هذا إذا قيل لنا إن من أسباب إمالة ألف المد كون أصلها ياء ، كما في «باع» ، وجب أن نفهم من هذا أن الأصل اليائي قد تطور أولاً إلى الإمالة ، ثم تطورت الإمالة إلى الفتح ، أي أن المراحل التي مرّ فيها مثل هذا الفعل «باع» هي :

(بيع) ثم (إمالة) ثم (فتح)

فالصوت المركب ai قد تطور أولاً إلى e : ثم إلى a :

تلك هي المراحل التي تبرزها القوانين الصوتية ، والتي لها نظائرها في اللغات الأخرى . ولذلك نستطيع أن نرجح أن بعض الكلمات العربية التي اشتملت على ياء أصلية قد تطورت أولاً إلى الإمالة ثم إلى الفتح . فالأصول إذاً في مثل هذه الكلمات هو الإمالة ، وقد تفرع الفتح عنها .

ونستنبط من هذا أن قبائل الحجاز التي عرف عنها الفتح قد قطعت مرحلة أخرى في تطور لهجاتها ، إذ انتقلت من الإمالة إلى الفتح ، كما نستنبط أن لهجات بعض القبائل في وسط الجزيرة وشرقيها قد احتفظت بمرحلة الإمالة التي هي أقدم

حين تكون الياء أصلية في الكلمات . وربما كان السر في احتفاظ البدو بهذه الظاهرة أنهم عرفوا بها فتعصبوا لها .

وانتقال الإمالة إلى الفتح ليس له ما يبرره سوى الاقتصاد في الجهد العضلي ، والميل إلى السهولة التي يلجأ إليها الإنسان في معظم ظواهره الاجتماعية .

ألا ترى أن كلمة «شئ» قد تطورت في معظم اللهجات الحديثة إلى «شيء» ، أى أن الصوت المركب ai قد أصبح e بالإمالة ، ثم تطورت بعد ذلك تطوراً جديداً في لهجات المصرية الحديثة من يقول : «شاء عجيب» ، وهو يريد «شيء عجيب» .

وهذا هو الذي تم في لهجة الفيوم حين نسمع منهم كلمات مثل : [ليه ، إيه] منطوقة [لآه ، آه] فيقولون في موضع الدهشة أو الاستفهام :

لاه ، وعشان آه ؟

أما حين تعرض الإمالة لغير أصل من أصول الكلمة كإمالة الفتح ، أو إمالة ألف المد غير المنقلبة عن أصل ، فليس هذا إلا نوعاً من الانسجام بين أصوات اللين^(١) . لذلك جعل القدماء من أسباب هذه الإمالة وجود كسرة ، سواء كانت سابقة أو لاحقة . ولا شك أن الانتقال من الكسر إلى الفتح أو بالعكس يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر مما لو انسجمت أصوات اللين بعضها مع بعض ، بأن تصبح متشابهة ، لأن حركة الإمالة أقرب إلى الكسرة منها إلى الفتح .

ومتى سلمنا بنظرية السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي ؛ استطعنا أن نتصور أن الكلمة التي تشتمل على أصوات لين منسجمة ، أحدث من نظيرتها التي خلت أصوات لينها من الانسجام ، ونستطيع لهذا أن نقول إن كلمة «كتاب» ، كما ينطق بها بغير إمالة أقدم في نسجها منها مع الإمالة .

وقد خلط القدماء بين عنصرين رئيسيين من الكلمات : تلك التي اشتملت على أصل يائي . وتلك التي رويت بالإمالة دون أن يكون مبعث الإمالة فيها تضمنها أصلاً يائياً .

فإمالة الفتح إلى الكسر يجب في الحقيقة أن تعزى بصفة عامة إلى أحد عاملين :

١ - الأصل اليائي .

٢ - الانسجام بين أصوات اللين .

وليس يقتصر أثر العامل الثاني على الإمالة من الفتح إلى الكسر ، بل يمكن أن يعزى إليه أيضاً الانتقال من الكسر إلى الفتح ، كما في تلك الأفعال الثلاثية التي رويت لنا مرة مثل «فرح» وأخرى مثل «فتح» دون تغيير في معناها مثل «خطف» ، حبط ، قنط ، ففي هذه الحالة يمكن أن يقال إنها أقدم وأسبق حين تكون على صورة «فرح» ، وقد تطورت إلى صورة «القبج» ، ليتحقق الانسجام بين الحركات .

ويلعب الانسجام بين أصوات اللين دوراً مهماً في معظم لغات البشر ، وهو من التطورات الحديثة ، التي تميل إليها اللغات بصفة عامة . وقد اعترف به القدماء من علماء العربية ، وسموه في باب الإمالة بالتناسب ، ثم سموه في بعض أبواب الإعراب «بحركات الإتياع» ، وتأولوا عليه قولهم «جحر ضب خرب» . بل إن حركة الإتياع قد اعترف بها بعض القراء ، فرووها في بعض القراءات القرآنية ، فقد قرئ [بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين] .

أما قواعد النحاة في باب الإمالة فيمكن إرجاعها جميعاً إلى العاملين الرئيسيين اللذين أشرنا إليهما ، غير أنه من الصعب مع هذا أن نبرر من الناحية الصوتية ، ما زعمه بعض النحاة من جواز الإمالة فيما أصله واو مثل [خاف] ، لأن الإمالة في مثل هذه الحالة كان حقها أن تكون من الفتح إلى الضم ، لا من الفتح إلى الكسر . على أن النحاة قد اختلفوا في الحكم على إمالة أمثال [خاف] فأنكرها بعضهم أمثال أبي العباس المبرد ، فقد روى عنه أن قال إن إمالة ما كان من ذوات الواو على ثلاثة أحرف نحو [دعا ، غزا] قبيحة إلا إذا كان هناك ما يبررها ككسرة تسبق ألف المد كما في إمالة «ربا» التي قرأ بها الكسائي وحمة .

هذا ولا نستطيع أن نتصور كيف جعل النحاة الإمالة ، من الأمور الجائزة!! فقد قرروا أن كل ممال يجوز فتحه ! ولو صح هذا القول لأمكن أن نتصور أن من القبائل من كانوا يميلون ويفتحون كما تشاء لهم أهواؤهم ، وذلك أمر لا يقبله اللغوي الحديث ؛ إذ ليس الأمر أمر مواضعة مقصودة متعمدة ، وإنما هو عادة لكل قبيلة . فذلك التي تميل لا تستطيع غير الإمالة ، وتلك التي تفتح لا تطاوعها

ألسنتها بغير الفتح . فالمسألة لا تعدو أن تكون عادة ككل العادات اللغوية ، يتوارثها الخلف عن السلف دون شعور بها . فكان واجب النحاة أن يقولوا إن الإمالة لا مفر منها عند تلك القبيلة التى تميل فى كلامها إليها ، والفتح واجب عند من لا يستطيعون غيره كمعظم الحجازيين . أما إذا كان النحاة قد أرادوا بجواز الإمالة أنه يجوز لنا الآن حين نقرأ القرآن الإمالة أو الفتح ، فهذا أمر آخر لا نعرض له هنا بشئ .

ولا تزال الإمالة شائعة فى كثير من اللهجات العربية الحديثة ، ولم تتم معرفتنا بقواعد الإمالة وأصولها فى العصور الإسلامية الأولى إلا بالاستعانة بقواعدها وأصولها فى اللهجات الحديثة حين تدرس دراسة علمية كافية ، وهو ما نرجو أن تتكفل به بحوث المستقبل .

- ٢ -

الإدغام

نؤثر هنا استعمال هذا الاصطلاح القديم ونعنى به ما يشير إليه المحدثون من تأثر الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور . ويسمى المحدثون هذه الظاهرة اللغوية Assimilation . ولقد أطلقت عليها فى كتاب الأصوات اللغوية كلمة «المماثلة» لأن شرط تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض أن تكون متشابهة فى المخرج أو الصفة . فإذا اجتمع صوتان متماثلان كل المماثلة أو بعضها ترتب على هذا أن يؤثر أحد الصوتين فى الآخر تأثيراً تختلف نسبته تبعاً للظروف اللغوية الخاصة بلغة من اللغات .

ويقسم المحدثون تأثر الأصوات إلى نوعين :

١ - رجعى Regressive وفيه يتأثر الصوت الأول بالثانى .

٢ - تقدمى Progressive وفيه يتأثر الصوت الثانى بالأول .

وتختلف اللهجات فى الخضوع لنوع من هذين النوعين . فمن اللهجات ما يؤثر النوع الأول كلهجات اللغة الفرنسية ، ومنها ما يلتزم النوع الثانى كلهجات اللغة الإنجليزية .

وقد اشتملت اللغة العربية على هذين النوعين من التأثير ، وإن كان النوع الأول أكثر شيوعاً فيها .

ولم يعرض القراء فى كتبهم إلا للنوع الأول ، أى التأثير الرجعى ، وهو الذى يتأثر فيه الصوت الأول بالثانى تأثيراً كاملاً يترتب عليه أن يفنى الصوت الأول فى الثانى بحيث ينطق بالصوتين صوتاً واحداً كالثانى .

وقد سموا هذا التأثير فى كتبهم بالإدغام ، ثم قسموا الإدغام إلى كبير ، وهو الذى يفصل فيه بين الصوتين الساكنين صوت لين قصير (أى حركة) . وقد نسب هذا الإدغام إلى أبى عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة . وهذا النوع من الإدغام يتطلب عمليات صوتية معقدة قبل أن يتحقق ، فضلاً عن أنه لم ينسب إلى قبيلة خاصة عرفت به وأثرته فى نطقها .

أما النوع الثاني للإدغام عند القراء فهو الإدغام الصغير ، وفيه يتجاوز الصوتان الساكنان ، دون فاصل من أصوات اللين ، وهو الذي شاع في معظم اللغات ، لأن شرط تأثر صوت بآخر هو التقاءهما التقاء مباشراً .

ويظهر أن أبا عمرو بن العلاء كان لا يلتزم في قراءته النطق بالحركات الإعرابية أو الحركات الواقعة على أواخر تلك الكلمات ، مما يترتب عليه التقاء الحرف الأخير من الكلمة السابقة بالحرف الأول من الكلمة اللاحقة . فإذا تشابه الحرفان أو تقاربا في الصفة أدى هذا إلى تأثر أحدهما بالآخر . ومما قد يستأنس به للدلالة على طريقة أبي عمرو ما روى عنه من قراءات كثيرة سقطت منها الحركات الأخيرة للكلمات مثل :

إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة

فإن صح هذا التفسير لقراءة أبي عمرو لم يكن هناك فرق بين إدغامه وما يسمى بالإدغام الصغير .

والإدغام أو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، ظاهرة صوتية تحدث كثيراً في البيئات البدائية حيث السرعة في نطق الكلمات ، ومزجها بعضها ببعض ، فلا يعطى الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النطق به .

ويظهر أثر هذا بجلاء ووضوح بين البدو وفي القبائل الرحل التي لا تكاد تستقر على حال . فإذا تذكرنا أن البيئة العراقية قد نزحت إليها قبائل أقرب إلى البداوة ممن عاشوا في البيئة الحجازية ، أمكننا أن نتصور أن الإدغام كان أكثر شيوعاً في لهجات القبائل النازحة إلى العراق . أما البيئة الحجازية ، فقد كانت بيئة استقرار وبيئة حضارة نسبياً ، فيها يميل الناس إلى التأنى في النطق ، وإلى تحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها .

نحن إذا نتوقع أن تروى لنا لهجات العراق مشوبة بأمثلة كثيرة لظاهرة الإدغام وتأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض . أما في البيئة الحجازية فننتوقع نسبة قليلة جداً من تلك الأمثلة الإدغامية .

نسائل أنفسنا بعد هذا : هل ظهر أثر هذه الحقيقة الصوتية في قراءات العراق وقراءات الحجاز ؟

إذا استعرضنا آراء القراء في إدغام الأمثلة القرآنية أو إظهارها وجدناهم طائفتين :

١ - منهم من يؤثر الإدغام وهم : أبو عمرو ، والكسائى ، وحمزة ، وابن عامر ، وخلف ، وإن اختلفت النسبة بينهم .

٢ - أما الذين يؤثرون الإظهار فهم : ابن كثير ، ونافع ، وأبو جعفر ، وعاصم ، ويعقوب ، بنسب مختلفة أيضاً .

فعمن أخذ هؤلاء وهؤلاء ؟ وبأى القبائل تأثروا فى ميلهم للإدغام أو الإظهار ؟ الحق أن الإجابة عن مثل هذا التساؤل ليست بالأمر الهين اليسير ، لأن أصحاب الإدغام ليسوا جميعاً من بيئة واحدة ، ومنهم الكوفى كالكسائى وحمزة وخلف ، ومنهم البصرى كأبى عمرو ، ومنهم الشامى كابن عامر . كذلك أصحاب الإظهار ليسوا من بيئة واحدة ، ومنهم الكوفى كعاصم ، والبصرى كيعقوب ! غير أنه من الممكن أن نعزو الإدغام بصفة عامة إلى البيئة العراقية ، والإظهار بصفة عامة إلى البيئة الحجازية .

وقد ظهر لنا حين التحدث عن الإمالة أن «عاصما» قد خالف بيئته فى الميل إلى الفتح فلا غرابة أن يخالف بيئته هنا أيضاً .

أما ميل ابن عامر لأصحاب الإدغام ، وميل يعقوب لأصحاب الإظهار فمن الصعب تعليله .

نستطيع بعد هذا أن نستنبط أن القبائل التى أثرت فى البيئة العراقية كانت تميل لهجاتها بوجه عام إلى الإدغام ، وأن قبائل الحجاز كانت تميل إلى الإظهار .

وقد عرفنا من قبل أن البيئة العراقية قد تأثرت بقبائل وسط الجزيرة وشرقيها . وعلى هذا فيمكن الحكم على أن القبائل التى عرفت بالإدغام هى :

تميم - طىء - أسد - بكر بن وائل - تغلب - عبد القيس .

وأن القبائل التى أثرت الإظهار هى :

قريش - ثقيف - كنانة - الأنصار - هذيل .

فالقبائل العربية إذاً قد انقسمت إلى طائفتين : الأولى تؤثر الإدغام والثانية تؤثر الإظهار .

وقد يلقي ضوءاً على هذا التقسيم ما أجمعت عليه الروايات اللغوية من أن «تميماء» التى اتخذت دائماً مثلاً لقبائل وسط الجزيرة قد روى عنها أنها كانت تقول «محّم» بدلا من «معهم» فقد قلبت العين المجهورة إلى نظيرها المهموس وهو الحاء

لمجاورتها لصوت مهموس وهو الهاء ، ثم أدغمت الهاء في الحاء إدغاماً تقديمياً على غير العادة في الإدغام العربي . كذلك روى عن تميم أنها كانت تقول «فزد» بدلاً من «فزت» أي أن التاء المهموسة قد قلبت إلى نظيرها المجهور وهو الدال ، وذلك لمجاورتها لصوت مجهور وهو الزاي . كذلك قيل لنا إن لهجة نجد في كلمة «وتد» هي «ود» .

ويظهر ميل تميم إلى الإدغام حين نتذكر ما يشير إليه النحاة من أن قبيلة تميم قد عرفت بإدغام المثليين في مثل «لم يحل» في حين أن الحجازيين كانوا يقولون «لم يحال» .

وقد جاء القرآن الكريم غالباً بلهجة الحجازيين نحو [إن تمسكم حسنة] ونحو [من يحلل عليه غضبى] ونحو [واغضض من صوتك] ونحو [ولا تمنن تستكثر] ، وقد ورد التنزيل على لهجة تميم [ومن يرتد] ونحو [ومن يشاق الله] (١) . ويقول جرير وهو من تميم :

فغضّ الطرق إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

ويظهر أن الظاهرة كانت من الظواهر التي اعترفت بها بشقيها اللغة النموذجية الأدبية ، ولم تعد بعد أن جاءت في القرآن الكريم من ظواهر اللهجات . فهي في أصلها من الظواهر التي كانت تفرق بين قبائل وسط الجزيرة وشرقيها وبين البيئة الحجازية ، لكنها صارت فيما بعد صفة من صفات اللغة الأدبية المشتركة بين جميع القبائل .

كذلك مما قد يلقي ضوءاً على هذا التقسيم ما روته كتب القراءات من أن حمزة والكسائي وخلفاً ، كانوا يقرءون [أصدق ، تصديق ، يصدفون ، فاصدع قصد ، يصر] وما أشبه ذلك مما سكنت فيه الصاد وأتى بعدها دال ، كانوا يقرأون هذه الأمثلة بإشمام الصاد صوت الزاي : ومعنى إشمام الصاد صوت الزاي أن ينطق بها ظاء كتلك التي نسمعها من أفواه العوام في مصر أي أن تكون ظاء غير لثوية .

والسر في مثل هذا النطق هو مجاورة الصاد التي هي صوت مهموس للدال التي هي صوت مجهور ، فتأثر الصوت الأول بالثاني ، وأصبح مجهوراً مثله ،

(١) (ومن يرتد) في سورة المائدة ، (ومن يشاق) في سورة الحشر . على أن المدنيين نافعاً وأباً جعفر قد روى عنهما قراءة المثل الأول ومن «يرتد» .

وحين نجهر بالصاد تصبح تلك الظاء المعروفة بين العوام في مصر ، بل هي شائعة بين معظم الخاصة الآن في بلادنا إذ ينطقون بالطاء غير لثوية .

فنحن نلاحظ في مثل هذه الأمثلة ميل بعض القراء إلى تأثر الصوت الأول بالثاني ، وإن لم يبلغ التأثر حد فناء الصوت الأول في الصوت الثاني .

وإذا علمنا أن حمزة والكسائي وخلفاً ؛ ممن ينتمون إلى البيئة العراقية ، استطعنا أن ندرك بسهولة أن تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، قد شاع في هذه البيئة أكثر من غيرها ، لأن انقراء من البيئة الحجازية يقرأون هذه الأمثلة بالصاد الخالصة . بل لقد جاء في بعض الروايات أن ظاهرة إشماع الصاد الزاى كانت شائعة في قبيلة طى ، وهو ما يؤيد ما نذهب إليه . فقد كانوا يقولون «الزقر» بتفخيم الزاى بدلا من «الصقر» .

نستنتج إذاً أن الحجازيين بوجه عام كانوا يلتزمون الإظهار ، ويحترزون من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، وهذا لا يتأتى إلا بمراعاة الدقة في النطق والثاني والتؤدة في الأداء ، بحيث يظهرون كل صوت ويعطونه حقه من جهر وهمس أو شدة ورخاوة .

وليس ينقض هذا الحكم ما عرف عن الحجازيين من عدم الهمز ، لأن للهمزة حكماً خاصاً يخالف كل أصوات اللغة ، مما سنعرض له فيما بعد .

- ٣ -

الهمز

تروى كتب الأدب أن أحد الرواة سأل رجلاً من قريش قائلاً : « أتهمز الفأرة ؟ » ، فلم يظن المسئول لما أراد السائل وأجاب ساخراً : « إنما يهمزها القط » .
وقد أراد اللغوي أن يعرف ما إذا كان القرشيون يلتزمون بتحقيق الهمزة في كلامهم .

وتكاد تجمع الروايات على أن التزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة نعيم ، في حين أن القرشيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مد .

على أنه قد روى أيضاً أن بعضاً من نعيم يقبلون الهمزة الساكنة إلى صوت لين من جنس حركة ما قبلها فيقولون في :

رأى . بئر . لؤم

على الترتيب :

رأس . بير . لوم

ويضيق المقام هنا عن تفصيل أحكام الهمزة كما روتها كتب القراءات ، فقد فضلت لها أبواب مستفيضة حين تكون منفردة ، وحين تجتمع همزتان . ولقد تعرضت الروايات القرآنية لكل مثل منها في القرآن الكريم ونسبت حكم الهمزة فيه من تحقيق أو غيره إلى بعض القراء .

ولا يكاد المرء يصل إلى حكم خاص يمكن نسبته إلى بيئة معينة ، نظراً لاختلاف القراء في أحكام الهمزة اختلافاً يطول شرحه . غير أننا نلاحظ بوجه عام أن كتب القراءات تكاد تجمع على أن أبا جعفر ونافعاً من رواية ورش ، قد اختلفا من تحقيق الهمزة ، ولا غرابة في ذلك فهما أشهر قراء المدينة ، ومن البيئة الحجازية التي اشتهر عنها عدم الهمز .

ولو أن ابن كثير، اشترك معهما في تلك الصفة ، لاستطعنا بسهولة أن نحكم على أن القراء قد التزموا ما عرف عن بيئتهم من الهمز أو عدمه . ولكن

كما قررنا آنفاً قد خالف بعض القراء أحياناً في قراءاتهم صفات اللهجات التي شاعت بين ظهرانهم . ولئن خالف ابن كثير، في تسهيل الهمز ومال إلى تحقيقه وهو مكى، لقد خالف عاصم في الإمالة والإدغام رغم أنه كوفي .

نستطيع إذاً أن نرجح تلك الروايات التي نسبت تحقيق الهمزة لتميم وغيرهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها ، وأن ننسب التخلص من الهمزة لمعظم البيعة الحجازية .

بقي أمر لابد من علاجه هنا ، وهو كيف تأتى أن البيعة الحجازية التي عرفت بالتأني في الأداء ، ولم يشتهر عنها إدغام أو إمالة ، أن تعمل على التخلص من الهمزة في نطقها ؟ إذ التخلص من الهمزة نوع من الميل إلى السهولة والبعد عن التزام التحقيق في النطق بالأصوات ؟

الحق أن التخلص من الهمزة لم يكن شائعاً في كل القبائل الحجازية ، بل منها من كانوا يؤثرون تحقيقها . ويدل على هذا قراءة ابن كثير، الذي التزم تحقيق الهمزة . هذا إلى أن للهمزة حكماً خاصاً يخالف جميع الأصوات الأخرى . لأنها صوت ليس بالمجهور ولا المهموس ، وهى أكثر الأصوات الساكنة شدة ، وعملية النطق بها وهى محققة من أشق العمليات الصوتية ، لأن مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها ثم تنفتح فجأة ، فنسمع ذلك الصوت الانفجاري التي نسميه بالهمزة المحققة .

لهذا مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منها في النطق . فليس غريباً أن يتخلص منها أيضاً معظم الحجازيين ، وإنما الغريب أن يحققها قراء البيعة العراقية الذين عرف عنهم الميل إلى التسهيل من إدغام وإمالة ! على أن اللهجات لا تلتزم دائماً حالة واحدة في كل صفاتها ، بل أحياناً تخرج عن تلك الظاهرة التي اقتصت بها ، لظروف لغوية خاصة ، وحينئذ يكون واجب الباحث المدقق الكشف عن تلك الظروف الخاصة ، وإذا نظرنا إلى اللهجات على أنها من المظاهر الاجتماعية ، وأنها تخضع في قواعدها وأصولها لظروف المجتمع والبيعة ، لم يقلقنا وجود ظاهرة لغوية قد تبدو غريبة أو شاذة عما عرف عن لهجة من اللهجات .

فليست القوانين التي تخضع لها اللهجات كالقوانين الطبيعية في الكون ، تلتزم حالة واحدة لا شذوذ فيها ، بل يكتفى اللغوي عادة حين يحكم على صفات لهجة من اللهجات بالحكم على الكثرة الغالبة من صفاتها .

على أنه من الممكن أن ننسب تحقيق الهمزة إلى اللغة الأدبية النموذجية التى أشرنا إليها آنفاً ، لغة الخاصة التى كانت تلتزم فى الخطب والشعر ، وعلى هذا فليس تحقيق الهمزة من صفات اللهجات العربية التى نريد أن نعرض لها هنا .

ويبدو أن رأى الأخير هو الراجح . فظاهرة الهمز من تحقيق أو تسهيل كانت فى أصلها من الأمور ، التى فرقت بين لهجات وسط الجزيرة وشرقيها وبين لهجات البيئة الحجازية . فلما نشأت اللغة النموذجية الأدبية قبل الإسلام اتخذت تحقيق الهمزة صفة من صفاتها ، وشاع هذا بين الخاصة فى جميع القبائل العربية ، ولما جاء الإسلام وجد تحقيق الهمز صفة من صفات الفصاحة يلتزمها الخاصة من العرب فى الأسلوب الجدى من القول ، وإن ظلت فى الوقت نفسه شائعة بين اللهجات البدوية كلهجة تميم ومن على شاكلتهم . ولهذا يعد تحقيق الهمز من أبرز الأمور التى اقتبستها اللغة النموذجية من غير البيئة الحجازية .

فاللغة النموذجية الأدبية وإن اتخذت معظم صفاتها من البيئة الحجازية قد تضمنت أيضاً بعض الصفات القليلة التى تنتمى لبيئة أخرى ، ومن بينها تحقيق الهمز الذى عرفت به تميم ، بل شاع عند أكثر البدو ، فقد كانوا يحققون الهمز ويعتزون بتحقيقه فى نطقهم . وقد روى عن عيسى بن عمر الثقفى أنه قال : « لاأخذ من قول تميم إلا بالنبر ، أى تحقيق الهمز . فهذا العالم النحوى كان يدرك تمام الإدراك أن تحقيق الهمز صفة من صفات تميم وأن هذه الصفة أوضح الصفات التى اقتحمت حصون اللغة الأدبية المشتركة ، تلك اللغة التى اعتز بها هو وأمثاله من العلماء الأول . فبينما يرى الصفات الأخرى لتمييم أقل مرتبة فى الفصاحة من نظائرها فى اللغة النموذجية ، يرى أن همز تميم هو الذى ساد بين الخاصة من العرب ، وأصبح لا ينتمى إلى تلك القبيلة بقدر ما ينتمى إلى اللغة النموذجية الأدبية .

والحجازيون وإن كانوا فى لهجات الخطاب يسهلون الهمز ، فقد التزموا تحقيقها فى الأساليب الأدبية من شعر أو خطابة ، أى كانوا يلجأون إلى تحقيق الهمز كلما عن لهم أمر جدى يتطلب استعمال اللغة النموذجية الأدبية . هذا هو معنى ما جاء فى الجزء الأول من لسان العرب : « قال أبو زيد : أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون^(١) ، وقف عليها عيسى بن عمر فقال : ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذ اضطروا نبروا .

(١) أى لا يهمزون . صفحة ١٤ .

فليس لهذا الاضطرار من معنى سوى أنهم كانوا يهمزون حين يلجأون إلى اللغة النمذجية وفي المجال الجدى من القول ، فيحتنذ يخرجون عن عاداتهم وسليقتهم في تسهيل الهمز .

ولنا عود إلى حديث الهمز حين نتحدث عن لهجات الحضر ولهجات البدو. أما كيف تخلصت لهجات الحجاز من الهمزة فيتضح مما روى عن قراءة أبي جعفر ونافع التي يمكن أن تلخص فيما يلي :

(أ) إذا سكنت الهمزة وتحرك ما قبلها قلبت حرف مد مناسب لتلك الحركة
مثل :

يؤمنون . بئس . فأذنوا

قرئت على الترتيب :

يومنون . ببس . فاذنوا

(ب) الهمزة المتحركة وقبلها متحرك لها الأحوال الآتية :

١ - أن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها ضم ، ويغلب في هذه الحالة أن تبدل الهمزة واواً مثل :

يؤاخذ . الفؤاد . هزواً

قرئت على الترتيب :

يواخذ . الفواد . هزوا

٢ - أن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها مكسور ، وحينئذ تبدل الهمزة ياء مثل :

رياء الناس . خاسياً

قرئنا على الترتيب :

رياء الناس . خاسياً

٣ - أن تكون الهمزة مضمومة وقبلها كسر وبعدها واو ، وحينئذ تحذف الهمزة ويضم ما قبلها ليناسب الواو مثل :

«مستهزئون» قرئت «مستهزون»

٤ - أن تكون مضمومة وقبلها فتح ، وحينئذ تحذف الهمزة مثل :

«ولا يطؤون» قرئت «ولا يطؤون»

٥ - أن تكون مكسورة بعد كسر ، حينئذ تحذف الهمزة مثل :

«متكئين» قرئت «متكين»

٦ - أن تكون الهمزة مفتوحة بعد فتح ، وحينئذ تسهل الهمزة بين بين (١)

مثل :

أرايتكم

(ح) الهمزة المتحركة وسكن ما قبلها ، تنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، وتحذف الهمزة سواء كان هذا في كلمة واحدة أو كلمتين مثل :

«والأخرى» قرئت «ولخرى»

«من إله» قرئت «من آيه»

وقد اشتهرت هذه القراءة عن ورش القارئ المصري الذي تعلم في المدينة .

(١) أنظر كتاب الأصوات اللغوية ص ٧٤ .

الفصل الرابع

عناصر اللهجات العربية وقبائلها

روت كتب اللغة والأدب مما ألف القدماء من علماء العربية ، صفات عدة للهجات القديمة ؛ ونسبت بعضاً منها إلى قبائل معينة ، والبعض الآخر اكتفت بالإشارة إليه على أنه مما كانت تقوله العرب .

وقد تناثرت تلك الروايات في ثنايا الكتب ، وفي مناسبات شتى ، فأحياناً نراها في جدل النحاة حين تعرض مسألة نحوية ويحاول بعض النحاة تخريجها على رأى قبيلة خاصة ، والبعض الآخر يتأولونها على رأى آخر روى عن قبيلة أخرى ، وكل من الفريقين يتمسك برأيه ويتعصب له . وقد نجد الإشارة لصفات اللهجات في الروايات الأدبية ، أو حين التحدث عن قبيلة من القبائل العربية .

ولا بد للإحاطة بكل ما روى عن لهجات القبائل العربية من البحث والتنقيب فى بطون المؤلفات القديمة ، وجمع كل ما يمكن جمعه ، ثم ترتيبه وتبويبه والعمل على تحقيق تلك الروايات وإخراج الزائف منها .

ولسنا ندعى هنا أننا قد أحطنا بكل تلك الروايات كما رويت فى المؤلفات القديمة ، وإنما نرمى إلى علاج ما اشتهر من تلك الصفات علاجاً علمياً يكشف الطريق أمام طالب اللغة العربية فى بحوثه المستقبلية . وعلى هذا فسنعرض هنا لأشهر ما روى عن اللهجات القديمة من صفات .

- ١ -

ما يتعلق بالإعراب

روى النحاة في المطولات من كتبهم عدة مسائل اختلف فيها الرأي بينهم وقد نسبوا هذا الخلاف الإعرابي إلى قبائل معينة على أنها لهجاتهم وما تستطيعه ألسنتهم .

ويمكن أن نلخص بعض تلك المسائل فيما يلي :

١ - ينصب الحجازيون خبر ليس مطلقا ، ولكن بنى تميم يرفعونه إذا اقترن «بإلا» حملا لها على «ما» .

ثم يروى النحاة لهذا قصصاً ليس مصدرها في الحقيقة إلا الصراع العلمي بين طائفتين منهم ، فقد زعموا أن الأصمعي قال : «كنا عند أبي عمرو بن العلاء يوماً ، فجاء عيسى بن عمر الثقفي فقال : يا أبا عمرو ما شيء بلغني عنك تجيزه ؟ قال ما هو ؟ قال بلغني أنك تجيز ليس الطيب إلا بالمسك ! فقال أبو عمرو : هيهات ، نمت وأدلع الناس ، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ، ولا تميمي إلا وهو يرفع ! ثم قال لليزيدي وخلف الأحمر : اذهبوا إلى أبي المهدى ولقناه الرفع فإنه لا يرفع ، ولأبي المنتجع بن نبهان التميمي ولقناه النصب فإنه لا ينصب . فذهبوا إلى أبي المهدى فوجداه يصلي ، فلما قضى صلاته التفت إليهما وقال : ما خطبكما ؟ قالا جئنا نسألك عن شيء من كلام العرب ، فقال هاتيا ، قالا : كيف تقول ليس الطيب إلا المسك ؟؟ فقال أتأمراني بالكذب على كبير سني ؟! فأين الزعفران وأين الجاوي ؟! فقال خلف : ليس الشراب إلا العسل ، فقال : فما يصنع سودان هجر ؟ ما لهم شراب غير هذا التمر . قال اليزيدي : فلما رأيت ذلك منه قلت له : ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله والعمل بها . فقال هذا كلام لا دخل فيه ، ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله ، فقال اليزيدي : ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله والعمل بها . فأعادها أبو المهدى بالنصب وقال لهما : ليس هذا لحني ولا لحن قومي . ثم أتيا أبا المنتجع فقال له خلف : كيف تقول ليس الطيب إلا المسك ؟! فقالها ورفع ، فجهدا به أن ينصب فأبى إلا الرفع . ثم رجعا إلى أبي عمرو بن العلاء وأخبراه الخبر وعيسى عنده لم يبرح ، فأخرج عيسى خاتمه من يده وقال له : ولك الخاتم بهذا ، والله فقت الناس !

٢ - قسم النحاة «ما، النافية إلى حجازية وتميمية ، وقرروا أن خبر «ما، يكون منصوباً عند الحجازيين ، ومرفوعاً عند بني تميم . وقد اشترط النحاة شروطاً لنصب خبر «ما، عند الحجازيين ، مما هو معروف في المطولات من كتب النحو .

٣ - ينصب الخبر بعد «إن، النافية في لهجة أهل العالية ، ويرى أنه سمع من بعضهم [إن أحد خيراً من أحد إلا بالعافية] .

٤ - بنو أسد يصرفون مالا ينصرف ، ويقع منهم ذلك فيما علة منعه الوصفية وزيادة الألف والنون ، فيقولون [لست بسكران] .

٥ - لهجة تميم تنصب تمييز «كم، الخبرية مفرداً ، ولهجة غيرهم توجب جره وتجزئ أفرادها وجمعه . فبنو تميم يقولون : كم درهما أنفقت ! وغيرهم يقولون : كم درهم أنفقت ! وكم عبيد ملكت ! ولهذا كان قول الفرزدق [كم عمة لك يا جرير وخالة] موضع نقاش وجدل بين النحاة يمكن الرجوع إليه في المطولات من كتبهم .

٦ - «لعل، تعمل الجر في اسمها عند عقيل ، قال شاعرهم :

لعل الله فضلكم علينا ...

٧ - وتعمل «متى، عمل «من، الجارة عند هذيل ؛ قال شاعرهم :

شرين بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نلجج

٨ - نصب الاسم والخبر «بليت، لغة تميم أو رؤية الذي هو من تميم^(١) .

هذه هي بضع أمثلة مما روى النحاة في كتبهم ، ونسبوه إلى اختلاف اللهجات العربية . والحق أن هذا النوع من الاختلاف الإعرابي لا يمت للهجات العربية بصلة ، وإنما هو من صناعة النحاة حين اشتد الجدل بينهم وحاول كل فريق أن يأتي بجديد في تلك القواعد الإعرابية التي ملكت عليهم مشاعرهم ، وصرفتهم عن كثير من البحوث القيمة في اللغة . فلم تكن لهجات الكلام عند القبائل تلزم الإعراب على الصورة التي رويت لنا في كتب النحاة ، وإنما التزم الإعراب على تلك الصورة في اللغة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم ونظم بها الشعر . وقد كان الإعراب من الظواهر اللغوية التي عنى بها الخاصة من العرب في خطبهم وشعرهم ، وعدّ بينهم مما يفخر به الأديب ويمهر في مراعاته . أما في

لهجاتهم ولغة التخاطب بينهم فلا نكاد نعلم شيئاً عن قواعد إعرابهم ، وعمما التزموه في تحريك أواخر الكلمات أو إسكانها . فالإعراب كما نعرفه لم يكن إلا مسألة مواضعة بين الخاصة من العرب ، ثم بين النحاة من بعدهم ، ولم يكن مظهراً من مظاهر السليقة اللغوية بين عامة العرب . ويدل على هذا شعورهم بقواعده وقوانينه منذ العهد الجاهلي ، فإذا خرج أديب عن تلك القواعد عيب عليه هذا .

والأ فكيف نتصور من الناحية الصوتية أن لساناً يعجز عن نصب خبر «ما» أو نصب اسم «لعل» ، أو جر تمييز «كم» ، الخبرية ؟!

فمراعاة الناحية الإعرابية كانت من صفات اللغة الأدبية ، بل لقد كون فيها عنصراً عظيم الأهمية ، عد منذ الجاهلية مقياساً من مقاييس الفصاحة .

ويظهر هذا الاهتمام بظاهرة الإعراب في تلك اللغة الأدبية ، من تلك الأمثلة التي يسوقونها للحن بعض الشعراء والكتاب ، فقد روي أن رجلاً لحن في حضرة النبي فقال رسول الله : أرشدوا أخاكم . ولا يعقل أن صاحب السليقة اللغوية يخطئ إلا إذا كان ينطق بلغة خاصة ، يتمسك فيها بقواعد وأصول لا تراعى في حياته العادية حين ينطلق على سجيته . كذلك سمع عمر بن الخطاب لحناً من الأعراب ، وكذلك علي بن أبي طالب . وقد عاب العرب على النابغة الذبياني ويشر بن أبي خازم الإقواء في شعرهما . وليس الإقواء في الحقيقة إلا لحناً في الإعراب وخروجاً عن قواعده . ولم يستطع أحد أن يصارح النابغة ، وهو من خاصة الخاصة ، بهذا العيب ، حتى دخل يثرب مرة فأسمعوه غناء قوله :

أمن آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم البوارخ أن رحلتنا غداً وبذاك حدثنا الغراب الأسود

فقطن لهذا وغيره إلى قوله [وبذاك تنعاب الغراب الأسود] .

كما عيب على الفرزدق قوله :

وعض زمان يابن مروان لم يدع من الناس إلا مسحاً أو مجلف

وأمثلة هذا اللحن الإعرابي فيما سموه بعصور الاحتجاج كثيرة ، ملئت بها كتب اللغة والأدب ، وكلها تدل على قدر اهتمام القوم بناحية القواعد الإعرابية منذ العصر الجاهلي^(١) .

(١) انظر قصة الإعراب صفحة ١٢٥ من كتاب «أسرار اللغة» للمؤلف.

- ٢ -

ما يتعلق بالناحية الصوتية

حين نعتمد على تلك الروايات المبتورة الناقصة التي رويت لنا متناثرة في بطون كتب اللغة والأدب ، نجد أنفسنا أمام صفات صوتية نسبت لبعض القبائل دون تحقيق كاف في الرواية والنقل . فلا عجب أن يتخللها لهذا ، بعض الخلط وبعض اللبس الذي لا سبيل إلى التخلص منه إلا بعد دراسة اللهجات الحديثة دراسة مستفيضة مبنية على أسس علمية صحيحة . على أننا حين نستعرض تلك الروايات ، أو بعبارة أدق ما اشتهر عنها ، نستطيع أن نقسم القبائل العربية بصفة عامة إلى طائفتين ، يشترك أفراد كل طائفة في صفات صوتية واحدة :

١ - فهناك قبائل عربية عاشت في صحراء الجزيرة منعزلة ، مما أدى إلى اصطباجها بصبغة خاصة .

٢ - وهناك قبائل متحضرة عاشت في بيئة حضرية قريبة من المدن العربية أو في ديار المدن نفسها ، وتلك قد اتصفت بصفات صوتية تخالف صفات الأولى . وقد اتصلت هذه القبائل في بيئتها الحضرية بلغات أجنبية أثرت في لهجتها إلى حد ما ؛ فالقبائل التي عاشت في مدن الحجاز أو متاخمة لها ، وبعض التي عاشت في مدن اليمن المتحضرة ، وكذلك تلك التي اتصلت بعض الاتصال بمدن العراق ، نراها جميعاً ذات صبغة واحدة ، تخالف تلك التي انعزلت في صحراء الجزيرة وباديته .

وقد نجد بعض صفات قليلة مشتركة بين هؤلاء ، ويصعب في بعض الأحيان تبريرها ، ولكن حين تتم معرفتنا بتنقلات تلك القبائل ، واتصالها بغيرها ، سنعرف السر في هذا الاشتراك . فلعل من القبائل البدوية ما تأثر في بعض النواحي ببيئة حضرية ، وكذلك العكس .

- ٣ -

عوامل التطور وعوامل الجمود

يعرض المحدثون في علاجهم للهجات وتتبعها في أزمنة مختلفة إلى الحديث عما يمكن أن يسمى بعوامل التطور ، وعوامل الجمود أو الاستقرار ، ويكادون يجمعون على أن لهجات البيئات البدائية ، تختلف عن لهجات البيئات الحضرية في نسبة الخضوع لهذه العوامل . ففي كل بيئة لغوية ظروف تدفع إلى تطور الكلام وتغييره في كثير من الظواهر ، وظروف أخرى تعمل على استقرار هذه الظواهر وتحصنها فلا يطرأ عليها تغيير أو تحور . غير أن الغلبة تكون دائماً لعوامل التطور ، فلا تبقى اللهجة في كل ظواهرها على حال واحدة بعد مرور قرن أو قرنين . وهذا هو ما يفسر لنا اختلاف نسبة التطور في اللهجات المتباينة . ففي بعض اللهجات نراه شديداً يصيب كل نواحي اللهجة وظواهرها ، وفي البعض الآخر نرى التطور ضئيلاً لا يكاد يعدو أموراً معينة في هذه اللهجة .

فإذا نحن استعرضنا بيئات القبائل العربية على ضوء تجارب المحدثين من علماء اللغات توقعنا أن نرى شبيهاً كبيراً بين ما يسمونه بالبيئات البدائية ، وبين حياة البدو والقبائل البدوية . ففي القبائل البدوية التي لا تكاد تستقر على حال عوامل تسارع بلهجاتها إلى التطور والتغير :

(١) فالانعزال بين الجيل الناشئ وجيل الكبار حولهم لا يتيح الفرص الكافية لتلقى اللغة عن الآباء والأمهات وتكرر سماع الألفاظ والعبارات ، مما يترتب عليه نقص في التقليد والمحاكاة . ففي مثل هذه البيئات قد تدعو ظروف الحياة ومشقة العيش إلى انشغال الآباء والأمهات عن أطفالهم فلا يتصلون بهم إلا لماماً . وهنا ينشأ الطفل بعيداً عن أهله بعض البعد ، مستقلاً عنهم بعض الاستقلال ، فلا يسمع منهم إلا قليلاً ، ولا يتلقى عنهم إلا نادراً . وأساس النمو اللغوي هو المحاكاة وتكرار السماع . ولا يتقن الطفل تقليد لغة الكبار ونطقهم إلا بتكرار السماع منهم في كل ساعة من ساعات اليوم . بل إن التقاليد في بعض البيئات البدائية تأبى اتصال الطفل بأبيه اتصالاً وثيقاً ، فلا يكاد يتحدث معه ، ويعد حديث الطفل أمام الكبار ذنباً لا يغتفر ، فكأنهم يتصورون الطفل قد خلق ليرى لا يسمع . فلا يسمع الطفل

من الكبار حوله إلا قليلا ، ولا يجد منهم من يصلح نطقه أو يهديه فى كلامهم ، فينشأ هذا الطفل معتمداً على نفسه حيناً وعلى الصغار من أمثاله حيناً آخر ، يقيس ما لم يسمع على ما سمع ، وقد يخطئ فى هذا القياس ويذيع هذا الخطأ بين لداته من الأطفال ، وينطق بالأصوات منحرفة بعض الانحراف ، فلا يجد من يقوم له نطقه ، ويشب عليه دون شعور منه أو ممن حوله من الكبار . وهكذا نرى الجيل الناشئ قد اصطنع طريقة أخرى فى نطق بعض ألفاظه وعباراته ، وكون لنفسه خصائص تشيع بينهم وتصبح فيما بعد صفة جديدة متميزة ، لم تكن من قبل فى لهجة أهلهم وذوهم .

(٢) هذا إلى أن القبائل البدوية دائمة الرحيل والتنقل ، لا تكاد تستقر فى مكان حتى تلجأ إلى غيره فى طلب التجارة أو الكلا ، فتتبدل الحال غير الحال والمناظر غير المناظر على هؤلاء الصغار . فهم فى الجنوب فى منطقة صخرية وفى الشمال فى أخرى رملية ، ولهم فى الجنوب جيران ذوو لهجات ونطق معين قد يخالف جيرانهم فى الشمال . فيترك كل هذا أثراً فى نطقهم ويكون له صدق قوى فى نمو لغتهم .

(٣) فإذا أضيف إلى هذا ما عرف عن البدو من قلة عنايتهم بالنطق وسرعتهم فى الأداء ، وجدنا التطور فى لهجات البدو يأخذ صوراً عدة فى زمن قليل . فليس بين البدو طبقات اجتماعية تقاس بمقاييس الحضرة من رغبة فى تجويد النطق وتخيل الألفاظ . فلا يكادون يتكلمون إلا بقدر ، ولا يعمدون فى كلامهم إلى مستوى خاص يناسب مقام الكلام .

ومع كل هذا أو رغم كل هذا فلبدو من حياتهم القبلية وظروفهم الاجتماعية ما يساعد على استقرار لهجاتهم :

(١) فهم يتعصبون لبعض صفات الكلام التى اشتهرت عنهم ويستمسكون بكل ما يميزهم من غيرهم . وإنما يكون هذا حين يشعرون بمثل هذه الصفات . فإذا عرفوا أن لهم نطقاً معيناً بالقاف أو الهمزة عرف عنهم واشتهروا به ، استمسكوا بمثل هذا النطق لا يحيدون عنه ولا يسمحون لأبنائهم بالحيدة عنه . ويشبه هذا ما نعرفه عن بعض جهات الصعيد فى مصر حين يقولون لأبنائهم : إن من يغير لهجته كمن يغير دينه . ومثل هذه العصبية لا تكون إلا حين يشعرون بصفة معينة ، ويدركون الفرق بينهم وبين غيرهم فيها إدراكاً تاماً . أما حين تكون الصفات غامضة عليهم ، دقيقة على إدراكهم فتراهم لا يكادون يعبأون بها ، بل يتركونها شأنها تتغير فى أفواههم على ألسنتهم دون عمد أو شعور بمثل هذا التغير أو التحور .

(٢) هذا إلى أن انعزالهم عن غيرهم وانطواءهم على أنفسهم وبغضهم لكل ما هو أجنبي عنهم ، لا يسمح بأى تطعيم يمكن أن يصيب لهجتهم من بيئة أخرى.

أما فى البيئة الحضرية فعوامل التطور إن وجدت ، ليس لها القوة نفسها التى نراها عادة فى البيئة البدوية :

(١) ففى الحضر طبقات من الناس تقاس مراكزهم الاجتماعية بمقاييس لغوية فى بعض الأحيان . وتتطلب حياة الحضر العمل على تحسين النطق وتخير العبارات ، حتى ينال المرء ما يشتهى من طموح ومركز اجتماعى . فلا تكاد تتم مراحل نمو اللغة عند أطفال الحضر حتى يرون أنه من الضرورى لهم أن يعملوا على تجويد نطقهم ، وتحسين عباراتهم ، وتخير ألفاظهم كى يصلوا إلى ما يطمحون إليه ويصبح لهم شأن فى وطنهم المتحضر . ولهذا لا يكاد ينحرف أحد منهم فى نطقه أو تقليده للغة الكبار حولهم . فبنشأ الطفل الحضرى بين أحضان أهله مدللاً ، يكثر من الحديث إليه ، ويستمتعون بكل ما ينطق به ، ويراقبون فى متعة وسرور نطق كلامه ، ويصلحون ما يزل فيه أو ينحرف عنه . ويترتب على مثل هذه الظروف حالة من الاستقرار فى لهجة الكلام بين أهل الحضر تفوق نسبياً ما شهدناه بين البدو .

(٢) ومع هذا ففى الحضر ما يمكن أن يساعد على التطور كقبول أهله لكثير من العناصر الأجنبية التى تنزح إليهم ، واتصالهم بكل جديد يطرأ على الحياة الإنسانية ؛ فلمخترعات الجديدة صداها فى ألفاظهم ، وللتجارة الأجنبية أثرها فى كلماتهم ، فهم مستعدون للإعارة والاستعارة فى ألفاظ اللغة وأساليبها أكثر من استعداد البدو لمثل هذا . ولقد كانت مكة فى عصور ما قبل الإسلام مهذاً لتجارة رائجة واسعة النطاق ، وكان ينزح إليها قوم من الأعاجم يؤسسون فيها بيوتاً تجارية عظيمة ، ويجلبون إليها منتجات من كل الأمم المعروفة حينئذ . ولانستطيع أن نتصور كيف يمكن أن يتم هذا دون أن يترك أثراً ما فى لهجة مكة .

ولهذا كله لا ندهش حين نرى الروايات التى رويت عن لهجات البدو تتميز بخصائص ، تخالف تلك التى عرفت عن الحضر . كذلك لا ندهش حين نلاحظ أن لهجة البدو بوجه عام كانت أسرع إلى التطور والتغير ، وأن لهجات البيئة الحجازية ، قد حافظت فى مجموعها على خصائص قديمة تنتمى إلى السامية الأولى .

- ٤ -

صفات اللهجة بين البدو والحضر

١ - الميل إلى الإمالة :

تحدثنا آنفاً عن طبيعة الإمالة من الناحية الصوتية ، وقلنا إنها المرحلة الثانية للصوت المركب الذي يسميه المحدثون Diphthong ، كما قررنا أنه قد تكون إمالة إلى الكسر في حالة ai ، وإلى الضم في حالة au . وقد وقفت القبائل البدوية عند مرحلة الإمالة ؛ ولم تتطور الإمالة في ألسنتهم إلى الفتح كما حدث عند الحجازيين .

وإذا نسبنا الإمالة إلى قبائل وسط الجزيرة وشرقيها فليس معنى هذا أن جميع هذه القبائل يميل بنسبة واحدة ، بل يظهر أن إمالة قبائل وسط الجزيرة كانت تلك الإمالة الشديدة ، أما القبائل المتاخمة لمدن العراق فقد كانت إمالة خفيفة ، أي قريبة من الفتح .

هذا حين تكون الإمالة نتيجة أصل يائي أو وائي كما أشرنا آنفاً كإمالة نحو «باع ، قام» ، أما حين تكون الإمالة نتيجة انسجام بين أصوات اللين كما في إمالة نحو «كتاب» ، فذلك صفة كانت أكثر شيوعاً في القبائل البدوية ، منها في القبائل المتحضرة التي عنيبت بتحقيق الأصوات ومنع تأثرها ببعضها ببعض .

٢ - الميل إلى الضم أو الكسر :

مالَت القبائل البدوية بوجه عام إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضمّة ، لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية . فحيث كسرت القبائل المتحضرة وجدنا القبائل البدوية تضم . والكسر والضم من الناحية الصوتية متشابهان ، لأنهما من أصوات اللين الضيقة^(١) .

لهذا تحل إحداهما محل الأخرى في كثير من الظواهر اللغوية . غير أن الكسر دليل التحضر والرفقة في معظم البيئات اللغوية . فهي حركة المؤنث في اللغة

(٢) انظر الأصوات اللغوية ، ص ٢٨ .

العربية ، والتأنيث عادة محل الرقة ، أو ضعف الأنوثة . ولا شك أن الحضري أميل إلى هذا بوجه عام . هذا إلى أن الياء التى هى فرع عن الكسرة تعدّ العلامة الأساسية للتصغير فى لغتنا العربية . بل إن من المحدثين من يؤكد لنا أن الكسرة فى كثير من اللغات ترمز إلى صغر الحجم والرقة وقصر الوقت^(١) .

ومما نلاحظه أن اللغة العربية فى تطورها إلى اللهجات الحديثة مالت فى غالب الأحيان إلى التخلص من بعض ضماتها ، وإبدال الكسرة بها حين استقرت فى المدن والبيئات المتحضرة .

ولسنا نعى بهذا أن لهجات البدو قد خلت من الكسرات ، أو أن لهجات الحضر لا تعرف الضمات ! وإنما كل الذى نهدف إليه هو أنه إذا رويت لنا الكلمة بروائتين : إحداها تشتمل على ضم فى موضع معين من هذه الكلمة ، والرواية الأخرى تتضمن الكسر فى الموضع نفسه من الكلمة ، رجحنا أن الصيغة المشتملة على الضم تنتمى إلى بيئة بدوية ، وأن المشتملة على الكسر تنتمى إلى بيئة حضرية . كذلك نرجح أن الروائتين أو الصيغتين كانتا تستعملان فى زمن واحد ولكن فى بيئتين مختلفتين . فليست إحداها بالأصل والأخرى فرع عنها ، أو ليست إحداها بمثابة التطور للأخرى ، بل إن الصيغتين قد وجدتا معاً وعاشتا فى عصور ما قبل الإسلام . ويشبه هذا ما نسمعه فى بعض اللهجات المصرية من النطق بكلمات مثل : (زهق وطهق وصغر) مرة بالضم وأخرى بالكسر ، غير أننا نلاحظ أن النطق بالضم يشيع فى البيئات البدائية ، وبين الجفاة الخشنيين من الرجال ، فى حين أن النطق بالكسر نسمعه غالباً فى المدن وفى أفواه النساء بصفة خاصة.

فإذا استعرضنا ما روى لنا عن اللهجات العربية القديمة ، وجدنا قدراً كبيراً من الأمثلة التى تؤيد ما نذهب إليه هنا :

فهناك رواية تجمع عليها كتب اللغة ، وهى تلك الظاهرة التى تسمى بالمعاقبة^(٢) الحجازية . ويفسرها علماء اللغة بقولهم إن الواو فى مثل «صوام» ينطق بها ياء عند الحجازيين فيقولون «صيّام» . ويفهم من كلام النحاة وأصحاب المعاجم أن هذه الظاهرة كانت مطردة ، فكان الحجازيون يقولون : «صيّام» ، نيّام ، صيّاغ ، قيّاد بدلا من : «صوّام» ، نوّام ، صوّاغ ، قوّاد .

(١) أسرار اللغة صفحة ٨٠ .

(٢) المخصص ج ١٤ ص ١٩ .

فإذا تذكرنا ما نعرفه من دراسة الأصوات وطبيعتها ، وجدنا أن «الواو» ليست فى الحقيقة إلا امتداداً للضم مع فرق طفيف فى وضع اللسان ، وأن «الياء» هى امتداد للكسر مع الفرق الطفيف نفسه فى وضع اللسان . فكأن الحجازيين كانوا يميلون إلى الكسر ، فى حين أن غيرهم من البدو كانوا يميلون إلى الضم .

انظر أيضاً إلى الروايات الآتية التى وردت فى لسان العرب :

١ - بعض من فزارة كانوا يقولون : «كساين» بدلا من «كساوان» . وفزارة من غطفان تلك القبيلة التى عاشت بالقرب من الحجاز وربما قد تأثرت بما شاع فيه .

٢ - كلمة «حيث» رويت فى صورة أخرى هى «حوث» ، ونسبت هذه الصورة الأخيرة لقبيلة طى وقيل تميم ، وكلاهما من القبائل البدوية التى أثرت الضم فى كثير من الصيغ .

٣ - يقال «ما أعيج به» أى ما أعبا به . ولكن بنى أسد كانوا يقولون «ما أعوج» .

٤ - حكى عن بنى «سليم» وهم من القبائل الحجازية أنهم كانوا يقولون «منذ» بكسر الميم فى «منذ» .

٥ - «مكيل» اسم المفعول من كان يكيل ، وينطق به بنو أسد «مكول» .

٦ - المشهور هى «نما ينمو» ولكن حكى عن بعض بنى سليم أنهم قالوا «ينمى» ، وسلل جماعة من بنى سليم عن الواوى فلم يعرفوه .

٧ - المشهور الشائع فى اسم الموصول لجمع المذكر هو «الذين» ، وقد روى لهذه الصيغة نظير هو «اللزون» ، وينسبه بعض الرواة لهذيل وبعضهم ينسبه لعقيل . ويظهر أن نسبته لعقيل أدق أو أرجح لأنها من القبائل البعيدة عن البيئة الحجازية ، فهى أقرب إلى التأثير بلهجة تميم ومن على شاكلتهم . ويرى الرواة شاهداً من الشعر وهو :

نحن اللزون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا

ولعل مما يؤيد نسبة هذه اللهجة إلى عقيل أن هذا الشاهد نسبة أبو زيد^(١)

(١) نوارى اللغة . ص ٤٧ .

لأبي حرب بن الأعمى وهو جاهلي من بني عقيل . ونسبه الصاغانى فى العباب إلى ليلي الأخيلية وهى أيضاً من عقيل^(١) .

على أنا لا نعتمد فى ظواهر اللهجات وخصائصها على لغة الشعر وأمثله ، فكما قلنا آنفاً لقد نظم الشعر باللغة النموذجية المشتركة بين القبائل جميعاً ، ولا يصح لهذا أن يشتمل على الصفات الخاصة ببعض اللهجات . ففعل هذا البيت قد اشتمل فى أصله على «الذين» ، وقد غيروه الرواة ليجعلوا منه شاهداً على أن «الذين» قد سمعت من بعض القبائل .

٨ - يقال لنا إن بنى تميم يعربون «أمس» وعليه فيجوز فيها «أمس» ، ولكن الحجازيين يلتزمون فيها حالة واحدة هى «أمس» .

ويظهر أن استقرار هذه الرواية قد اعتوره بعض النقص ، وأن الحقيقة هى أن تميمًا كانت تلتزم فى الكلمة حالة واحدة هى «أمس» بضم السين .

٩ - قرأ يعقوب وحزمة وهما عراقبان أو ممن تأثروا بالبيئة البدوية الكلمات (عليهم ، إليهم) بضم الهاء بدلاً من المشهور الشائع فى البيئة الحجازية بكسرها . بل لقد روى فى القراءات القرآنية أن «قبلاً» فى قوله تعالى : «وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً» على لغة تميم ، وأن القراءة «قبلاً» على لغة كنانة . كذلك قيل لنا إن قراءة «أئنا متناه» على لغة تميم ، وقراءة «أئنا متناه» على لغة الحجاز . كذلك قرئت الكلمة «سخرى» بضم السين وكسرها وروى لنا أن الضم على لغة تميم ، وأن الكسر على لغة قريش ، وفى قوله تعالى : «اتخذناهم سخرى» .

ومن أمثلة الضم والكسر : [أسوة ، مرية ، غلظة] بكسر الأول وضمه ، والكسر فى لهجات الحجاز والضم لتمييم^(٢) . ومنها ما جاء عن اليزيدى فى المزهر أن تميمًا تضم أوائل الكلمات : [عدوة ، عشوة ، أسوة ، قدوة] . وقرأ أبو عمرو وابن كثير «بالعدوة الدنيا» بكسر العين ، والباقيون بضمها ، والضم أعرب اللغتين عن أبى عبيد ، وذكر اليزيدى أن الكسر لغة الحجاز^(٣) .

وكذلك «صنوان» بالضم لتمييم وقيس ، وبالكسر لأهل الحجاز^(٤) .

(١) جمهرة أنساب العرب ص ٨٠١ .

(٢) أدب الكاتب ، ص ٤٣٤ ، الزمر ج ٢ ص ٢٧٦ .

(٣) إبراز المعاني ص ٣٣٤ .

(٤) البحر ، ج ٥ ، ص ٢٥٧ .

١٠ - وأخيراً لعل من هذه الظاهرة ما روى عن بنى كلب وسمى «بالوكم» حيناً وبالوهم حيناً آخر ، فقد قيل لنا إنهم يكسرون كاف الخطاب فى «عليكم» وهذا هو «الوكم» ، كما يكسرون ضمير الغيبة فى «منهم» وهذا هو الوهم .

وينو كلب هؤلاء فرع من قضاة ، ترددت مساكنهم بين تخوم الشام وما يقرب من بلاد العراق . فهل كان هذا لأنهم تأثروا بما انتشر فى تلك البقاع من لغات سامية كالآرامية والعبرية وكلاهما أثر الكسر فى مثل هذه الضمائر ؟

أو ربما يقال إن كسر هذه الضمائر كان صفة من صفات اللهجات الحجازية وأن ضمها قد شاع فى لهجات البدو ، وأن النطقين قد عاشا معاً جنباً إلى جنب فى عصور ما قبل الإسلام . ثم إن اللغة النموذجية قد انتهجت النهج البدوى فى هذه الضمائر لأن المشهور الشائع فى نطقها هو أن تكون بالضم .

أما كيف يمكن أن بنى كلب قد تأثروا بلهجات الحجاز ، فذلك لأنهم عاشوا على حدود الشام ؛ أى على الطريق الذى كان الحجازيون يسلكونه دائماً فى تجارتهم مع بلاد الشام ، فبيئتهم ليست إلا امتداداً طبيعياً للبيئة الحجازية .

تلك هى بعض الروايات التى توضح لنا بجلاء ميل البدو إلى الضم وإيثار الحضر للكسر ؛ أى إن قبائل الحجاز بوجه عام كانوا يميلون إلى الكسر ، فى حين أن «تميماء» ومن على شاكلتهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها كانوا يضمون . وهناك روايات أخرى كثيرة وردت فى لسان العرب وفى المخصص وتؤيد ما نذهب إليه هنا ، ولكن هناك أيضاً بعض الروايات التى تخالف فى مجموعها هذا الرأى ، والتى تحتاج إلى تحقيق مستقل أو تفسير خاص ، ولعلها تعزى إلى خطأ فى الرواية أو اختلاف فى معين الصيغتين .

على أنه حين نتساءل عن أى الصوتين أيسر فى النطق أو أيهما الذى يحتاج إلى جهد عضلى أكثر ، نجد أن الضمة هى التى تحتاج إلى جهد عضلى أكثر ، لأنها تتكون بتحريك أقصى اللسان ، فى حين أن الكسرة تتكون بتحريك أدنى اللسان ، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحريك أقصاه . وقد كنا نتوقع من أجل هذا أن يشيع الكسر فى بيئة البدو حيث الميل إلى الاقتصاد فى المجهود العضلى ، وبذل أقل جهد ممكناً فى أثناء النطق ، متى تحقق الناطق أن مثل هذا الجهد سيحقق له الهدف من الكلام . ولكن الضم كما قلنا آنفاً صفة من صفات الخشونة التى يحرص عليها البدوى والتى يدرك أنها تميزه من غيره ، ولذلك استمسك بها وتعصب لها فى غالب الأحيان .

وقد حدث في النادر من الأحيان أن نسي البدوي نفسه ، وانطلق على سجيته فنطق بالكسر حيث كنا نتوقع منه الضم . هذا هو ما يمكن أن يفسر لنا تلك الروايات النادرة ، على افتراض صحتها ، التي جاء فيها الكسر منسوباً لقبيلة بدوية .

وليس يقتصر أمر اللهجات على الضم والكسر ، بل لقد تروى الكلمة بصيغتين تشتمل إحداهما على الضم والأخرى على الفتح ، أو إحداهما على الكسر والأخرى على الفتح . وفي مثل هذه الرواية يجب أن نلجأ في تفسيرها إلى ذلك القانون العام أو الظاهرة العامة التي نسميها بانسجام أصوات اللين في الكلمة الواحدة Vowel - Harmony ، وهي ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات . فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين هذه الحركات ، حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية . وقد برهنت الملاحظة الحديثة على أن الناطق حين يقتصد في الجهد العضلي يميل دون شعور منه أو تعمد إلى الانسجام بين حركات الكلمات .

وللانسجام درجات بعضها أيسر من بعض : فتوالي الضم ثم الكسر ثم الفتح أشق من توالي ضمتين ثم الفتح ، أو توالي كسرتين ثم الفتح . وربما كان أيسر من هذا وذلك أن تصبح هذه الكلمة مشتملة على ضم ثم فتحتين .

ولسنا في كل حال نتوقع أن يلتزم الناطق أيسر السبل ، وإنما نتوقع منه أن يقوم ببعض الانسجام أياً كانت درجته من اليسر .

وقد استطعنا على ضوء هذه الظاهرة أن نفسر بعض الروايات التي رويت عن اللهجات القديمة ، ووجدنا بوجه عام أن لهجات البدو أميل إلى هذا الانسجام من لهجات الحضر التي فيها تحقق الأصوات نتيجة التآني والتؤدة في النطق .

فالانسجام كظاهرة صوتية لا يقتصر أمره على لهجات البدو ، بل قد يوجد أيضاً في بعض لهجات الحضر ولكن بنسبة أقل :

١ - فإذا قيل لنا إن الحجازيين كانوا يقولون «برأت من المرض» وسائر العرب يقولون «برئت» ، أمكننا بسهولة أن نتصور أن الأصل هو «برئت» ، وأن نوعاً من الانسجام بين الحركات قد أدى إلى الصيغة الأخرى «برأت» .

ولا شك أن الراوي الذي سمع هذه الصورة من الحجازيين لم يسمعها في العهود الجاهلية ، وإنما سمعها وقت تدوين اللغة ؛ أي بعد مرور ما يقرب من قرنين

على ظهور الإسلام ، وفي خلال هذه الفترة قد تم مثل هذا التطور .

ففي ظاهرة الانسجام نستطيع دائماً أن نميز الأصل من الفرع ، وأن نتبين ما كانت عليه الكلمة وما صارت إليه .

٢ - ومما يروى لنا أن الملايين كانوا ينطقون كلمة «تفاوت» بفتح الواو . ولكن القرآن الكريم قد استعملها بضم الواو ، مما يؤكد لنا أن الصورة القرآنية هي الأصل وأن الأخرى فرع لها .

والكلايون ممن تأثروا بالبيئة الحجازية .

٣ - وأهل تهامة وهم أقرب إلى البيئة الحجازية كانوا يقولون في «العضد» «العضد» بضممتين . وقد استعملت الصيغة الأولى في القرآن الكريم ، مما يبرهن على أنها الأصل .

تلك هي أشهر الأمثلة التي رويت للانسجام في البيئة الحجازية ، وهي إذا قيست بما روى عن البيئة البدوية تعدّ قليلة الأهمية :

١ - فقد روى عن تميم وأسد أنهم كانوا ينطقون باطراد كلمات مثل : [بعير، شهيد، زئير] بكسر الحرف الأول . وليس هذا في الحقيقة إلا نوعاً من الانسجام بين حركات هذه الكلمات . وعلى هذا لا معنى لما يشترطه بعض اللغويين من أن الحرف الثاني في مثل هذه الكلمات يجب أن يكون من حروف الحلق !! ويظهر أن الرواي قد سمع من تميم كلمات تصادف أن كانت مشتملة على حروف الحلق . وليست هذه الظاهرة التميمية إلا انسجاماً بين الحركات يشبه ما نسمعه الآن في بعض اللهجات الحديثة من نطق [كبير، بعيد، نظيف] بكسر أولها .

٢ - «سكارى وكسالى» كلمتان وردتا في القرآن الكريم وقد ضم الحرف الأول في كل منهما ، ولكن المعاجم العربية تحدثنا أن بنى تميم وأسد كانوا ينطقون بهما وقد فتح الحرف الأول منهما . ولا يمكن تفسير مثل هذا إلا على ضوء الانسجام بين الحركات في كل من الكلمتين .

٣ - «سنفرغ لكم أيها الثقلان» ، قيل لنا إن هناك قراءة لكلمة «سنفرغ» بفتح الراء على لغة تميم .

٤ - «غشاوة» قرئت بفتح الغين على لغة ربيعة . ولكن ربيعة شعب عظيم يشتمل على عدة قبائل ، بعضها ممن تأثر بالحضر في بلاد الحيرة وبعضها من

البدو كبكر بن وائل . فإذا صحت هذه الرواية يمكن أن ينسب هذا النطق لقبيلة بدوية مثل بكر بن وائل .

٥ - هناك أمر مطرد تجمع عليه كتب اللغة وهو نطق قبيلة طى لأفعال مثل : [بقى ، فنى ، رضى] بفتح الحرف الثانى فى كل منها .

٦ - «ما فتئت أذكره» ، قيل لنا إن بنى تميم كانوا يقولون فيها «ما فتأت» ، فيفتحون التاء من هذا الفعل .

٧ - المشهور فى الفعل «مات» أن مضارعه يموت أو يميت ، ولكن بنى طى كانوا يقولون «يمات» .

٨ - المشهور فى الفعل «إخال» هو كسر همزة المتكلم ، ولكن بنى أسد كانوا ينطقون بها مفتوحة .

ويبدو أن بعض القدماء من العلماء كانوا يشعرون بأثر ظاهرة الانسجام بين الحركات فقد كان ابن جنى يعبر عنها بقوله [لضرب من تجانس الصوت]^(١) ، ويعبر عنها ابن يعيش بقوله [لضرب من التشاكل]^(٢) .

ولسنا ندعى بعد كل هذا أن ما سقناه من مبادئ عامة ، تفسر لنا كل الروايات التى وردت فى المعاجم لكلمات رويت بحركات مختلفة ، فبعض الروايات التى عثرنا عليها لا تزال تحتاج إلى تحقيق ، ولعل بحوث المستقبل تكشف لنا عما غمض علينا .

٣ - الميل إلى الأصوات الشديدة أو الرخوة :

مالت القبائل البدوية إلى الأصوات الشديدة فى نطقها ، وهو أمر طبيعى يلتزم مع ما عرف عن البدو من غلظة وجفاء فى الطبع . لأن هذه الأصوات سريعة النطق بها ، حاسمة ، ثم إن ما فيها من عنصر انفجارى ينسجم وسرعة الأداء عند الأعراب .

وبهذا يتميز نطقهم بسلسلة من الأصوات القوية السريعة التى تطرق الأذان كأنما هى فرقعات متعددة ، فى حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة

(١) سر الصناعة ج ١ ص ٥٨ .

(٢) ج ٩ ص ٥٤ .

تلك الأصوات الشديدة بوجه عام ، إذ فيها من التؤدة والليونة ما ينسجم مع بيئتهم وطبيعتهم .

فالباء والتاء والذال والكاف ، وغيرها من الأصوات الشديدة ، قد نسمعها في أفواه المتحضرين (على الترتيب) :

فاء . سينا . زايا . شينا

هذا إلى أن الأصوات الشديدة تحتاج إلى جهد عضلي أقل من نظائرها الرخوة . ولذلك نلاحظ أن الطفل الصغير قد يلتمس الصوت الشديد بدلا من نظيره الرخو ، فيقول مثلا : «تتى» بدلا من «ستى» ، وكذلك البدوى الذى يقتصد من الجهد العضلى فى أثناء نطقه ، يميل فى كثير من الأحيان إلى قلب الصوت الرخو إلى نظيره الشديد .

فإذا رويت لنا الكلمة بروايتين : فى إحداها تشتمل الكلمة على صوت شديد وفى الأخرى على نظيره الرخو ، أمكن أن ننسب الصيغة المشتمة على الصوت الشديد إلى بيئة بدوية ، وأن ننسب الأخرى إلى بيئة حضرية . هذا إذا لم تعرف أى الصيغتين هو الأصل وأيهما هو الفرع . والطريق الوحيد لمعرفة الأصل والفرع فى مثل هذه الحال هو الرجوع إلى النصوص القديمة الموثوق بها . فإذا وردت الكلمة فى نص جاهلى ، أو نص منسوب إلى صدر الإسلام ، أو وردت فى القرآن الكريم ، دل هذا على أن صورتها التى ترد فى مثل هذه النصوص هى الأصل فى الأعم الأغلب ، وأن تطورا ما قد أصاب الكلمة فيما بعد حتى صارت على الصورة الأخرى التى سمعها الرواة فى عصر التدوين ، أى بعد ظهور الإسلام بنحو قرنين من الزمان . ومثل هذه الفترة من الزمن كافية لإحداث مثل هذا التطور .

نستعرض بعد هذا بعض تلك الروايات التى جاءت فى معاجمنا العربية مؤيدة لما نذهب إليه هنا :

١ - المشهور هو «عكوف الطير» ، وقد قيل لنا إن قبيلة عقيل تقول : «عكوب الطير» بالباء ! والفرق بين الفاء والباء هو أن الأولى صوت رخو نظيره الشديد هو ذلك الصوت الأوروبى P ، ولكن نظراً لفقدانه فى لغتنا العربية اعتبرت الباء المألوفة لنا بمثابة النظير الشديد للفاء العربية . وقبيلة عقيل كما نعرف من القبائل التى عاشت بالقرب من تميم وتأثرت بها ، فهى من قبائل البدو الذين آثروا الأصوات الشديدة .

٢ - جاء في اللسان : قال أبو حسان سمعت أبا عمرو الشيباني يقول :
ما ذقت عدوفاً ولا عدوفة ، قال وكنت عند يزيد بن مزيد الشيباني فأنشد
بيت قيس بن زهير :

ومجنبات ما يذقن عدوفة يقذفن بالمهرات والأمهار

بالدال ، فقال لي يزيد صحف أبا عمرو ، وإنما هي «عدوفة» بالدال ، قال
فقلت له لم أصحف أنا ولا أنت ، تقول ربعة هذا الحرف بالدال وسائر العرب
بالدال .

نحن في هذه الرواية أمام كلمة رويت بروايتين وهي «عدوفة» بالدال أو
الذال ، وهما حرفان متناظران : الأول منهما شديد والثاني نظيره الرخو ، وقد
نسبت الصيغة المشتمة على «الذال» لشعب عظيم هو ربعة وفيها البدو وفيها من
تأثروا بحضر الحيرة كإياد والنمر . ولذلك نؤثر أن ننسب النطق بالذال لهاتين
القبيلتين .

ولكن الغريب أن يرد في مادة «ذكر» أن الفراء يقول :

[ويعض بنى أسد يقولون «مذكر» فيقلبون الدال فتصير ذالا مشددة وقال
الليث «الذكر» ليس من كلام العرب ، وربعة تغلط في «الذكر» فتقول «ذكر» .

أما أن ينسب «الذكر» بالدال لربعة فأمر هين ، لأن من قبائل ربعة بكر
ابن وائل ، وهي المتوغلة في البداوة ، فلعل الراوي قد سمع هذا النطق فيها . ولكن
نسبة «مذكر» بالدال لبنى أسد من الأمور التي يصعب تعليلها .

(٣) روى أن الأصمعي قال : إن «الخبيت» هو «الخبيث» ، وإن النطق بالفاء
لغة خبير . ولكن هذه القبيلة اليهودية من القبائل التي تأثرت بالبيئة الحجازية ،
ولذا لم تكن تفوق أن يروى عن لهجاتها قلب الصوت الرخو إلى نظيره الشديد :
على أن هذه الرواية كانت موضع شك من الخليل ، كما اعتبرها بعض اللغويين
تصحيفاً . جاء في اللسان ما نصه :

[قال اليهودي الخبير :

ينفع الطيب القليل من الرز ق ولا ينفع الكثير الخبيت

وسأل الخليل الأصمعي عن «الخبيت» فقال له أراد «الخبيث» وهي لغة
خبير، فقال الخليل لو كان ذلك لغتهم لقال «الكثير» ، وإنما كان ينبغي أن تقول إنهم

يقلبون التاء تاء فى بعض الحروف . وقال أبو منصور فى بيت اليهودى أيضاً أظن أن هذا تصحيف ، قال لأن الشئ الحقيق الردى إنما يقال له «الختيت» بتاءين ، وهو بمعنى الخسيس فصحه وجعله «الخبيت» [.

وهكذا نرى أن الخليل لم يرقه أن يسمع أن قبيلة حجازية ينسب لها قلب الصوت الرخو إلى نظيره الشديد .

(٤) جاء فى اللسان أن قبيلة طى كانوا يقولون «اللصت» بدلا من «اللص» ، ويقولون «الطست» بدلا من «الطس» . ويؤيد هذه الرواية ما ورد فى المخصص (١) : اللصت هو اللص فى لغة طى وجمعه «لصوت» وهم يقولون طست وغيرهم طس .

وقبيلة طيء متوغلة فى البداوة ، فلا غرابة أن يقلب فى لهجتها صوت «رخو» إلى نظيره الشديد . فالسين صوت رخو نظيره الشديد التاء ، والصاد صوت رخو نظيره الشديد هو الطاء التى إذا رقت أصبحت تاء .

(٥) جاء فى المخصص (٢) : [قال ابن دريد الخزف ما عمل من الطين وشوى بالنار فصار فخاراً وأحدثه خزقه ، والخزب لغة فى الخزف يمانية] .

فهذا مثل آخر للفاء الرخوة حين تناظرها الباء الشديدة فى كلمة رويت بروايتين . ويمكن أن تنسب رواية الباء إلى قبيلة بدوية من قبائل اليمن المتعددة التى منها البدوى ومنها المتأثر بحضر اليمن .

(٦) جاء فى اللسان أن [«اللازب» و«اللاتب» بمعنى واحد ، وأن قبيلة قيس تقول طين لاتب] .

فهذه مناظرة بين الزاى والتاء ، والأولى رخوة والثانية شديدة ، ولكنها مناظرة بين صوت مجهور وصوت مهموس ، مما يرجح أحد أمرين : إما أن صيغة «لازب» كان ينطق بها «لاسب» ، أو أن صيغة «لاتب» كان ينطق بها «لادب» . ومع هذا فقد نسب الصوت الشديد لقيس التى تأرجحت بين تميم والحجاز فتأثرت بهذه وتأثرت بتلك . ويبدو أنها هنا قد تأثرت ببيئة تميم البدوية .

(٧) جاء فى المخصص (٣) : فاضت نفسه خرجت تميمية . ولكن صاحب اللسان حين يتحدث عن هذا الفعل يذكر عدة روايات فيقول ما نصه [قال الفراء

(١) جزء ثالث صفحة ٧٨ ،

(٢) جزء خامس صفحة ١٢٥ .

(٣) جزء ١٥ صفحة ٣٦ .

أهل الحجاز وطبئي يقولون فاظلت نفسه ، وقضاعة وتميم وقيس يقولون فاضت نفسه مثل فاضت دمعته . وقال أبو زيد وأبو عبيدة : فاظلت نفسه بالطاء لغة قيس وبالضاد لغة تميم . وروى المازني عن أبي زيد أن العرب تقول : فاظلت نفسه بالطاء إلا بنى ضبة فإنهم يقولون بالضاد .

فهذه مناظرة أخرى بين صوت رخو وهو الطاء ونظيره الشديد وهو الضاد ، ولكن الرواة لا يكادون يستقرون على أمر في نسبة الصيغتين . ويظهر من مجموع ما قالوا أن الضاد تنتمي إلى بيئة تميم البدوية ، وأن الطاء تنتمي لبعض من قيس ممن تأثروا بالبيئة الحجازية ، أو لأهل الحجاز أنفسهم كما يقول الفراء ، أي أن رواية أبي زيد هي أقرب الروايات إلى الصحة . ويؤيد ما نذهب إليه قول صاحب المخصص^(١) حين تحدث عن «الضروري» أي انتفخ بطنه من الطعام ، [إنه قد حكى عن أبي عمرو «اطروري» بالطاء ، ورواية أبي زيد «اظروري» بالطاء وأبو عمرو ثقة وأبو زيد أوثق منه ، وقد سألت عنه بعض فصحاء الحجاز فوافقوا أبا زيد] .

فهذه مناظرة أخرى بين الضاد والطاء ، وفيها تنسب الطاء لأهل الحجاز ، مما يرجح لنا ميل البيئة الحجازية المتحضرة للأصوات الرخوة . ومن مظاهر اضطراب الروايات في كتب اللغة والأدب أن تنسب صفة خاصة من صفات اللهجات لشعب عظيم يتكون من عدة قبائل ، ثم في موضع آخر تنسب له صفة أخرى مناقضة للأولى .

ونحن نقف أمام تلك الروايات المتناقضة حيارى لا ندري أيها نصدق ، وأيها نأخذ ! ولكننا إذا نظرنا إلى تلك المجموعة من القبائل وجدنا بعضاً منها قد تأثر ببيئة بدوية والبعض الآخر يبدو تأثره ببيئة حضرية . فعلينا في مثل هذه الحالة أن ننسب الصفة إلى ما يناسبها من قبائل ذلك الشعب العظيم ، مهتدين بتلك القاعدة العامة التي قررناها ، وهي أن ظواهر اللهجات في القبائل البدوية تخالف إلى حد كبير ظواهرها في القبائل المتحضرة التي عاشت في المدن . فمثلاً تنسب الروايات صفة الشدة في الصوت لليمن دون تعيين قبيلة فيها ، ثم في موضع آخر تنسب صفة الرخاوة لقبائل يمنية أيضاً ، فواجب الباحث المدقق أن يقسم قبائل اليمن إلى بدوية وحضرية ، ثم ينسب الشدة للبدوية منها ، والرخاوة للحضرية .

وبذلك نستطيع بقدر الإمكان التوفيق بين تلك الروايات المتناقضة :

(١) فمثلاً روى أن «السين» تقلب «تاء» فى لهجة اليمن ، فيقولون «النات» فى «الناس» ، و «لبات» بدلا من «لاباس» . ثم يروى الرواة شاهداً من الرجز :

ياقاتل الله بنى السعلات عمرو بن يربوع شرار النات
غير أعفاء ولا أكيات

فنحن هنا أمام شعب عظيم من القبائل تنسب له صفة خاصة من صفات اللهجات وهى قلب صوت رخو إلى نظيره الشديد . فعلينا أن نبحث فى مثل هذه الحالة عن أى قبائل اليمن تلك التى مالت إلى البداوة ، أو عاشت قريبة من الصحراء ، فنجد أن أقرب قبائل اليمن إلى البداوة قبيلتان مشهورتان هما : خثعم ، وزبيد . وعليه فلا بأس من نسبة هذه الصفة إلى هاتين القبيلتين بين قبائل اليمن .

أما المبرر الصوتى لانقلاب «السين» «تاء» فهو هين واضح ، لأنهما يكادان يكونان متماثلين فى المخرج ، كما أن كلا منهما صوت مهموس ، ولم يبق إذاً إلا أن يلتقى طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما به ينحبس النفس حتى إذا انفصلا انفصالا مفاجئاً سمع ذلك الصوت الانفجارى الذى نسميه بالتاء ، فى حين أنه فى حالة النطق بالسين نلاحظ أن انحباس النفس لا يكون محكما ، بل هناك فراغ ضيق بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ليتسرب منه الهواء .

(ب) كذلك روى أن قبائل اليمن من ينطقون «بالجيم» شديدة لا رخاوة فيها ، أى تماثل تلك الجيم الشائعة فى اللهجة القاهرية الحديثة . فإذا قارنا بين «الجيم» اليمنية والجيم الفصيحة كما وصفت فى القراءات وجدنا فرقا من ناحيتين : الأولى أن «الجيم» اليمنية أكثر شدة ، والثانية أن مخرج «الجيم» اليمنية هو أقصى الحنك ، ولكن مخرج «الجيم» الفصيحة هو وسط الحنك .

فما حدث فى نطق اليمنيين «لـالجيم» هو انتقال المخرج إلى وراء قليلا ، وانحباس النفس معها انحباساً كاملاً ، رغم احتفاظ كلا الصوتين بصفة الجهر .

حقاً إن «الجيم» الفصيحة تعد صوتاً أقرب إلى الشدة منها إلى الرخاوة ، ولكن «الجيم» اليمنية قد كملت شدتها ، وذلك من صفات البيئة البدوية .

وقد نسبت هذه «الجيم» أيضاً لبعض قبائل طى وهم كما نعرف من البدو الذين عاشوا فى بعض نواحي نجد .

وإذا كان علينا أن نتخير من قبائل اليمن من نرجح نسبة مثل هذه الصفة إليه ، لم نجد خيراً من قبيلتى : خثعم ، وزبيد.^(١)

٤ - الميل إلى جهر الأصوات أو همسها :

فى مثل تلك الصحراء الشاسعة الخالية من مظاهر المدنية ، قد يفنى الصوت فى جولا آخر له ، إذ يتحدث الناس غالباً فى العراء وقد افترشوا الغبراء والتحفوا بالسماء ، وليس هناك من حائل يصد موجات الصوت أو يركزها ، بل تنساب الأصوات فى محيط الفضاء تخفى فيه الأصوات فلا تكاد تبين أو تتضح . ولا شك أن الأصوات المجهورة أوضح فى السمع ، تنلقاها الأذن فى مسافة عندها قد تخفى نظائرها المهموسة .

لهذا كان من المعقول ، بل ومن المشاهد أن البيئات المتمدينة التى تتحدث بين جدران المنازل ، والتى لا ترى داعياً لوضوح الصوت بنسبة أكبر مما يتطلبه السامع القريب ، تميل عادة إلى همس الأصوات .

ولقد دعت الحضارة منذ القدم ، بل ودعت آداب الإسلام إلى خفض الصوت ، مما ترتب عليه أن شاعت الأصوات المهموسة فى البيئة العربية المتحضرة : قال تعالى : «واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» ، وقال : «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى» ، وقال : «إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى» ، وقال تعالى يخاطب الأعراب «ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض» ، فكل هذه الآيات الكريمة تدعو الناس ولاسيما البدو منهم إلى خفض الصوت . وروى أن رجلاً من بنى العنبر من تميم جاء إلى النبى وأخذ ينادى عليه بصوت مرتفع أجش فنزل قوله تعالى : «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون» . ومما لاحظته المحدثون من علماء الأصوات أن النساء بصفة خاصة يملن إلى همس الأصوات وهو ما يتفق وطبيعتهن .

فالسین، عند الحضريين قد ينطق بها «زاياء» عند البدو ، «والطاء» عند الحضريين قد ينطق بها «دالا» عند أبناء البدو ... وهكذا . هذا إلى أن الأصوات المهموسة تتطلب جهداً أكبر فى التنفس ، مما لا يتفق وطبيعة البدوى الهادئ

(١) انظر لمؤلف بحث قضية الجيم فى بحوث مؤتمر مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦٢ ، ص ١٠٧ .

الوادع الذى يقصد فى كل حركاته وسكناته . فما تحتاجه عبارة مثل «سكت شخص، من تنفس حين النطق بها أكثر مما تحتاجه عبارة مثل «زرع رجل، لأن كل أصوات العبارة الثانية مجهورة ، فى حين أن كل الأصوات الساكنة فى العبارة الأولى مهموسة .

ولا شك أن البيئة الصحراوية التى تنتشر فيها الأصوات فى مسافة شاسعة لا يعوقها عائق ، ولا يحول دونها حائل ، تتطلب الميل إلى توضيح الأصوات بطرق عدة من بينها الجهر بالصوت ليصبح أكثر وضوحاً فى أذن السامع . لهذا نلاحظ أن لهجات القبائل البدوية تميل إلى جهر بعض الأصوات ، فى حين أن غيرها من قبائل الحضر تبقى على همسها :

(أ) فمثلاً روى عن هذيل أنهم يقبلون فى لهجاتهم «الحاء» «عيناً» ، فيقولون مثلاً «اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض» ، أى اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض ! وبلهجتهم روى أن ابن مسعود قرأ «عتى» فى «حتى» ، فأرسل إليه عمر رضى الله عنه أن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش ! . ومثل هذه الرواية عن عمر بعيدة الاحتمال لأنها تناقض التيسير فى القراءات القرآنية ، كما تخالف ما روى إليه الحديث الشريف «أنزل القرآن على سبعة أحرف» ، إلا إذا أراد عمر أن ينهى ابن مسعود عن إرغام القرشيين على القراءة بغير ما يستطيعون، وما تميل إليه ألسنتهم ، وذلك بإملاء لهجة من اللهجات عليهم كلهجة هذيل فى هذه القراءة .

وقد سمي القدماء هذه الظاهرة الصوتية فحفة هذيل .

على أننا نشك فى نسبة هذه الظاهرة لهذيل : وذلك لما نعرفه عن اتصال هذيل ببيئة الحجاز اتصالاً تجلى فيما رواه صاحب كتاب الأصنام من أنه كان لهذيل صنم على الساحل يسمى «مناة» وهو الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم فى قوله : «ومناة الثالثة الأخرى» . وكانت قريش تقدر هذا الصنم مع هذيل ، كما كانت هذيل تقدر «هبل» صنم قريش . هذا إلى قرب مساكنهم من الحجاز واحتمال تأثرهم بلهجات تلك البيئة . بل إن التسمية نفسها لتحملنا على الشك فى وصف القدماء لهذه الظاهرة ، فكلمة «الفحفة» إذا نظر إليها فى ضوء مصطلحات الكشكشة والعجعة ، نرى أن الحرف الثانى فى كل من هذين المصطلحين هو الحرف المقلوب إليه . وكان مقتضى هذا أن يكون معنى «الفحفة» قلب العين إلى الحاء لا العكس . فلو أن هذه الظاهرة وصفت لنا على أنها قلب العين إلى الحاء

لأمكن القول إن قبيلة هذيل المتأثرة ببيلة حضرية قد قلبت صوتاً مجهوراً وهو العين إلى نظيره المهموس وهو الحاء . فنحن بين أمرين: إما أن نفسر الفحفحة على أنها قلب العين إلى الحاء ، أو نغير نسبتها لهذيل وننسبها إلى قبيلة أخرى بدوية مثل تميم .

ومما يبحث على الشك في نسبة هذه الرواية إلى ابن مسعود أنه روى عنه ما يفيد عكس ظاهرة الفحفحة - ، أي قلب العين إلى حاء في قوله تعالى : [قالوا نعم] قرأ ابن مسعود [قالوا نعم] ^(١) .

أما قراءته [إذا بعثر ما في القبور] إذا بثر ، فسببه يرجع إلى أن الثاء المهموسة قد أثرت في العين وجعلتها مهموسة أيضاً . وحين تهمس العين تصبح حاء .

ويربط بعض الدارسين من المحدثين بين كلمة «حتى» التي قيل إن ابن مسعود قرأها «عتى» ، وبين الكلمة «عدى» الموجودة في بعض اللغات السامية وفي العربية الجنوبية القديمة ، وكذلك الكلمة العبرية «عد» بمعنى حتى .

فالحاء تقابل العين ، والتاء تقابل الدال ؛ أي إننا أمام صورتين لكلمة واحدة إحداها تشتمل على صوتين مهموسين والأخرى تشتمل على نظيرهما من المجهورات . وحينئذ يمكن تفسير هذا على أن الصورة المشتمة على المهموسات صورة حضرية وأن الأخرى صورة بدوية .

ولا تكون هناك ظاهرة عامة تدعى الفحفحة ، بل إن الأمر لا يعدو أن يكون مثلاً واحداً أو كلمة واحدة رويت بصورتين .

(ب) نسب القدماء لتميم وقيس عيلان ظاهرة صوتية سموها «العنقنة» وهي قلب الهمزة المبدوء بها «عيناً» ! وأنشد يعقوب :

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل لآخرة لا بد عن ستصيرها
وقال ذو الرمة :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم
أراد الشاعر في البيت الأول «لا بد أن» ، وفي البيت الثاني «أ أن ترسمت» .

وقد جاء فى رواية نسبت إلى الفراء قال :

إن بنى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف «أن» إذا كانت مفتوحة «عيناً» فيقولون :

أشهد عندك رسول الله

فإذا كسروا رجعوا إلى الهمزة !

فنحن نرى من هذه الروايات أنها جميعاً تجمع على قلب الهمزة المبدوء بها إلى «عين» ، ثم قيد هذا فى رواية الفراء بأن تكون الهمزة مفتوحة ! ومثل هذا الاضطراب فى الرواية ليس له من سبب سوى أن استقراء الرواة لأمثلة هذه الظاهرة الصوتية كان ناقصاً ، وأن الأمر فى كل رواية لا يعدو أن يكون حكماً خاصاً مبنياً على مثل خاص سمعه الراوى دون استقراء لبقية الحالات . فاشتراط البدء بالهمزة ، أو أن تكون مفتوحة ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية . وإنما الذى يبدو أن يكون أقرب إلى الاحتمال هو أن هذه القبائل وكلها من البدو كانت تميل إلى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة فى السمع ، أيا كان موضعها من الكلمة ، وبأية حركة تحركت .

ويحسن إذاً أن نعد هذه الظاهرة محاولة للجهر بالصوت ؛ لأن الهمزة ليست من الأصوات المجهورة أو المهموسة ، إذ مخرجها المزمار نفسه ، ولا عمل للوترين الصوتيين معها . وقد وصفناها قبلاً بأنها من الأصوات الشديدة إن لم تكن أشدها ، وأن أهل البادية يحققونها فى لهجاتهم . فحين يبالغ فى هذا التحقيق ويراد أن تكون أوضح فى السمع ، يستبدل بها أحد الأصوات الحلقية القريبة منها مخرجاً وصفة ، وأقرب أصوات الحلق إليها هو «العين» ؛ لأن «العين» صوت مجهور ، وهو أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة مخرجاً .

ويؤيد ما نذهب إليه أن هذه الظاهرة لا تزال شائعة فى بعض اللهجات الحديثة التى تتأخم الصحراء . وقلب الهمزة «عيناً» فى هذه اللهجات غير مقيد بالبدء بها ، أو كونها محرركة بحركة خاصة .

فنحن نسمع حتى الآن فى كل مدن تهامة من يقولون [عالة] بدلاً من [آلة] ، [العمام] بدلاً من [الإمام] .

ومن أمثلة العنونة التى رواها الأصمعى فى وسط الكلمة [دأم الحائط] =

دعمه] ، [التأرض للشيء = التعرض له] ، وفي آخر الكلمة [كنأ اللين = كئع] ^(١) .
ويظهر أن هذه الظاهرة لا تعدو أن تكون أقصى مراحل التحقيق للهمز .
انظر إلى قول صاحب تهذيب اللغة ^(٢) [ومن تحقيق الهمز قولك يا زيد من أنت
كقولك «من عنت» ، فإذا عدلت الهمزة إلى التخفيف قلت يا زيد من أنت فكأنك
قلت «مننت» ، لأنك أسقطت الهمزة من أنت وحركت ما قبلها بحركتها] .

ويدل هذا على أن تحقيق الهمز كانت له صور مختلفة ، فقد قال الأزهرى :
«ومن تحقيق الهمز ؛ أى أن هذا نوع معين من التحقيق وصفه لنا مكتوباً بالعين ،
فكأن الهمزة حين يبالغ في تحقيقها تصبح عيناً» .

ويقول ابن دريد إن بنى تميم عندما يحققون الهمزة يجعلونها عيناً ^(٣) .

فلتسهيل الهمز مراحل : سقوطها من الكلام ، ثم قلبها إلى حرف مدّ ، ثم
تسهيلها بما يسمى بين بين .

ولتحقيق الهمز مراحل : أن ينطق بها النطق المألوف لنا ، ثم أن ينطق بها
شبيهة بالعين .

وقد ذكرنا آنفاً أن الهمزة مالت إلى التسهيل في اللهجات الحضرية ، ومالت
إلى التحقيق في اللهجات البدوية :

(١) فأهل المدينة كانوا يقولون «بدينا» بدلا من «بدأنا» ، وكانوا يقولون
«لحمر» بدلا من «الأحمر» .

(٢) وبينما يقول أهل الحجاز «جبريل» ، يقول بنو تميم «جبرئيل» .

(٣) وقراءة الكوفة «أئمة» بهمزتين ، فى حين أن أكثر القراء ولا سيما
الحجازيين منهم «أيمة» .

(٤) كانت عقيل البدوية تهمز [الجؤنة والمؤسى والحوث] بدلا من النطق
الشائع بغير همز .

(٥) «السودد» الشرف ، وقد تهمز وتضم الدال أى «السودد» وهى لغة طى
كما يقول الأزهرى .

(١) أمالي القالي ج ٢ ، ص ٧٩ .

(٢) جزء ١٨ ، ص ١٤٣ مخطوط .

(٣) الجمهرة ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

(٦) هناك قصة يسوقها أصحاب المعاجم ، ويشتم منها أن النبى صلعم كان لا يهمز أحياناً . فقد جاء باللسان فى مادة «دفعاً» ما نصه : «أدفأت الرجل إدفاء إذا أعطيته عطاء كثيراً ، والدفء العطية ، وأدفأت القوم أى جمعتهم حتى اجتمعوا ، والإدفاء القتل فى لغة بعض العرب . وفى الحديث أنه ﷺ أتى بأسير يرعد ، فقال للقوم اذهبوا به فأدفعوه ، فذهبوا به فقتلوه ، فوداه رسول الله ﷺ ، أراد الإدفاء من الدفء وأن يدفأ بثوب ، فحسبوه بمعنى القتل فى لغة أهل اليمن^(١)» .

أما أن الرسول من قريش وأن لهجة قومه كانت تميل إلى تسهيل الهمز ، فهذا مما لا جدال فيه . ولكننا نتردد قليلاً أمام هذه الرواية ، ونسائل أنفسنا كان صلى الله عليه وسلم يلجأ أحياناً إلى الحديث بلهجات الخطاب ، أم كان يلتزم فى كلامه تلك اللغة النموذجية التى ألفناها فى الآثار الأدبية والقرآن الكريم ؟

يبدو أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمو بكلامه فوق المستوى العام لقومه ، فقد أوتى من الفصاحة فى القول والبلاغة فى الأسلوب ما لم يؤت غيره ، حتى يمكن أن يقال إنه كان فى الذروة إذا قيس بمن حوله من فصحاء قريش ، فكان لا ينطق إلا بسحر القول ورائع البيان ، وكان مزوداً بفيض ربانى جعله أقدر العرب على التعبير بما شاء تعبيراً سامياً تنزهه عن صفات اللهجات ، وخلا من كل ما ينم عن بيئة معينة . فقد سيطر على اللغة الأدبية النموذجية سيطرة تامة ، وملك زمامها حتى أصبحت له وحده لغة سليقة ، لا يعمد إليها عمداً ولا يتكلف القول بها ، بل تنساب إليه عباراتها انسياً ، وتواتره منقاداً إليه كلما هم بطلبها . فكيف مع هذا يروى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قد نطق بقول فيه صفة من صفات لهجة قومه وهى تسهيل الهمز ؟

ولكن العظماء يتنزلون أحياناً إلى مستوى الناس فى خطابهم ، ويتبسطون معهم فى الحديث ، ويخاطبونهم على قدر مستواهم اللغوى ، وهو ما كان يقوم به صلعم فى القليل من الأحيان حين يفد إليه جماعة من البدو ليكلموه ، ويشرح إلى العامة من الناس أمور دينهم ، حينئذ نستطيع أن نتصور أنه صلى الله عليه وسلم كان يعود إلى سليقته الأولى وهى لهجة قريش ، فيخاطبهم بصفاتها ، ويشتمل كلامه على بعض من خصائصها .

(١) ينسب صاحب المخصص هذه اللغة لهجينة .

وليس يعقل أنه صلى الله عليه وسلم كان على علم تام بكل خصائص اللهجات العربية القديمة بحيث يكلم كل قبيلة بحسب لهجتها ، ولكنه لكثرة تجوابه وأسفاره كان يعرف القليل من صفات تلك اللهجات ، أو بعبارة أدق المشهور من تلك اللهجات : فإذا وفد عليه جماعة من قبيلة اشتهرت بأمر معين في لهجتها ، كان يلتصق شيئاً مما يعرفه عن تلك اللهجة ، ويخاطبهم بها تأليفاً لقلوبهم وتنزلاً إلى مستواهم ، ولا تكاد تعدو مثل هذه المعرفة عبارات مشهورة تستعمل في التحية أو الترحيب ، أو كلمات معينة لا يعرفون غيرها في لهجات كلامهم . لا نستطيع إذناً أن نتصور أنه كان يعرف دقائق تلك اللهجات ، وخصائص كل لهجة معرفة الدارس لها ، والواقف على كل شئونها . فلم يكن هذا من مهمة الرسل ، ولم يكن هذا ينتظر منه مع وجود اللغة المشتركة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم والتي كانت القبائل تتطلع إلى مستواها ، ويعمل الخاصة منهم على إتقانها .

فإذا تصورنا أن الذين أتوا له بالأسير كانوا من العامة وأنه صلى الله عليه وسلم رأى أن يخاطبهم على قدر مستواهم ، فكيف تأتي أن يخاطبهم ، وهم من اليعمن على رأى قوم أو من جهينة على رأى آخرين ، بصفة من صفات لهجة قريش ؟

إن الحادث وملابساته وما صاحبه من المفاجأة برجل ذليل مسكين يرتعد فرقاً ، لما يجعل صاحب الرسالة ذات القلب الشفيق الرحيم ، يتأثر بمنظره وينطلق من فوره متحدثاً بسليقته الأولى التي ألفها ونشأ عليها قبل الرسالة وهي لهجة قريش ، فكأنما قد نسي في مثل هذا المجال سليقته الثانية وهي اللغة النموذجية المشتركة . أو يقال إن العظيم حين يريد التنزل إلى مستوى المخاطب لا يخاطبه بصفات من لهجة هذا المخاطب ، وإنما يخاطبه بصفات من لهجة هذا العظيم : ولتصوير هذا نفترض أن وزيراً مصرياً يزور بعض جهات الصعيد في مصر ، وقد صادفه في تجواله جماعة من الناس من أهالي تلك الجهات ، فأراد أن يتبسط معهم في الحديث ، نراه حينئذ ينطق مثلاً بالقاف همزة كما تعود هو النطق بها في لهجة القاهرة ، رغم أنه يسمعهم ينطقون بها «جيماً» غير معطشة . ولا يلجأ مطلقاً في مثل هذا المجال إلى القاف الفصيحة ، التي قد تظهره بمظهر المتعالي عليهم ، أو البعيد عن مستواهم .

نخلص من كل ما تقدم إلى أن البدوى كان يميل في نطقه إلى الأصوات المجهورة لأنها أوضح في السمع ، وتنسجم مع بيئته وطبيعته .

على أن الأمر ليس مقصوراً على المقارنة بين المجهور ونظيره المهموس فى نسبة الوضوح السمعى . فقد نجد صوتين مجهورين ولكن أحدهما أوضح فى السمع من الآخر ، أو صوتين مهموسين وأحدهما أوضح فى السمع من المهموس الثانى ، هنا أيضاً نلاحظ أن البدو بوجه عام يميلون إلى المجهور الأكثر وضوحاً ، أو إلى المهموس الأكثر وضوحاً . فإذا قارنا النون والياء وجدناهما مجهورين وعرفنا أن الياء أوضح فى السمع من النون . ولهذا لا ندهش أن تروى لنا الكلمة بالياء منسوبة لقبيلة بدوية ، وبالنون منسوبة للحضر . فكلمة «إنسان» قد روى لنا أنها نطق بها «إيسان» عند طى البدوية .

كذلك إذا قارنا بين صوتين مهموسين ووجدنا أحدهما أوضح فى النطق من الآخر ، تصورنا أن الكلمة حين تشتمل على المهموس الأكثر وضوحاً فى السمع تنتمى إلى بيئة بدوية مثل :

«تلم» عند تميم ، وعند غيرهم «تلم» ، بالفاء ؛ وكذلك «الأثافى» روى أن بلى تميم كانوا ينطقون بها «الأثافى» .

ولا شك أن الثاء أوضح فى السمع من الفاء رغم أنهما مهموسان .

٥ - التأثير بالأصوات المتجاورة :

تحدثنا آنفاً عن ظاهرة الأصوات المتجاورة وتأثير بعضها فى بعض ، وأن مثل هذا يشيع فى البيئات البدوية بصفة خاصة ، فى حين أن البيئة الحضرية تعمل على تحقيق الأصوات ، وتحول عادة دون تأثرها بعضها ببعض فى أثناء النطق .

ولعل خير مثل يساق لتوضيح هذه الظاهرة ما روى لنا من أن «الميم» قد تقلب إلى «ياء» حين تكتنفها فى الكلمة الواحدة أصوات مجراها الفم ، وأن «الباء» قد تقلب إلى «ميم» حين يكتنفها أصوات مجراها الأنف . وقد نسب الرواة لهذه الظاهرة لقبائل معينة فى حديث طويل يتلخص فيما يلى :

(أ) روى أن بعض القبائل العربية كانوا يقبلون فى لهجاتهم «الميم» إلى «باء» و «الباء» إلى ميم ! وقد ينسب الرواة هذه اللهجة إلى «مازن» من ربيعة ، كما نسبت إلى بكر بن وائل وهى من قبائل ربيعة كذلك . ثم يروون قصة طريفة لآبأس من إيرادها هنا ، وهى :

«روى المبرد أن بعض أهل الذمة قصد أبا عثمان المازني إمام الصرفيين في زمانه ليقرأ عليه كتاب سيبويه ، وبذل له مائة دينار في تدريسه إياه ، فامتنع أبو عثمان من ذلك . قال فقلت له : جعلت فداك ، أترد هذه المنفعة ، مع فافتك وشدة إضافتك ؟! فقال : هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله عز وجل ، ولست أرى أن أمكن منها ذمياً غيراً على كتاب الله وحمية له . قال فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواصل بقول العرجي :

أظلم إن مصابكم رجلاً أهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من كان بالحضرة في إعراب «رجلاً» ، فمنهم من نصبه ومنهم من رفعه ، والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازني لقنها إياه بالنصب . فأمر الواصل بإشخاصه . قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه ، قال : ممن الرجل ؟ قلت من بني مازن . قال : أي الموازن ، أمازن نعيم أم مازن قيس أم مازن ربيعة . قلت مازن ربيعة . فكلمني بكلام قومي وقال : «يا اسمك» ؟ لأنهم يلقبون الميم باء والباء ميماً ! قال فكرهت أن أجيبه على لغة قومي كيلاً أواجه بالمكر ! فقلت بكرياً أمير المؤمنين ! ففطن لما قصدته وأعجب به . ثم قال : ما تقول في قول الشاعر : ظلم إن مصابكم رجلاً ؟ أترفع رجلاً أن تنصبه ؟ فقلت : بل الوجه للنصب يا أمير المؤمنين . فقال : ولم ذلك ؟ فقلت إن مصابكم مصدر بمعنى مصدر بمعنى إصابتكم فأخذ اليزيدي في معارضتي ، فقلت هو بمنزلة قولك : إن ضريك ريداً ظلم ، والدليل عليه أن الكلام يعلق إلى أن تقول : «ظلم» فيتم . فاستحسنه الواصل وقال : هل لك من ولد ؟ فقلت : نعم ، بنية يا أمير المؤمنين . فإن : ما قالت لك عند مسيرك ؟ فقلت أنشدت قول الأعشى :

أيا أبتاً لا ترم عندنا فإنا بخير إذا لم ترم

أرانا إذا أضمرت البلاء د تجفى وتقطع منا الرحم

قال : فما قلت لها ؟ قال قلت قول جرير :

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

قال : على النجاح إن شاء الله تعالى ، ثم أمر لي بألف دينار وردني مكرماً . قال المبرد : فلما عاد إلى البصرة ، قال لي كيف رأيت يا أبا العباس ، ردنا لله مائة فعوضنا ألفاً .

نحن هنا أمام رواية غريبة لا تبررها القوانين الصوتية . فليس هناك لهجة من لهجات اللغات في العالم تلتزم قلب كل ميم إلى باء والعكس ، لأنها عملية متناقضة لا مبرر لها . بل يكون من المغالاة أن نفترض أن لهجة من اللهجات تلتزم قلب أحد هذين الصوتين إلى الآخر .

حقاً أن هناك علاقة صوتية بين «الميم» و «الباء» إذ كلاهما صوت شفوي ، ولكن مثل هذه العلاقة وحدها لا يكفي مبرراً لمثل هذه الظاهرة . نعم إن من لهجات العالم ما تتضمن شيئاً من هذه الظاهرة ، وذلك حين نلاحظ قلب «الميم» «باء» في بعض المواضع ، أو «الباء» «ميم» في مواضع أخرى ، ولكن هذا مقيد بوجود «الميم» أو «الباء» في مواضع خاصة من الكلمات ، وأن تكتنفها أصوات خاصة تساعد على هذا الانقلاب .

فليست المسألة قاعدة مطردة في كل «ميم» وفي كل «باء» .

فنحن في تحقيق هذه الرواية بين أمرين :

١ - إما أن نشطرها شطرين . الشطر الأول وهو قلب الميم باء ، والشطر الثاني هو قلب الباء ميم ، ثم ننسب كل شطر إلى قبيلة خاصة أو لهجة خاصة .

٢ - أو ألا ينسب هذه الظاهرة ببيلة خاصة ، وإنما ننظر إليها على أنها مما يعرض للأصوات من تطور وتغير .

وعلى الرأي الأول وهو نسبة شطر من هذه الظاهرة إلى لهجة خاصة نرى أن القبيلة التي يمكن أن يشيع فيها قلب «الميم» «باء» ، قبيلة من القبائل البدوية التي تميل إلى الأصوات الشديدة ، والتي لم تتأثر بعنصر أجنبي عن اللغة العربية ، لأن «الباء» تختلف عن «الميم» في شيئين : أحدهما أن «الباء» صوت شديد ، وثانيهما أن مجرى النفس معها من الفم ، في حين أن مجرى النفس مع «الميم» من الأنف ، وأنها من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين أي ليست بالشديدة ولا الرخوة .

أما الشطر الثاني وهو قلب «الباء» «ميم» فهو انتقال من صوت شديد إلى صوت متوسط هو أحد الأصوات المائعة "Liquids" ، وربما كان هذا مما ينسب إلى بيلة بدوية أخرى .

والموازن كما اتضح لنا من القصة السابقة ثلاثة : مازن ربيعة ، ومازن تميم ومازن قيس .

وعلى هذا يمكن أن ننسب لمازن ربيعة قلب «الباء» «ميماء» ، وأن ننسب لمازن تميم أو قيس قلب «الميم» «باء» .

على أنه حتى في هذا يجب ألا يعد هذا الانقلاب بمثابة ظاهرة مطردة ، نجدها في كل «ميم» وفي كل «باء» ؛ بل يكفي أن نقول إن مازن ربيعة كانوا يقبلون «الباء» «ميماء» في بعض المواضع ، وإن مازن تميم كانوا يقبلون «الميم» «باء» في بعض المواضع أيضاً ، وبشروط خاصة في كل من الحالين ، وإلا ترتب على اطراد مثل هذه الظاهرة أن نجد لهجة من اللهجات العربية خالية من الميمات أو الباءات !

وعلى الرأي الثاني وهو الراجح فيمكن أن نفسر هذه الظاهرة على أنها لا تختص بقبيلة ما ، وإنما قد صادف أن سمعها بعض الرواة من قوم من مازن [أي كانت مازن هذه] فننسبها إليها ، ثم جرى المؤلفون بعده على هذا ، دون تحقيق أو نظر في صحة هذه الرواية .

والحقيقة أن مثل هذه الظاهرة مما يمكن أن ينسب إلى أية لهجة من اللهجات المنعزلة ، لا على أنها مطردة بل مقيدة بشروط خاصة .

وهذه الظاهرة ليست إلا نتيجة أخطاء الأطفال في البيئة المنعزلة التي لا يجد فيها الطفل فرصة كافية لإصلاح أخطائه ، فيشب عليها وتصبح فيما بعد نطقاً جديداً في جيله .

فلنتصور بيئة منعزلة اجتماعياً أو غير مستقرة على حال ، لا يجد فيها الأطفال من رعاية الآباء ما يستحقونه ، وذلك لانشغال الرجال بأمور الحرب أو السفر في تجارة زمناً طويلاً ، كما أن النساء منصرفات عن أبنائهن بشئون الحياة العسيرة الشاقة ، ولا يجدن من الوقت مع ما هن فيه من مشقة وعسر ، ما يكفي للنظر في شئون أطفالهن والتحدث إليهم حديثاً هادئاً وادعاً يصلح من نطقهم ويرشدهم إلى طريق الصواب .

هنا نرى الأطفال ، ولما تكمل مراحل نطقهم ، يلزم بعضهم بعضاً ، ويتحدث بعضهم إلى بعض ، ونرى الطفل الكبير فيهم يأخذ مكان الأم أو الأب في تعليم الآخرين والتأثير في نطقهم . فإذا شب هذا الجيل الجديد احتفظ في لهجته

ببعض أخطاء الطفولة التي تصبح فيما بعد عنصراً معترفاً به في لهجتهم ،
وظاهرة من ظواهرها ، وتلك هي سنة التطور اللغوي . فما كان يعدّ بالأمس خطأ
تنفر منه الأذان أصبح اليوم صواباً في جيل جديد من المتكلمين .

وليس تقتصر أخطاء الأطفال على ما يتعلق «بالميم» ، «الباء» ، بل هي أعم
من هذا وأشمل ، ولها ظواهر كثيرة تحدثنا عن بعضها آنفاً .

فما يعرض «للميم» أو «الباء» في أخطاء الأطفال ليس إلا مثلاً منها . ومما
أيدته تجارب المحدثين من علماء الأصوات أن الأطفال عامة يميلون إلى قلب أي
صوت من أصوات الفم إلى نظيره من أصوات الأنف في بعض الأحيان ، كما أنه
قد يحدث العكس عند الأطفال قبل أن تتم مراحل نمو لغتهم . لأن الطفل في نطقه
يتلمس أسرار الطرق ، وما لا يكلفه جهداً عضلياً . وهو لهذا لا يميل إلى الجمع بين
صوتين أحدهما مجراه الأنف «كالميم» و «النون» والآخر مجراه الفم كبقية
الأصوات . ولهذا يميل إلى جعل مجرى الصوتين اللذين من هذا النوع ، إما من
الفم فقط ، أو الأنف فقط .

لهذا قد نسمع بعض أطفالنا في المراحل الأولى يقولون في «تين» ، «نين» .
ففي هذا المثال جهر الطفل أولاً «بالتاء» فأصبحت «دالا» ثم جعل مجرى الدال من
الأنف فصارت «نوناً» . كما قد نسمع بعض أطفالنا يقولون في «موز» ، «بوس» فقد
قلبت الميم هنا إلى نظيرها من أصوات الفم وهو «الباء» . ومثل هذا يمكن أن يقال
في نطق بعض أطفالنا للكلمات الآتية :

دبان ، جمل ، بلكونة ، بنطلون

على الأوجه الآتية بالترتيب :

دمان ، جبل ، ملتونة ، منطلون

فإذا شب الأطفال في بيئة غير مستقرة ، ولم يجدوا من يصلح لهم مثل هذه
الأخطاء ، فقد تصبح الكلمات الأخيرة مستعملة في لغتهم مقبولة في جيلهم ، تكون
عنصراً جديداً في اللغة .

فمن المحتمل أن بعض كلمات اللغة العربية التي اشتملت على «ميم» أو
«باء» ، قد تعرضت لمثل هذه الظاهرة من أخطاء الجيل الناشئ في قبيلة من
القبائل . فلما جاء جامعو اللغة وسمعوا القبيلة تنطق «بالميم» في بعض الكلمات
حيث ينطق غيرها بها «باء» ، ظنوا أن تلك القبيلة تلتزم هذه الصيغة في كل

الكلمات ، وكذلك العكس حين سمعوا قبيلة تنطق «باء» في بعض الكلمات حيث ينطق غيرها بهذه «الباء» في تلك الكلمات «ميم» ، ظنوا أن من القبائل العربية من يلتزمون قلب «الباء» «ميم» وهكذا .

ويمثل هذا الشرح يمكن أن ننظر إلى جميع الكلمات العربية المشتركة المعاني والأصوات ، والتي لا فرق بينها سوى أن مكان «الميم» في بعضها ، «باء» في البعض الآخر ، أو أن مكان «الباء» في بعضها ، «ميم» في البعض الآخر .
مثل :

قامطة = قاطبة • كمخ = كبح
الطمش = الطيش • ثلمه = ثلمه

(ب) أما الظاهرة الثانية التي توضح تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض فهي ما سماه الرواة بالكشكشة أو الكسكسة .

فقد أجمع الرواة على نسبة صفة خاصة لقبائل ربيعة سموها أحياناً بالكشكشة وحيناً آخر بالكسكسة . ثم اختلفوا في تبينها ، فقالوا مرة إنها قلب كاف المؤنثة شيئاً أو شيئاً في حالة الوقف ، وفي موضع آخر قالوا إن هذه «الشين» أو «السين» لا تحل محل كاف المؤنثة ، وإنما تلحق بها في حالة الوقف . وضربوا لهذه الظاهرة أمثلة من نثر وشعر فقالوا :

منش = منك • عليس = عليك

وروا لشاعر هذا البيت مخاطباً به الطيبة :

فعيناش عيناها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منش دقيق

وحكى بعضهم أنه سمع أعرابية تقول لجارتها :

ارجعى وراءش فإن مولاش يناديش

ثم زعم بعض الرواة أن الكاف مطلقاً سواء كانت لمؤنث مذكر تقلب شيئاً في لهجة ربيعة فيقولون :

منس = منك

كما نسب بعض الرواة قلب الكاف مطلقاً إلى شين في لهجة من لهجات اليمن . وقد سمع بعضهم في عرفة يقول :

«لبيش اللهم لبيش»

وسموا هذه الظاهرة بشنشة اليمى . ثم زعم الرواة فى مواضع أخرى أن الكشكشة فى لهجة ربيعة هى أن يقفوا على الكاف المؤنثة بزيادة «شين» فيقولون مثلاً : «استجرت بكش» .

وقال آخرون إن ما ينسب إلى ربيعة هو «الكسكة» فيقفون على الكاف مطلقاً بزيادة «سين» !! ونقل الحريرى أن «الكسكة» لبكر لا لربيعة ، وقصرها على زيادة «السين» فى حالة المؤنثة فقط . وفى موضع آخر نسبت هذه الصفة لتميم أو أسد ... إلخ .

ألا ترى معى أننا هنا أمام روايات متناقضة لما يبدو كظاهرة واحدة ؟! ونحن حين ننظر إلى هذه الروايات على ضوء القوانين الصوتية نستطيع أن نستخلص أموراً :

١ - يظهر أن «الكسكة» التى تنسب لربيعة ليست إلا «الكشكشة» بالشين ، وقد رويت مصحفة ، فلا يعقل أن كلا من «الكشكشة» و «الكسكة» يمكن أن ينسب إلى قبيلة واحدة هى ربيعة .

٢ - أن ظاهرة الكشكشة أو الكسكة مقيدة بكاف مكسورة ، لما سنذكره فيما بعد .

٣ - ليست الكشكشة أو الكسكة مقيدة بحالة الوقف ، وإنما تصادف أن الكاف فيما روى من أمثلة كانت فى آخر الكلمة أو الجملة .

٤ - لا بد فى الكشكشة أو الكسكة أن تحل «الشين» أو السين محل الكاف ، ويمكن أن تعد هذه الظاهرة من ظواهر اللهجات ؛ إذ ليس هناك ما يبرر أن تتصل الكاف بصوت آخر فى حالة الوقف ، بل الأقرب إلى القوانين الصوتية وطبيعة اللهجات أن يحل صوت محل آخر ، لما سنذكره من الأسباب .

٥ - أن ما خيل للقدماء أنه «شين» ليس «شيناً» خالصة كذلك التى نعهدا ، وماظنوه «سيناً» ليس كالسين التى نألفها .

الآن وقد جردنا هذه الروايات مما قد لحق بها من تشويه ، علينا أن نشرح هذه الظاهرة على حقيقتها فى ضوء ما تقرره طبيعة الأصوات وقوانينها .

وصل العلماء فى مقارنتهم اللغة السنسكريتية باللغتين اليونانية واللاتينية إلى قانون صوتى سموه «قانون الأصوات الحنكية» فى أواخر القرن التاسع عشر .

وليس يعطينا هنا شرح هذا القانون شرحاً مسهباً ، وإنما ينبغي الإشارة إلى عنصر منه يلقي ضوءاً على ما نحن هنا بصدد . فقد لاحظوا أن أصوات أقصى الحنك ، كالكاف ، و ، الجيم ، الخالية من التعطيش ، تميل بمخرجها إلى نظائرها من أصوات أمامية حين يليها صوت لين أمامي (كالكسرة) ؛ لأن صوت اللين الأمامي في مثل هذه الحالة يجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك فتتقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك أو أصول الثنايا العليا . ولهذا وجدت بعض الكلمات الهندية - الأوربية التي كانت تشتمل على «الكاف» ، قد تطورت فيها هذه الكاف فيما بعد إلى صوت وسط الحنك الذي ينطق به كما ينطق الصوت الأول في الكلمة الإنجليزية "Chicken" أي «تش» .

وهذا الصوت الذي قد يخل إلى بعض السامعين أنه مكون من صوتين ، ليس في الحقيقة إلا صوتاً واحداً كما برهنت التجارب الحديثة في علم الأصوات ، ويسمى المحدثون هذا الصوت وأمثاله "Affricative" . ويتكون هذا الصوت الواحد من عنصرين : أولهما ينتمي إلى الأصوات الشديدة وهو ما يشبه التاء وثانيهما إلى الأصوات الرخوة وهو ما يشبه الشين .

وهذا الصوت هو نفس ما سمعه القدماء في تلك الظاهرة التي سموها «الكشكشة» ، كما أنه هو الصوت نفسه الذي لا يزال نسمعه في بعض اللهجات الحديثة بمصر ، مثل لهجة بلدتي شرويدة وزنكلون وما حولهما من مديرية الشرقية ، حين ينطقون بمثل هاتين الكلمتين :

كلب ، كتاب

ويبرر قلب الكاف إلى هذا الصوت أن يليها كسرة أو فتحة مرفقة ، أي صوت لين أمامي ، يجتذب مخرجها إلى وسط الحنك . كذلك لا يزال نسمع هذه اللهجة في بعض جهات العراق وفلسطين وسوريا ولا سيما بين البدو .

فالذين رَووا هذه الظاهرة بين اللهجات العربية القديمة وقصروها على قلب كاف المونثة إلى «شين» كانوا أقرب الجميع إلى الصواب ، لأن الكثرة في كاف المونثة هي العامل الأساسي في هذا الانقلاب . أما جعلها في آخر الكلمة وقصرها على كاف الخطاب في حالة الوقف ، فليس له ما يبرره من الناحية الصوتية .

فالكشكشة التي عاشت في بعض اللهجات العربية القديمة ليست إلا ظاهرة لغوية ، شوهدت في كثير من لهجات العالم ، وهي قلب الكاف التي يليها صوت لين أمامي ، أي كان موضعها في الكلمة ، إلى نظيرها من أصوات وسط الحنك .

وقد روى هذا في غير كاف المؤنثة في بعض الأشعار القديمة مثل :

علىَ فيها أبغيش بيضاء ترضيني ولا ترضيش
وتطّبي ود بنى أبيش إذا دنوت جعلت تنلّيش
وإن نأيت جعلت تدنّيش وإن تكلمت حثت في فيش
حتى تنقى كنفيق الديش

وقد جهد الرواة يتحايلون بالتأويل والتخريج ليبرروا قوله ، حتى تنقى كنفيق الديش، أي كنفيق الديك ، لأن هذه الكاف ليست للمؤنثة !

وليس شنشة اليمن إلا كشكشة ربيعة . ويجب نسبة هذه الظاهرة إلى القبائل اليمنية البدوية ، وإلى تلك القبائل من ربيعة التي توغلت في البداوة كبكر ابن وائل .

أما الكسكة فهي أن تقلب ، الكاف ، حين تليها الكسرة أو الفتحة المرفقة إلى «تش» . ولا نكاد ندرى شيئاً مؤكداً عن يبلتها قبل الإسلام ، بل حين نبحت عنها في اللهجات العربية الحديثة لا نكاد نعثر على أثر لها ، إلا في لهجة نجد ، فقد سمعت بعض النجديين ينطقون كلمة «عسكري» ، قائلين «عستسرى» .

والدليل على أن السبب الأساسي في ظاهرة الكشكشة هو وجود كسرة وفتحة مرفقة بعد الكاف ، أننا لا نسمع الصوت «تش» حين تكون الكاف مضمومة ، فلا يقول أصحاب هذه اللهجة من المصريين في «كمّ النور» مثلاً «تشّمّ النور» إلا إذا كسروا الكاف وقالوا «تشّمّ النور» .

والذي يجعلنا نرجح أن ما سمعه الرواة ليس «شيئاً» وإنما هو «تش» ، شيوع هذه الظاهرة في اللهجات العربية الحديثة على صورة «تش» . ولا يعقل أنها كانت في اللهجات القديمة «شيئاً» ثم تطورت في اللهجات الحديثة إلى «تش» ، فليس مثل هذا مما يبرره التطور الصوتي . ولو قد روى لنا أن اللهجات القديمة كانت تنطق «تش» ، ثم رأينا اللهجات الحديثة تنطق بها «شيئاً» ، لقبّلنا هذا واعتبرناه تطوراً .

وهكذا ترى أننا نلتصم من اللهجات الحديثة تفسيراً لبعض الظواهر في اللهجات القديمة .

٦ - الميل إلى التفخيم أو الترقيق :

يبدو أن القبائل البدوية بوجه عام قد مالت إلى أصوات التفخيم ، واشتهر

هذا عنهم فاستمسكوا بهذه الظاهرة في نطقهم وتعصبوا لها ، في حين أن القبائل الحضرية أو المتأثرة بالحضر قد أثرت الأصوات المرققة . ويتضح هذا مما روى لنا عن ظاهرة مشهورة سماها الرواة بالعججة ، كما يظهر هذا بجلاء في معظم ماروى عن موقف كل من البيهتني حيال الأصوات المطبقة :

(أ) اشتهر بين صفات اللهجات العربية ظاهرة أطلق عليها القدماء اسم «العججة» . وقالوا عنها إنها قلب الياء جيما .

وتعدّ هذه العملية الصوتية انتقالا بصوت لا هو بالشديد ولا الرخو ، أوفيه بعض الرخاوة وهو «الياء» ، إلى صوت آخر أميل إلى الشدة منه إلى الرخاوة وهو «الجيـم» . ولعل هذه الظاهرة من صفات القبائل البدوية التي حرصت على تفخيم «الياء» فصارت «جيما» .

وقد نسب القدماء هذه الصفة إلى شعب عظيم هو قضاة . ولكننا نعلم أن قضاة قد تفرعت إلى سبعة أحياء .

بلى . جهينة . كلب . عدرة . بهراء . بنونهد . جرم

وبين هذه الأحياء السبعة من تأثروا بالحياة الحضرية ، كما أن بينهم من عاشوا عيشة البداوة . وحير من يمكن نسبة هذه الصفة إليه من أحياء قضاة :

جهينة أو جرم

فالعججة لم تكن في الحقيقة صفة كل أحياء قضاة ، وإنما يحتمل أنها كانت صفة هذين الحيين فقط .

وقد قيد الرواة عججة قضاة بأن تسبق «الياء» «بالعين» !! وضرّبوا أمثلة لهذا مثل :

«الراعـج خرج معج» ، أى «الراعـى خرج معى» .

ويظهر أن «الياء» فيما ساقوه من أمثلة لم تكن في نطق القضاعيين ياء مدّ ، بل كانت صوتاً ساكناً ؛ أى إنه كان ينطق بها «الراعـى» ، حتى يمكن أن نتصور قلبها إلى جيم .

وقد نسبت هذه الصفة أيضاً إلى «فقيم دارم» في قبيلة تميم ، وهو ما يؤيد ما نذهب إليه من احتمال وجود هذه الصفة بين البدو من القبائل . ولم تقيد هذه الصفة بأى قيد حين نسبت إلى «فقيم دارم» ، فقد أنشد أبو زيد :

يارب إن كنت قبلت حجّجُ
فلا يزال ساجح يأتيك بجُ
وقال الحماسي :

خالى عويّف وأبو علجُ
المطعمان الضيف في العشجُ

أما العلاقة بين الياء والجيم من الناحية الصوتية فواضحة جلية ، لأن كلا منهما صوت مجهور ، ومخرجهما واحد ، وإنما تختلف الجيم عن الياء في أن الأول صوت أقرب إلى الشدة منه إلى الرخاوة ، في حين أن الياء من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين ، وليست بشديدة ولا رخوة أو فيها بعض الرخاوة .

وربما قد التجأت تلك القبائل إلى الانتقال بالصوت من صفة اليسر إلى صفة العسر قصد التفضيم في الكلام ، وهو ما لا نستطيع تصوره إلا بين قبائل البدو .

علينا بعد هذا أن ننظر إلى ذلك القيد الذي قيدت به لهجة قضاة ، وهو أن تسبق الياء بالعين !!

في الحق أنه ليس لهذا القيد ما يبرره من الناحية الصوتية ، اللهم إلا أن يقال إن كلا من العين والياء من الأصوات المتوسطة في رأى علماء مخارج الحروف من العرب ، وتفضيم القول يقتضى أن يقلب أحدهما إلى نظير له شديد ، فكانت الجيم بدل الياء .

ولكن لم كانت العين وحدها دون بقية الأصوات المتوسطة الأخرى من ميم وراء ولام ؟! هذا ما لا نستطيع الإجابة عنه الآن لنقص معرفتنا بكل طبائع اللهجات العربية القديمة .

(ب) أصوات الإطباق أصوات مفخمة ، لها رنة قوية في الآذان ، مما يلائم طباع البدو وخشونتهم ، فلا عجب إذاً أن تشيع تلك الأصوات في لهجات البدو ، وأن تأخذ في الانقراض من ألسنة المتحضرين .

واللغة العربية بصفة عامة قد مالت في تطورها إلى التخلص من أصوات الإطباق ، أى الصاد . الظاء . الضاد . الطاء . إذ نسبة شيوع هذه الأصوات في الأسلوب القرآني ضئيلة جداً . فنسبة شيوع الصاد ٨ مرات في كل ألف من الأصوات الساكنة ، والضاد ٦ مرات ، والطاء ٤ مرات ، والظاء ٣ مرات ، في حين أن صوتاً كالنون مثلاً نسبة شيوعه مثلاً حوالي ١١٢ مرة في كل ألف من

الأصوات الساكنة .

وقد مالت اللهجات الحديثة إلى التخلص من هذه الأصوات في معظم المواضع . ولقد روى عن تميم أنهم كانوا يقلبون «السين» ، «صاداً» مع بعض الأصوات المفخمة كأصوات الإطباق ، وكذلك مع القاف والغين والخاء إذا كنَّ بعد «السين» ، مثل :

سراط - صراط . سخر لكم = صخر لكم

سيقل = صيقل . سبغة = صبغة

ونحن حين نستعرض أشهر الروايات التي جاءت بالمعاجم عن موقف اللهجات القديمة من حروف التفخيم ، نراها تكاد تنحصر في أمور ثلاثة :

١ - الصاد والسين :

فقد روى أن بنى العنبر من تميم كانوا ينطقون بكلمة «الساق» ، قائلين «الصاق» . وينو العنبر ممن توغلوا في البداوة ، ومالوا إلى تفخيم الأصوات . فإذا قارنا هذه الرواية بما روى في مكان آخر عن كلمة «الصقر» ، وأن لها نطقاً آخر غير منسوب هو «السقر» ، أمكننا أن نقسم هذه الظاهرة إلى نوعين : النوع الأول هو أن بعض الكلمات كان ينطق بها بين البدو مشتملة على صوت تفخيم ، وينطق بها في الوقت نفسه بين الحضرة مشتملة على نظيره المرقق . وقد عاش النطقان جنباً إلى جنب قبل الإسلام مثل : الساق والصاق . أما النوع الثاني فهو أن الكلمة لم يكن لها قبل الإسلام سوى نطق واحد ورد في نصوص أدبية موثوق بها ، ثم تطورت بعد الإسلام وأصبح لها نطق آخر سمعه الرواة حين جمعوا اللغة . فالصقر هو النطق القديم لهذه الكلمة ثم تطورت الصاد في بيئة حضرية وأصبحت «سيناً» .

ولا شك أن ما ورد في اللسان من قوله : [الصماخ من الأذن الخرق الباطن الذي يفضى إلى الرأس تميمية ، والصماخ لغة فيه ... وسمخه سمخاً أصاب سماخه فعقره ، ولغة تميم الصمخ] ، يعتبر من النوع الأول ، أى أن «الصماخ» ، بالصاد كانت تستعمل في بيئة بدوية ، جنباً إلى جنب مع «الصماخ» ، بالسين في بيئة حضرية .

أما ما روى عن الصراط والسرط ، فيظهر أن الأصل هو النطق بالصاد بدليل ورودها في القرآن الكريم بالصاد ، ثم تطورت حتى شاع فيها نطق آخر بالسين . فليس الأمر كما ظن بعض الرواة من أن السين هي الأصل . جاء في

اللسان : [والسراط السبيل الواضح والصراط لغة في السراط ، والصاد أعلى لمكان المضارعة وإن كانت السين هي الأصل ، وقرأها يعقوب بالسين . قال الفراء : ونفر من بني العنبر يصيرون السين إذا كانت مقدمة ثم جاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء صاداً] . ولسنا نوافق صاحب هذه الرواية على أن الأصل في الكلمة بالسين ، ولكننا نوافق على أن نطقها بالصاد أفصح ، لأنه الذي ورد في القرآن الكريم ، وأخذ به معظم القراء . وكلام الفراء عن لهجة بني العنبر صحيح في جملته ، ولكنه لا يمت لهذه الكلمة بصلصة ، بل ينطبق على مثل «الساق» «الصاق» . أما قول صاحب اللسان بعد هذا : [إن النطق بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب ، وعامة العرب تجعلها سيناً] ، فيجب ألا يؤخذ دليلاً على أن النطق بالصاد مما ينتمي لل لهجة قريش . وذلك لأن ورودها في القرآن بالصاد لا يقوم دليلاً قاطعاً على أنها أيضاً لهجة قريش ، فهناك فرق بين لهجة قريش واللغة النموذجية المشتركة التي نزل بها القرآن الكريم ، ولكن الرواة قد درجوا على اعتبارهما شيئاً واحداً . الأمر الذي نتردد في قبوله الآن .

ويشبه هذا ما حدث لكلمة أخرى هي حسب رواية اللسان [وقد صخب بالكسر يصخب صخباً ، والصخب لغة فيه رعية قبيحة] . فالأصل هو للصخب ثم تطورت الكلمة وصارت بالسين في بعض قبائل ربيعة التي تأثرت ببينة الحيرة ، ولكن النطق «بالسخب» قد اقتصر أمره على منطقة صغيرة وبين قوم مغومرين ، ولذلك عده الرواة قبيحاً ، أما النطق «بالسراط» فقد شاع بين القبائل ، وجاء جامعو اللغة فوجدوه مشهوراً مألوفاً بل وجدوا من القراء من يقرأ القرآن به ولذلك لم يجعلوه في مستوى النطق «بالسخب» .

بقي بعد هذا أن نسوق ما جاء في اللسان مبرهنات على أن «السين» قد ينطق بها صاداً حين يكتنفها أصوات معينة قال : [وصقوب الإبل أرجلها لغة في سقوبها حكاهما ابن الأعرابي قال : وأرى ذلك لمكان القاف ، وضعوا مكان السين صاداً لأنها أقش من السين وهي موافقة للقاف في الإطباق ليكون العمل من وجه واحد ، قال وهذا لتلخيص سيبويه في هذا الضرب من المضارعة] . أليس هذا هو ما سميناه آنفاً بالمماثلة أو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ؟ غير أننا لا نتفق مع صاحب اللسان حين يزيد على هذه الرواية قوله : [ومنه حديث على عليه السلام أنه كان إذا أتى بالقتيل قد وجد بين القريتين حمل إلى أصقب القريتين إليه أي أقربهما ، ويرى الحديث بالسين ، بل نرجح الرواية الثانية للحديث أي بالسين ،

لأن صاحب الحديث من قريش فهو ممن تأثروا بالبيئة الحضرية أكثر من تأثره بالبدو .

٢ - الطاء والتاء :

فقد كانت القبائل البدوية تؤثر الطاء أحياناً ، جاء في اللسان [وأفلطنى الرجل إقلاطاً مثل أفلتنى ، وقيل لغة في أفلتنى تميمية قبيحة] . وجاء في المخصص^(١) [وقد أبدلت الطاء من التاء في «فعلت» إذا كانت بعد حرف من حروف الإطباق قال وهى لغة تميم قالوا «فحصط برجلك» يريدون فحصت] .

٣ - القاف والكاف :

ويستخلص من روايات المعاجم أن البيئة البدوية كانت تؤثر القاف ، فى حين أن البيئة الحضرية قد أثرت الكاف . جاء فى اللسان قشط الجلّ عن الفرس قشطا نزعته وكشفه وكذلك غيره من الأشياء ، قال يعقوب : تميم وأسد يقولون قشطت بالقاف ، وقيس تقول كشطت ، وليست القاف فى هذا بدلا من الكاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين] . وجاء فى المخصص^(٢) [كشطت عن جلده وقشطت ، قال أبو عبيدة : قريش تقول كشطت ، وميم وأسد وقيس تقول قشطت] .

فموقف «قيس» من هذه الظاهرة غامض بعض الغموض ، ولكن المناظرة بين تميم وقريش فى رواية صاحب المخصص توضح لنا بجلاء أن المقارنة كانت بين بيئتين : إحداهما بدوية والأخرى حضرية ، وأن يعقوباً فى رواية صاحب اللسان قد قصد «بقيس» بعض القبائل الحجازية .

وقد بين لنا يعقوب فى كلامه أن هناك فرقاً بين نطقين عاشا جنباً إلى جنب فى بيئتين مختلفتين ، وبين أن يتطور نطق عن آخر أصلى . وهكذا نرى أن من الرواة القدماء من فطنوا إلى ما ندعو إليه هنا من التفرقة بين الكلمات التى تروى بروايتين ، فقد شاع لبعضها نطقان قبل الإسلام وفى صدر الإسلام واختصت البيئة البدوية بأحد النطقين ، واختص الحضر بالنطق الآخر وعاش النطقان فى زمان واحد ولكن فى بيئتين مختلفتين ولا ندرى الأصل منهما أو الفرع . وهناك كلمات أخرى ذات نطقين ولكن أحدهما يعتبر الأصل ، ويعتبر الآخر تطوراً له .

(١) جزء ١٣ صفحة ٢٧٠ .

(٢) جزء ١٣ صفحة ٢٧٧ .

- ٥ -

السرعة فى النطق

تميل القبائل البدوية إلى السرعة فى نطقها ، وتلمس أسير السبل ، فتدغم الأصوات بعضها فى بعض ، وتسقط منها ما يمكن الاستغناء عنه دون إخلال بفهم السامع . ولا شك أن حياة السكينة والهدوء فى البادية لا تتطلب نشاطاً كذلك الذى قد تحتاج إليه حياة الحضر ، لما بها من صخب وأمور دنيوية معقدة تدفع بالمرء إلى حل تلك المشاكل التى كثيراً ما تعترض الحضرى بحكم بيئته ، وخضوعه لنظام من الحكم متعدد القوانين . ولا يستطيع المرء أن يشق طريقه بنجاح فى حياة الحضر إلا بأن يظهر نشاطاً فى عمله ، وأن يلقى جهداً فى موارد رزقه . أما البدوى الذى يقنع بالقليل ، ويخلد إلى السكينة والهدوء فحياته مليئة بالتراخى ، وبما يشبه الكسل حتى فى نطقه . فهو يقصد فى الجهد العضلى وفى التنفس ، ويميل إلى الاختصار فى القول ، لا يكاد يبدأ الكلام حتى ينتهى منه ؛ لهذا كله صبغت لهجات البدو بصفات صوتية خاصة تخالف لهجات الحضر .

ولذلك نلاحظ فى البيعة البدوية أنه حين يلتقى صوتان أحدهما مجهور والآخر مهموس ، يتأثر أحدهما بالآخر ليصبح الصوتان إما مجهورين أو مهموسين . ويغلب على اللغة العربية أن يتأثر الصوت الأول بالثانى ، فإذا كان الأول مجهوراً والثانى مهموساً أصبح الصوتان مهموسين . فإذا روى لنا أن من اللهجات العربية لهجة يقول أصحابها فى «اجتمعوا» «استمعوا» ، أدركنا أن الأمر هنا لا يعدو أن يكون قلب «الجيم» المعطشة إلى صوت مهموس ، وذلك لتأثرها «بالتاء» بعدها فأصبح الصوتان بهذا مهموسين . وإذا قيل لنا إن من القبائل من يقبلون «الصاد» حين يليها «دال» إلى «رأى» مطبقة كما فى «أصدق» ، يصدقون ، علمنا أن المسألة لا تزيد على أن تكون تأثر الصوت الأول المهموس بالثانى المجهور فأصبح الصوتان مجهورين ، وهذا هو التأثير الرجعى . أما التأثير التقدّمى وهو الذى يتأثر فيه الصوت الثانى بالأول فهو قليل الشيوخ بين اللهجات العربية ، رغم أن النحاة قد جعلوه قياساً فى صيغة «افتعل» ، حين تصاغ من

بعض الأفعال التي فاؤها صوت مجهور أو مطبق : مثل ازدان واصطبر ... إلخ^(١).
 ويكفي دليلاً على قلة شيوع هذا النوع من التأثير ، أن النحاة قد قصره
 على أفعال خاصة ، يعرضون لها دائماً في كتبهم ، ولا تطرد هذه الظاهرة في كل
 فعل فاؤه صوت مجهور . ومع ذلك فقد روى لنا أن بعضاً من تميم يقولون في
 «معهم» ، «مَحَمَ» . ويدل هذا على أن تلك الطائفة من تميم قد أسكنوا أولاً «العين» من
 كلمة «معهم» ، فالتقت العين والهاء ، وبما أن «العين» صوت مجهور «والهاء»
 صوت مهموس ، تأثرت العين بالهاء فقبلت إلى نظيرها المهموس وهو الحاء ، وهذا
 تأثر رجعي شاع في اللهجات العربية ، ثم لم يقف الأمر عند هذا ، بل تأثر
 الصوت الثاني وهو الهاء بالأول وهو الحاء تأثراً كاملاً ، وفنيت الهاء في الحاء
 وصارت الكلمة «مَحَمَ» ، وهذا هو التأثير التقدمي النادر في اللغة العربية . فهذا
 المثال الذي روى لنا عن بعض من تميم قد مر في دورين : أحدهما شائع بين
 اللهجات والآخر نادر .

هذا .. وقد رويت لنا بعض لهجات غير منسوبة لأصحابها ، منها عرفنا أن
 التأثير التقدمي قد لعب دوراً هزلياً في اللهجات العربية : فقد قيل لنا إن من القبائل
 العربية من كانوا يقولون في «اجتمعوا» ، «اجدمعوا» ، وفي «الكعبة» ، «الجبعة» . ففي
 المثل الأول اجتمعت «الجيم» وهي مجهورة بالتاء وهي مهموسة فتأثر الصوت
 الثاني بالأول وأصبح الصوتين مجهورين ، وفي المثل الثاني اجتمعت اللام وهي
 مجهورة بالكاف وهي مهموسة ، فتأثر الثاني بالأول وأصبح الصوتان مجهورين .
 وقد نسب الرواة صفة الشذوذ لمثل هذه اللهجات ، وأنكروا عليها الفصاحة ،
 لأن الغالب الشائع في التأثير العربي هو ذلك النوع الذي نسميه بالتأثر الرجعي .
 والتأثير ، أيا كان نوعه ، مما يميل إليه البدو لأن فيه اقتصاداً في الجهد
 العضلي .

على أن أظهر نتائج السرعة في النطق ، هو سقوط بعض الأصوات من
 الكلمات في أثناء النطق بها .
 ويعد هذا أيضاً من مظاهر الاقتصاد في الجهد العضلي ، أو إن شئت فسمه
 كسلاً ، ولكنه على كل حال يحقق الغرض بين المتكلم والسامع ، ولا يخل بهدف

(١) انظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ١٢٨ الطبعة الثانية.

الكلام وهو الفهم ، فقد ينطق البدوي دون تمهل في نطقه ودون انتظار لنهاية الكلمات ، فتصدر عنه الكلمات مبتورة الآخر . وهو لا يحفل بهذا لأن كل ما يرمى إليه . وإفهام السامع ، وقد وصل إلى غرضه مع اقتصاد في الجهد وبطريقة أيسر وأسرع . وهذا هو السر فيما روى لنا من ترخيم النداء ، وفي تلك اللهجة التي سماها القدماء قطعة طئ . ولا بأس أن نورد هنا طرفاً من تلك الروايات التي ظهر فيها سقوط بعض الأصوات نتيجة السرعة في النطق :

١ - روى أن قبيلة طئ كانت تميل إلى قطع اللفظ قبل تمامه فيقولون «ياأبا الحكا، ويريدون يا أبا الحكم . وهذه الصفة تشارك الترخيم في أنها حذف آخر الكلمة ، إلا أن الحذف في الترخيم وارد على آخر الاسم المنادى ، أما هنا فقد يرد على أى كلمة ، اسماً كانت أو فعلاً ، منادى أو غير منادى . وقد روى القدماء البيت الآتي مثلاً لقطعة طئ .

درس المنزل بمتالع أبان فتقادم بالحيس والسريان
(أى المنازل)

كما روى قول الشاعر :

يصل منه إبلى بالهوجل فى لجة أمسك فلاناً عن قلى
(أى عن فلان)

(٢) ذكر القدماء فى معاييب اللخخانية فى لهجة الشحر وعمان أنهم قد مالوا إلى حذف بعض الأصوات ، فكانوا يقولون فى «ما شاء الله، مشا لله، !

(٣) روى أن قبيلتي خثعم وزبيد من قبائل اليمن ، كانوا يميلون إلى حذف نون «من، الجارة إذا وليها كن فيقولون «خرجت مُمسجد» !

وقال شاعرهم :

لقد ظفر الزوار أفقية العدا بما جاوز الآمال ملأسر والقتل

(٤) روى أن بعضاً من ربيعة كانوا يسقطون نون «الذين، و«اللتين، وعليه

قول الفرزدق :

أبنى كليب إن عمتى اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا

وقول الأخطل :

هما اللتا لو ولدت تميمُ لقل فخر لهمو صميمُ

هذا ولا ندرى كيف وقعت مثل هذه الصفات اللهجية في شعر الأخطل والفرزدق ، مع ما نعرف من عرض كل منهما على النظم باللغة النموذجية الأدبية ؟! ليس من الممكن أن يكون بيت الفرزدق كما يلي :

أبنى كليب إن عمياً للذين قتلوا الملوك وفككا الأغلالا

أى أن يروى الشطر الأول منتهياً بما يشبه نون الترنم ، ولا أظن أن الأذن الموسيقية تلحظ حينئذ انحرافاً في وزن البيت .

كذلك يمكن أن يروى بيت الأخطل رواية أخرى ننسجم مع صفات اللغة الأدبية التي نظم بها الشعراء في كل العصور ، ولا تشذ في الوقت نفسه عن مقاييس الشعر العربي .

على أن هذه الصفة قد نسبت أيضاً إلى قبيلة بلحارث من قبائل اليمن .

(٥) نسب إلى قبيلة بلحارث حذف اللام والألف من «على» الجارة إذا وليها ساكن ، فيقولون (ركبت علفرس) أى على الفرس .

(٦) روى أن بعضاً من ربيعة كانوا يقفون على المنسوب المنون بالسكون فبدل أن يقولون «رأيت محمداً» يقولون «رأيت محمد» .

(٧) روى أن قبيلة طى كانت تؤثر الوقف على تاء جمع المؤنث السالم بقلبها «هاء» . وقد سمع بعضهم يقول : «دفن البنا من المكرماء» أى «البنات من المكرمات» ؟!

وليست هذه الظاهرة في الحقيقة قلب صوت إلى آخر ، بل هي حذف الآخر من الكلمة . وما ظله القدماء «هاء» متطرفة هو في الواقع امتداد في التنفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل ، أو كما يسمى عند القدماء ألف المد . وهي لظاهرة نفسها التي شاعت في الأسماء المؤنثة المفردة ، التي تنتهي بما يسمى بالتاء المربوطة ، فليس يوقف عليها بالهاء كما ظن النحاة ، بل يحذف آخرها ، ويمتد التنفس بما قبلها من صوت لين قصير (الفتحة) ، فيخيل للسامع أنها تنتهي بالهاء .

ولقد تطورت تاء التأنيث في اللغات السامية على مراحل ليس هنا مجال تفصيلها ، وإنما يمكن الإشارة إليها فيما يلي :

(أ) الأصل في علامة التأنيث هو التاء المتطرفة ، وقد ظلت على حالها في الفعل الماضي وجمع الإناث في اللغة العربية .

(ب) تطورت في الأسماء المؤنثة المفردة إلى حال وسطى ، وهي : النطق بها تاء في حالة الوصل ، وحذفها في حالة الوقت .

(ح) الطور الثابت لهذه العلامة هو حذفها مطلقاً وصلاً ووقفاً في كل اسم مفرد مؤنث ، وقد شاع هذا الطور الأخير في معظم اللغات السامية كالعبرية وفي اللهجات العربية الحديثة ، فحين نسمع كلمة مثل « الشجرة » في لهجات الكلام الآن يخيل إلينا أن التاء المربوطة قد قلبت « هاء » ، والحقيقة أنها حذفت من النطق ، وامتد التنفس مع صوت اللين قبلها فسمع كالهاء .

وعلى هذا فإذا روى لنا أن من القبائل من كانوا يقفون على هذه التاء المربوطة « بالتاء » ، مثل أولئك الذين سمع عنهم من قال « يا أهل سورة البقرة » فأجابه آخر « ما أحفظ منها آيت » . فليس هذا إلا احتفاظاً بالأصل في ظاهرة التأنيث .

وقد احتفظت بعض اللهجات العربية الحديثة بهذا الأصل . وامتداد التنفس الذي يخيل للسامع أنه هاء متطرفة هو في الحقيقة ما سماه القدماء بهاء السكت . وإنما حين نستعرض أحكام هاء السكت كما شرحها النحاة ، نراها تنحصر في الوقف على الكلمة التي تنتهي بصوت لين طويل كما في مثل « البناء والمكرماه » ، أو صوت لين قصير كما في الوقت على الاسم المفرد المؤنث بعد حذف تاء التأنيث منه ، وكما في الوقف في الفعل المجزوم بحذف حرف العلة ، وما الاستفهامية .

والغالب الشائع في اللغة العربية أن تلحق هاء السكت أصوات اللين القصيرة (أي الحركات) بشرط أن تكون جزءاً من بنية الكلمة . وعلى هذا لا تلحق هاء السكت حركة الإعراب ، لأنها لا تلزم صورة واحدة كحركات البناء^(١) .

نرى كل هذا في البيئة البدوية ، ولا نكاد نعثري على مثله في البيئة الحضرية التي تتطلب الدقة في معظم مظاهرها الاجتماعية ، ومن بينها اللغة .

(١) انظر تفاصيل الوقف وكتاب « أسرار اللغة » للمؤلف صفحة ١٤٢ .

فالحضرى يعنى بتخير لفظه ، وحسن أدائه ، ويعمد إلى نطق كل صوت دون تداخل بين الأصوات . فالمجهور يظل مجهوراً ، والمهموس يحافظ على همسه ، لأن من مظاهر التحضر اللبافة فى القول وحسن النطق ومراعاة قواعده ، وذلك هو ما شاع فى البيئة الحجازية على العموم ، وفى مكة بصفة خاصة .

فلا غرابة أن وصفت قريش بالفصاحة ، ونسب إليها الإحكام فى النطق وحسنه . ولا غرابة أيضاً أن أتخذت اللغة العربية التى نظم بها الشعر ، ونزل بها القرآن الكريم ، كثيراً من صفاتها الصوتية من البيئة الحجازية ، أو بعبارة أدق من لهجة قريش ؛ فتكرنت منها اللغة النموذجية التى اعتزت بها كل القبائل ولا سيما الخاصة منهم ، وحافظوا على كل أثر أدبى كتب بهذه اللغة .

وليس معنى هذا أن الصفات الصوتية لهذه اللغة الأدبية هى نفسها الصفات الصوتية للهجة قريش ، وإنما تشترك معها فقط فى الكثير منها .

وتختلف اللغة الأدبية عن لهجة قريش فى القليل من الصفات الصوتية ، كتحقيق الهمزة ، الذى لم يكن شائعاً بين الحجازيين ولكنه يعد أصلاً فى اللغة النموذجية التى رويت لنا بها أشهر القراءات ، وقرأ بها أشهر القراء ، وتلقاها الرواة فى عصور التدوين معتزين بآثارها فخورين بخصائصها ، فوضعوا لها القواعد الدقيقة ، وجعلوها الأساس الذى يبنى عليه ويقاس عليه ، وعدّوا ما عداها شاذاً . ولكنهم لسوء الحظ قد خلطوا فيما بعد بين هذه اللغة وما سمعوه من قبائل بدوية تعودت أن تفلد إلى مدن العراق ، وتعود الرواة أن يرحلوا إليهم . وقد كان الرواة فى الأخذ عن تلك القبائل متأثرين بفكرة خاطئة ، وهى أن كل ما كان يروى عن البادية حتى أواخر القرن الرابع الهجرى يحتج به ويرجع إليه .

(اللهجات متناثرة)

رويت لنا بعض صفات صوتية للهجات متناثرة في شبه الجزيرة . وبعض هذه اللهجات منسوبة إلى جهات معينة ، والبعض الآخر لا يعرف لها صاحباً ، بل قد رواها الرواة مجهولة النسب ، مبتورة حيناً ومشوهة حيناً آخر . فلا عجب أن قد اعترى تلك اللهجات في تفسيرها كثير من التحريف أو التصحيف . وسنعرض هنا طرقاتاً من هذه اللهجات ، دون أن يحاول تحقيق نسبتها إلى قبائلها ، وإنما سنكتفي بشرحها وتحليلها على ضوء ما يقرره علم الأصوات اللغوية :

أولاً : المشهور في حرف المضارعة للفعل الثلاثي أن يكون مشكلاً بالفتح في كل الحالات ، بهذا جاء القرآن الكريم ، وهذا هو المألوف في اللغة النموذجية الأدبية . غير أن الرواة يؤكدون لنا أن كثيراً من القبائل تنطق بحرف المضارعة حين يكون «تاء» أو «نونا» أو «همزة» ، مكسوراً فيقولون مثلاً «تعلم» . وقد جاء في اللسان^(١) : [قال أبو عمرو : وتعلم بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة سالعرب . وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون «تعلم» بالفتح ، والقرآن الكريم عليها . قال وزعم الأخفش أن كل من ورد علينا من الأعراب لم يقل إلا «تعلم» بالكسر] .

ويبدو من كلام اللغويين أن جميع العرب يلتزمون الفتح ، حين يكون حرف المضارعة «ياء» فيما عدا قبيلة بهراء ، التي عرفت لهجتها بكسر هذا الحرف مع الياء أيضاً ، وقد سميت هذه الظاهرة بتثنية بهراء . وبهراء هذه قبيلة في قضاة وكانت مساكنهم متاخمة لحدود الشام ، فهل تأثرت في هذه الظاهرة بما جاورها من لغات كالآرامية والعبرية اللتين اطردهما فيهما كسر حرف المضارعة ؟

على أن الرواة كعادتهم يأبون إلا أن يسوقوا لنا شواهد من الشعر حتى في مثل هذه الظاهرة ، التي تنتمي إلى اللهجات ولا تمت للغة الشعر بصلة . فقد قالوا إن أحد الشعراء يقول :

(١) جزء ٢٠ صفحة ٢٨٢ .

لو قلت ما في قومها لم تَيْتَمَ يفضلها في حسب وميسم

قبدلا من أن يقول «تأثم» كسر حرف المضارعة ، ثم سهلت الهمزة فصار الفعل «تَيْتَمَ» . ومع هذا لا يصح مثل هذا البيت أن يكون شاهداً على ثلثة بهراء لأن حرف المضارعة هنا «تاء» وليس «ياء» !

هذا مثل آخر يدل على أن الرواة كانوا يتخبطون أحياناً في وصف لهجات العرب لنا .

ويظهر أن حركة حرف المضارعة قد خضعت في اللهجات إلى قانون صوتي ، وأنه كان لطبيعة فاء الكلمة أثر في شكل حرف المضارعة . فحين كانت فاء الكلمة من حروف الحلق ، مال حرف المضارعة إلى الفتح ، أما في غير ذلك فقد التزم الكسر في معظم اللهجات .

وحين نستعرض اللهجات العربية الحديثة ، نرى معظمها يلتزم كسر حرف المضارعة ، مما يبرهن على أن هذا هو الذي شاع في معظم اللهجات القديمة أيضاً . على أننا نلاحظ أن بعض اللهجات الحديثة تؤثر الفتح حين يكون فاء الكلمة من حروف الحلق .

ولهذا كله نرجح أن الأصل في شكل حروف المضارعة هو ما شاع في لهجات الحجاز من الفتح في كل الحالات . وقد انحدر هذا الأصل إلى هذه اللهجات من السامية الأولى ، ثم تطور إلى كسر في معظم اللغات السامية ، غير أن تطوره في لهجات العرب لم يشمل حالة «الياء» لأن الياء المشكلة بالكسر نادرة الشيوع في النطق العربي^(١) . ولأن الياء مع الكسر أشق منها مع الفتح ، مما قد يتعارض مع حكمة التطور إلى الكسر ؛ لذلك احتفظت معظم القبائل التي تطور في لهجتها شكل حرف المضارعة ، بفتحه حين يكون «ياء» .

أما بهراء فأغلب الظن أنها تبعت اللغات السامية المجاورة لها .

ثانياً : نسب الرواة لقبيلة حمير أنها كانت تقلب اللام في أداة التعريف «ميماء» ، ورووا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخاطب بعض الحميريين «ليس من أمير امصيام في امسفر» ، وسموا هذا طمطمانيه حمير .

ونسب الرواة أيضاً إلى قبائل سعد بن بكر وهذيل والأزد والأنصار أنهم كانوا يقلبون «العين» في الفعل «أعطى» إلى «نون» فيقولون «أنطى» ، وقد قرئ «إنا

(١) انظر أسرار اللغة للمؤلف صفحة ١٧٨ .

أنطيناك الكوثر، وقد سمي الرواة هذه الظاهرة بالاستنطاء .

وفي كل من هاتين الظاهرتين قد قلب صوت من أصوات الفم إلى آخر من أصوات الأنف . وقد تقدم القول إن قلب صوت من أصوات الفم إلى آخر من أصوات الأنف ، أو العكس ، أمر معترف به في معظم اللهجات ، وأنه في الغالب نتيجة أخطاء الأجيال الناشئة ، حين يحاولون التوفيق بين مجرى الأصوات ، فيجعلونها إما من الفم أو الأنف فقط .

ولكننا حين نستعرض الأمثلة التي رويت لنا بصدد هاتين الظاهرتين لانكاد نعثر على مبرر صوتي قوي ، كذلك الذي لاحظناه من قبل في مثل نطق أطفالنا لكلمتي :

«دبان» و «بلكونة» حين يقبلونهما إلى «دمان» و «ملتونة» . فكيف تأتى إذاً أن قلبت لام التعريف إلى «ميم» وهما لا يختلفان في المجرى فحسب ، بل وفي المخرج أيضاً ؟؟ وكذلك كيف تأتى أن قلبت العين إلى نون في «أعطى» مع اختلافهما في المجرى والمخرج أيضاً ؟؟

لهذا كله نرجح أن الرواية مبتورة أو ناقصة ، ولا يستطيع الحكم على مثل هاتين الظاهرتين من مثل أو مثليين ردهما الرواة .

وليس هناك ما يمكن أن يبرر هاتين الظاهرتين ، سوى اشتراك «اللام والميم والنون والعين» في الصفة ، فكل من هذه الأصوات صوت مجهور متوسط لا هو بالشديد ولا بالرخو . على أنه إذا ما أمكن أن نتلمس أسباباً أخرى في طمطممانية حمير ، فمن العسير أن نبرر استنطاء هذيل في فعل واحد من بين أفعال اللغة . وليس في مجاورة العين للطاء أمر غير عادي ، فقد رويت هذه المجاورة في كثير من الأمثلة ومع هذا فلم ينسب لها استنطاء . فلم اختصت «أعطى» بهذه الصفة ، في حين أنها لم تنسب لأية كلمة اشتقت من المواد الآتية :

«عطش ، عطس ، عطل ، عطر ، عطن ، عطف» ؟؟

ويظهر أن الأمر لم يكن مقصوراً على الفعل «أعطى» ، بل يتعلق بنطق كل «عين» سواء وليها «طاء» أو صوت آخر . قلل من القبائل من كانوا ينطقون بهذا الصوت بصفة خاصة نطقاً أنقميةً ، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معاً ، فتسمع العين ممتزجة بصوت النون وليست في الحقيقة نونا ، بل

هي «عين» أنفمية^(١) . وعلى هذا فيمكن أن يقال إن الرواة قد سمعوا هذه الصفة ممثلة في الفعل «أعطى» فأشكلت عليهم ، ولم يصفوها لنا على حقيقتها . ويميل بعض المستشرقين إلى أن أنفية العين كانت صفة صوتية ملازمة لها منذ السامية الأولى . ويفسر «رايين» الاستنطاء بأنه لا شأن له بالفعل أعطى ، بل هو فعل سامي آخر معروف في العبرية هو «نطا» بمعنى مد يده إلى ، وقد زادت عليه الهمزة أي صار على صورة أفع^(٢) .

أما في حالة طمطممانية حمير فإن أداة التعريف في اللغات السامية قد رويت حيناً «باللام» كما في العربية ، وحيناً آخر «بالنون» كما في العبرية . فقد أجمع المستشرقون على أن أداة التعريف العبرية كانت في الأصل «هن» . واستدلوا بتشديد أوائل الأسماء المعروفة في اللغة العبرية على إدغام نون «هن» في الحروف الأولى من الأسماء ، بشرط ألا تكون حروف حلق . فليس بغريب بعد هذا أن تروى أداة التعريف في بعض اللهجات السامية «بالميم» كما في طمطممانية حمير ، لأن العلاقة الصوتية بين «اللام» والنون والميم واضحة جلية : فهي أكثر الأصوات شيوعاً في اللغات السامية ، كما أنها من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين . ولهذا كانت من أسبق الأصوات في نطق الطفل . فهذه الأصوات الثلاثة أصوات قديمة سبقت في نطق الإنسان الأول غيرها من الأصوات ، وقد استغلت في ظواهر لغوية متعددة ، فهي أحياناً تعبر عن النفي وأحياناً تفيد التعريف ؛ فهي مجموعة متميزة بين أصوات اللغة يحل بعضها مكان بعض ، وقد تنقلب جميعها إلى أصوات لين طويلة .

ثالثاً : صوت اللين المركب الذي يسميه المحدثون Diphthong ، «قدمر» في اللغة العربية في أدوار ثلاثة : «ai» أو «au» ثم تطور الأول إلى «e» والثاني إلى «o» وأخيراً صار الاثنان : a

ففي الأفعال المعتلة الآتية :

بان . كان . رمى . سما

بدأت أولاً على الصور الآتية بالترتيب :

بين . كون . رمى . سمو

Samau Ramai Kauna Baina

(١) أنظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ٦٣ .

(٢) Ancient West Arabian . p : 32

ثم صارت :

بَيْنَ . كَوْنَ رَمَى ، سُمُو

Samo : Rame : Ko : na Be : na

ثم صارت جميعها بألف لين خالصة كما نعهدها الآن . على أن القبائل قد اختلفت في هذا ، فمنها قبائل احتفظت بالطور الأول ، وأخرى وصلت إلى الطور الثاني ووقفت عنده .

أما الطور الأخير فهو أحدثها وأفصحها لكثرة شيوعه بين القبائل المشهورة ، ولأنه الصفة التي عاشت في اللغة الأدبية النموذجية ، وهذا هو السرف في الروايات الآتية :

روى أن قبائل بلحارث وخثعم وكنانة تلازم المثني الألف ، وعلى هذه اللهجة قول القائل :

«قد بلغا في المجد غايتاهما،

وروى أيضاً أنهم كانوا يقبلون كل ياء بعد فتحة ألفاً فيقولون في «جلت إليك، «جلت إليك» .

وقد قال الشاعر «طاروا علاهن فطر علاها، ، أي «عليهن وعليها» .

وهذه اللهجة هي الطور الثالث لصوت اللين المركب ، ولهذا تعد من أحدث مظاهر اللهجات العربية . إذ يظهر أن الأصل في المثني التزام الياء ، ثم تطور هذا إلى الإمالة التي لا تزال شائعة في معظم اللهجات العربية الحديثة ، وأخيراً صار المثني بالألف^(١) .

وقد اتخذت اللغة النموذجية أحوال المثني في لهجات مختلفة ، ثم خصص النحاة حالة الياء بالنصب والجر ، وحالة الألف بالرفع .

ولقد قررنا قبلاً أن اللغة النموذجية قد اتخذت بعض صفاتها من لهجات متعددة . لهذا نرجح أن أحكام المثني كما رويت لنا في اللغة الأدبية النموذجية ترجع في الأصل إلى أكثر من لهجة واحدة .

ومثل هذا يمكن أن يقال في لهجة «فزارة» وبعض «قيس» حين يقفون على

(١) انظر الخصائص الجزء الأول صفحة ٤١٢ .

الألف المتطرفة بالياء فيقولون في «الهدى»، «الهدى». فلهجة فزارة هي الطور الأول، أما الطور الثاني فهو الإمالة، وأخيراً أصبحت الكلمة كما نعهدها الآن بألف اللين الخالصة، وهو أفصح الجميع وأكثرها شيوعاً بين القبائل.

وعلى هذا إذا قيل لنا إن قبيلة عذيل كانت تقول «عَصَى» بدلا من «عصاي»، علمنا أن الأمر لا يعدو أن قبيلة عذيل التزمت الطور الأول لصوت اللين المركب ولم يتطور فيها.

وبهذا يمكن أن نفرس قول شاعرهم :

سبقوا هوىً وأنقوا لهواهـموا فتخـرموا ولكل جنب مصرع

ويظهر أن الوقف على أصوات اللين المتطرفة، كان عسيراً على اللسان العربي، قليل الشيوع في معظم اللهجات العربية، فقد روى أن بعضاً من تميم كانوا يقولون على مثل كلمة «الهدى» قائلين «الهدو»، وبعض من قبيلة طى كانوا يقولون «الهداء» بالهمزة. ولعل هذه هي اللهجة التي يشير إليها الأزهرى صاحب تهذيب اللغة في قوله ج ١٨ ص ١٤٠ [ومنها همزة الوقف في آخر الفعل لغة لبعض العرب نحو قولهم للمرأة «قولى»، وللرجلين «قولاً»، وللجميع «قولو»، وإذا وصلوا الكلام لم يهمزوا، ويهمزون «لأ، إذا وقفوا عليها»].

فإذا أضيف إلى هذا ما نعرفه من وقوف معظم القبائل على ما آخره صوت لين بهاء السكت، أدركنا بسهولة كيف فرت معظم اللهجات العربية من الوقوف على أصوات اللين طويلاً وقصيراً.

رابعاً : اختلاف موضع النبر :

تخضع اللغات لقواعد خاصة في موضع النبر من الكلمة أو الجملة. والنبر هو الضغط على مقطع من المقاطع بحيث يتميز عن غيره من مقاطع الكلمة ويزداد وضوحه في السمع^(١).

ولم يعن المتقدمون بالبحث في مواضع النبر العربي، وإنما هي إشارات رويها في ثنايا كتبهم نستطيع منها الحكم على أثر النبر فيما يعرض لبعض اللهجات من ظواهر صوتية. وقد اختلفت مواضع النبر في اللهجات العربية الحديثة اختلافاً يجعلنا نرجح أن اللهجات القديمة قد اختلفت أيضاً في هذا. وحين

(١) انظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ٩٧.

نعتمد على قراءة المجيدين من المصريين في العصر الحاضر ، ونحاول استنباط مواضع النبر في قراءتهم ، نستطيع أن نتبينه في واحد من مواضع ثلاثة :

إما أن يكون على المقطع الأخير بشروط خاصة ، أو على المقطع الذي قبل الأخير بشروط معينة أيضاً ، فإذا لم تتوفر شروط هذا أو ذاك كان النبر على المقطع الثالث حين نعدّ المقاطع من نهاية الكلمة .

ومثال الموضع الأول «المستقر» حين نقف على قوله تعالى «إلى ربك يومئذ المستقر» ، ونستعين ، حين نقف عليها في قوله تعالى : «إياك نعبد وإياك نستعين» .

ومثال الموضع الثاني :

يكتبُ بحرُ أصغرُ

ففي هذه الأمثلة نلاحظ أن النبر يقع على المقطع الذي قبل الأخير ، وهو على الترتيب .

تُ ، بَحْ ، غَ

ومثال الموضع الثالث وهو القليل الشيوخ في اللغة العربية ، كما نسمعها من أفواه القراء في عصرنا الحاضر :

ضربُ ، اشتهرُ ، اجتمعوا

ففي هذه الأمثلة نلاحظ أن النبر يقع على المقطع الثالث من الخلف ، وهو على الترتيب :

ضَ ، تَ ، تَ

على أن هناك موضعاً رابعاً للنبر نادر الشيوخ ، يقع على المقطع الرابع حين نعدّ المقاطع من نهاية الكلمة . ونلاحظ هذا في كلمات مثل :

عربةُ ، بلحةُ ، رقبةُ

ففي مثل هذه الأمثلة يكون النبر على المقاطع الآتية على الترتيب :

عَ ، بَ ، رَ

والذي نلاحظه بوجه عام هو أن اللهجات العربية تميل في حالة الوقف إلى نقل النبر إلى المقطع الذي قبله ، فحين نقف على الأمثلة الآتية :

يكتبُ ، خالدٌ ، مستفهمٌ

نلاحظ أن النبر ينتقل من المقاطع الآتية :

تُ ، لٍ ، هـ

إلى المقاطع التي قبلها وهي :

يكُ ، خَا ، تَفْ

وذلك لأن من يريد الوقف لا ينتظر بنطقه حتى ينتهي من جميع المقاطع ، بل يبتتر غالباً المقطع الأخير أو جزءاً منه ، من آخر كلمة في جملته . وقد ترتب على هذا تلك الظاهرة التي سماها القدماء الوقوف بالسكون ، ففي الكلمات المنونة يحذف تنوينها ، والكلمات المحركة الآخر سواء كانت تلك الحركة حركة إعراب أو بناء ، تحذف حركتها ، فالقبائل بصفة عامة تقف على الكلمات الآتية :

خالدٌ ، معلمٌ ، ينزلُ

هكذا :

خالدٌ ، معلمٌ ، ينزلُ

ونلاحظ في حالة الوقف انتقال موضع النبر إلى المقطع الذي قبله في معظم الحالات . على أن معظم القبائل قد اختصت المنون المنصوب بحكم خاص ، وهو الوقف عليه بالألف ، إلا قبيلة ربيعة التي اشتهر عنها الوقف عليه بالسكون أيضاً . وقد روى لنا أن بعض القبائل قد التزموا في لهجاتهم حكماً خاصاً في حالة الوقف مثل :

(أ) روى أن قبيلة الأزد من القبائل اليمنية ، كانت تقف على الكلمات المنونة بحركة من جنس حركة آخر الكلمة فيقولون : جاء خالدو ، رأيت خالدًا ، مررت بخالدي .

وعلى هذا فلا شك أنهم كانوا يبقون النبر في موضعه في حالة الوقف ، وهو في كل من الأمثلة الثلاثة المتقدمة دل ، في خالد .

(ب) - كما نستنتج أن قبيلة سعد بن بكر كانت تبقى النبر في موضعه أيضاً في حالة الوقف ، ولكنهم مع هذا كانوا يحذفون التنوين . ولم يكن من الممكن حذف التنوين وإبقاء النبر في موضعه إلا بتشديد الحرف الأخير من الكلمة ، وإلا خالف هذا ما عرف عن نسج المقطع الأخير من الكلمات العربية حين

يكون منبوراً . فشرط المقطع الأخير حين يقع عليه النبر أن يكون أحد نوعين :

صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن

أو :

صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان

ففي حالة الوقف على مثل «خالد» بالسكون ، مع بقاء النبر في موضعه ، يجب أن تصبح الكلمة على أحد وجهين : إما (خالد) أو (خاليد) .

وقد اتخذت لهجة سعد بن بكر الوجه الأول وهو «خالد» في حالة الوقف ، وذلك حين يكون المقطع الذي قبل الأخير متحركاً ، أما إذا كان ساكناً فالنبر لا يتغير موضعه في حالة الوقوف في أية لهجة من اللهجات . ولهذا روى أن لهجة سعد بن بكر تقول (هذا بكر) في حالة الوقف ، كما هو الشائع في اللهجات الأخرى .

هذا ... وقد روى أن قبيلة سعد بن بكر لا يلتزمون لهجتهم هذه في حالة الوقف على ما آخره همزة مثل «رشاء» ، لأن تضعيف الهمزة ثقيل على السمع ويحتاج إلى جهد عضلي كبير ، أو لعل السبب الحقيقي هو أن كلمة «رشاء» على صيغة لا يتغير معها موضع النبر حين يوقف عليها بالسكون ، فموضع النبر من هذه الكلمة في حالتها الوصل والوقف هو المقطع «ر» ، وقد سمي القدماء هذه الظاهرة الوقوف بالتضعيف ، ولم يرو عن أحد من القراء ، إلا ما نسب لعاصم في قوله تعالى «وكل صغير وكبير مستطر» وما نسب لأبي عمرو «وتواصوا بالصبر» ، كما قرأ سلام «والعصر» .

ويظهر أن هذه القبيلة قد التزمت في معظم الأحيان نبر المقطع الأخير من الكلمة في حالة الوقوف عليها ، مما أدى إلى تضعيف الحرف الأخير .

وهناك قبائل أخرى يضغطون على المقطع الأخير من الكلمة في حالة الوقف عليها ، وأولئك هم الذين يقفون بما سماه النحاة الوقف بالنقل . ففي مثل الوقف على بكر وعمرو ، ينقلون حركة اللراء إلى الساكن قبلها ويقولون «هذا بكر» ومررت ببكر ... إلخ . وقد ترتب على التزام نبر المقطع الأخير في لهجتهم شيان : أولهما ما سمي بالنقل ، وثانيهما تضعيف الحرف الأخير . فأولئك الذين يقفون بالنقل كانوا في الغالب يضغطون في الوقت نفسه الحرف الأخير من الكلمة . ولعل النطق الصحيح لهذه القبائل هو أنهم كانوا يقولون «هذا بكر» ، ولم يفتن النحاة

لهذه الصفة وظنوها الوقف بالنقل فقط :

ومما يؤفء ما نذهب إلفه تلك الروافة التى روفت عن أبف عمرو فى وقفه على قوله تعالى «وتواصوا بالصبر» . وقد ذكرها النحاة مرة فى الوقف بالتضعف؁ ومرة أخرى حفن أشاروا إلى الوقف بالنقل؁ مما فدل على أن الوقف بالنقل فستلزم أحياناً التضعف؁ ولكن فف كل وقف بالتضعف ففضمن نقلاً؁ إلا فى لهجة «لخم» وبعض من «طى»؁ أولئك الذفن فلتزمون النقل؁ ولو كان الحرف الذى قبل الأخير متحركاً . وقد مثل النحاة للهجة لخم وطى أولاً بقول الشاعر :

من فأتمر للفر ففما قصدهُ
تحمف مساعفه ففعلم رشدهُ

وثانفا بقول القائل :

والكرامة ذات أكرمكم الله بهُ .

فظهر أنهم كانوا فشدون الهاء فى كل من «قصده»؁ «شده»؁ لأن النقل ففصبه فى الغالب تضعف .

على أن ما فسمفه النحاة وقفاً بالنقل ففف الحففة إلا تخلصاً من التقاء الساكنفن حفن فقعان فى آخر الكلمة . فبعض القبائل قد سطرط عليها عادة التخلص من التقاء الساكنفن سطرة تامة إلى حد أن التزموه أيضاً حفن فكون الساكنان فى آخر الكلمة (١) .

(ح) اختلفت القبائل العربفة فى أحكام الفعل المضعف؁ أى الذى ففه العفن واللام من نوع واحد؁ مثل «رء»؁ «عء»؁ وففف لهذا الاختلاف من سر؁ سوى اختلاف موضع النبر بفن هذه القبائل .

وقد نظر النحاة إلى مثل هذا الفعل من وجهفن : أولاً حفن فكون مجزوماً؁ وثانفاً حفن ففصل بضمفر رفع :

١ - رروا لنا أن لهجة الحجازفن فلتزم فك الإدغام فى حالة الجزم ففقولون «لم فردد»؁ فى حفن أن بنف فمف ففقولون الإدغام ففقولون «لم فردد» . وعء النحاة كلا من الوجهفن جائزاً صحفحاً .

أما السر فى التزام الحجازفن فك الإدغام فهو أن فترتب على الجزم عادة

(١) انظر أسرار اللغة صفحة ١٤٧ .

نقل النبر من موضعه إلى المقطع الذي قبله ، لأن الجزم يختصر أواخر الكلمات .
ففي قولنا «يكتب» نلاحظ أن النبر على المقطع «ت» ، ولكن إذا جزم الفعل كما في
مثل «لم يكتب» ، انتقل النبر إلى المقطع «يك» . وعلي هذا كان من الواجب في
حالة جزم الفعل «يرد» أن ينتقل النبر من المقطع «رد» إلى المقطع «ب» لتصبح
الكلمة «لم يرد» ، ولكن التباس هذا الوضع بوضع الفعل المعتل العين ، والحرص
على إظهار تضعيف الفعل ، جعل العرب من الحجازيين يفكون الإدغام ليجمعوا
بين أمرين : نقل النبر إلى الراء بسبب الجزم ، وإظهار تضعيف الفعل .

وهكذا جاء الوضع «لم يرد» . ولهذا عاد الحجازيون إلى الإدغام حين بقي
النبر في موضعه ، مثل «لم يردوا» .

أما بنو تميم فلم ينقل النبر في لهجتهم بسبب الجزم وبهذا بقي الإدغام .
فكانوا يقولون في حالة الوقف «لم يرد» ، أما في الوصل فكانوا يحركون للدال
الثانية بحركة لالتقاء الساكنين ، سواء أكانت تلك الحركة فتحة أم ضمة أم كسرة
على اختلاف بين النحاة . وربما كان هذا من المواضع القليلة التي يتخلص فيها
من التقاء الساكنين بتحريك الثاني منهما .

نخلص من كل هذا إلى أن فك الإدغام عند الحجازيين في مثل «لم يرد»
ليس له سرٌّ سوى نقل النبر من موضعه ، فلما جئ بالأمر من هذا الفعل كان من
المعقول أن يأتي على هذا الوضع «أرد» ، في حين أن الأمر عند بني تميم هو
«رد» .

أما تلك اللهجة التي رويت عن «عبد القيس» واختص بروايتها الكسائي فهي
أنهم كانوا يقولون في حالة فعل الأمر «أرد» ، وأغض . ومن المحتمل هنا أن
يكون هذا الوضع من أنواع القياس الخاطئ ، رغبة في اطراد الصيغ والأوضاع
في اللهجة الواحدة . وبهذا قاس بنو عبد القيس فعل الأمر هنا ، على الأمر من
الفعل الثلاثي الصحيح الذي يلتزم فيه البدء بهمزة الوصل .

٢ - أما في حالة اتصال الفعل المضعف بضمير الرفع ، فقد أجمع النحاة
على وجوب فك الإدغام في الكثرة الغالبة من اللهجات العربية . وربما لم يكن هذا
إلا عن طريق قياس أمثال «رد» على الأفعال الصحيحة ، وبهذا يقال «رددت» كما
يقال «ضربت» . وإذا أمكن قبول قول النحاة إن لام الفعل الصحيح قد سكنت حين
اتصاله بضمير الرفع لكراهة توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة ، فليس
من المعقول أن يلتزم هذا في مثل «رد» الذي لا يترتب على اتصاله بضمير الرفع

أن يتوالى أربع متحركات .

فالسّر إذاً في فك الإدغام ، هو القياس على الفعل الصحيح لا أكثر ولا أقل . وعلى هذا فما روى لنا من أن ناساً من بكر بن وائل كانوا يقولون «ردّت» ، قد جاء على الأصل . وقد ترتب على اتصال الضمير بالفعل في لهجة بكر بن وائل ، انتقال النبر إلى الأمام ، من المقطع «ردّ» إلى المقطع «د» . وانتقال النبر إلى مثل هذا المقطع قد يطيل صوت اللين فيه فيصبح «داه» . ولهذا جاءت بعض الروايات بأن لهجة قيس عيلان تزيد ألفاً بعد المدغم قبل الضمير ، فيقال «مدات» . وإذا نطق مثل هذا الوضع الأخير بالإمالة ، نتج هذا الوضع الذي التزمته معظم اللهجات العربية الحديثة والذي نلاحظه في لغة كلامنا .

هذه إشارات نرجح منها أن القبائل العربية تلتزم في لهجاتها قانوناً واحداً لمواضع النبر من الكلمات . ولعل بحوث المستقبل تكفل لنا الكشف عن صفات أخرى للنبر في اللهجات العربية القديمة . وليس اختلاف مواضع النبر فيها بالأمر الغريب ، بل هو طبيعي . وإنا لنشهد الآن آثاره في اللهجات الحديثة ، فموضع النبر في لهجة الصعيد يختلف عن موضعه في لهجة القاهريين وسكان الوجه البحري ، لا في لهجات الكلام فحسب ، بل حتى في النطق بالعربية الفصيحة أيضاً .

- ٧ -

أشهر القبائل فى اللهجات العربية

حين نستعرض أسماء القبائل التى ذكرت فى روايات اللهجات ، نراها تشمل طائفة كبيرة من القبائل العربية المشهورة فى التاريخ والأدب . على أن روايات اللهجات قد خلت فى كثير من الأحيان من ذكر أسماء قبائل معينة إليها تنسب اللهجة . وقد تفاوتت القبائل فى نسبة اللهجات إليها ، فمنها قبيلة نسبت إليها صفة واحدة وأخرى نسبت إليها صفات عدة . وربما كان أشهر القبائل فى روايات اللهجات قبائل ثلاث ، هى : تميم وهذيل وطى ، وكلها من القبائل التى نسب الرواة لها الفصاحة وإجادة القول ، واحتجوا بأقوالهم وأخذوا عنهم فى رواياتهم عصر تدوين اللغة . ولكن الغريب أن نلاحظ أن هذه القبائل الثلاثة كانت من أقل القبائل نصيباً فى الشعراء الجاهليين ، إذ لم ينسب إلى واحدة منها شاعر من شعراء الطبقة الأولى ، وإنما نسب إليها شعراء مقلون ، روى عنهم القليل من الشعر الجاهلى . فقد نسب لتميم : «أوس بن حجر ، والأسود بن يعفر ، والبراق ابن روحان ، وسلامة بن جندل ، وعلقمة بن عبيدة ، وعمر بن الأهتم» .

ونسب لقبيلة هذيل من الشعراء الجاهليين : «المنتحل بن عويمر ، وعامر ابن حليس ، وخويلد بن خالد ، وأبو ذؤيب الهذلى» .

ونسب لقبيلة طى : «حاتم الطائى ، وإياس بن قبيصة ، وأبو زيد الطائى ، والطرماح بن حكيم» .

والروايات الأدبية التى رويت لنا عن العرب قبل الإسلام وفى صدر الإسلام ، تمثل لنا كما أشرنا آنفا لهجة واحدة منسجمة الصفات ، قد ترفعت عن معظم صفات اللهجات التى رويت لنا ، فقد خلت من العننة والكشكشة والعجعة ونحو ذلك ؛ مما نفر منه خاصة العرب قبل الإسلام وبعده . وقد اتخذت تلك اللغة الأدبية معظم صفاتها من لهجة قريش ، مع ما استحسنه خاصة العرب من صفات اللهجات الأخرى . فهى إذا مزيج من عدة صفات نسبت إلى قبائل عدة ، ولكنه مزيج منسجم القواعد والأصول ، نراه فى أسلوب القرآن الكريم ، كما نراه فى الآثار الأدبية الأخرى من شعر ونثر وصحت روايته وتحققته . وكما يسرت

القراءات على العامة من العرب نطق القرآن الكريم بما تستطيعه ألسنتهم وبما يوافق لهجاتهم ، كان من الطبيعى أيضاً أن ينطقوا الآثار الأدبية نطقاً يوافق ألسنتهم وما جبلوا عليه من لهجات ، لأن تلك الآثار الأدبية وإن كتبت بلغة الخاصة ، شاع تداولها بين العامة ، وتغنوا بها واعتزوا بما اشتملت عليه من جمال الأسلوب والمعانى . فلم تكن فى تداولها وقفاً على الخاصة من العرب ، بل كان يتلقفها العامة أيضاً بشغف كبير ، ويرددونها فى أغانيهم ومجالسهم ، وإن لم يفهموا الكثير منها .

وإذا تصورنا تلك القبائل المتعددة اللهجات ، تردد الآثار الأدبية فى أغانيها ومسامراتها ، أدركنا بسهولة أنه لابد من وقوع بعض الاختلاف فى النطق ، فلما جاء عصر تدوين اللغة وأخذ الرواة عن قبائل عدة ، جاءتهم أشعار الشاعر الواحد بروايات عدة فى بعض النواحي . هذا هو معنى قول ابن هشام فى شرح الشواهد : [كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض ، وكل يتكلم على مقتضى سجيته التى فطر عليها ، ومن هنا كثرت الروايات فى بعض الأبيات] .

ولنضرب هنا بعض الأمثلة التى توضح ما نرمى إليه :

تصور معى أن رجلاً من القبائل التى تميل إلى الإدغام وتأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، ينشد قول امرئ القيس :

وإذ هى تمشى كمشى النزي
ف يصرعه بالكثيب البهر

فلا شك أننا سنسمعه منه :

وإذ هى تمشى كمجى النزي
ف يطرعه بالكثيب البهر

أى إنه سيقرب الشين فى «مشى» إلى جيم كثيرة التعطيش ليجعلها مجهورة كالياء . كما أنه يشم «الصاد» صوت الزاى فتصبح تلك «الطاء» المعروفة بين العوام فى مصر ، لأن الراء التى تليها صوت مجهور . بل قد ينطق بهذا البيت رجل ممن اشتهر بالعجعة فنسمع منه كلمة «كمشى» ، «كمج» أى يقلب كلا من الياء والشين ، جيما .

وتصور أيضاً أحد العامة فى قبيلة من تلك التى تؤثر الإدغام ، ولا تحقق الأصوات ، ينطق بقول امرئ القيس :

غداثه مستشزرات إلى العلا
تضل المدارى فى مثنى ومرسل

فلا شك أنه سيتلمس أيسر الطرق للنطق بتلك الكلمة «مستشزرات» ، التي اتخذها علماء البيان مثلاً للتعقيد اللفظي ، ويقول «مستزرات» ، بإدغام الشين في الزاي ، بل وربما قال «متزرات» ، بإدغام السين في التاء أيضاً .

كذلك حين نتصور رجلاً من أصحاب الكشكشة ينشد بيت امرئ القيس :

أغرك منى أن حبك قاتلى وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل
فلا شك أنه سيقول :

أغرّتش منى أن حبتش قاتلى وانتش مهما تأمرى القلب يفعل
ولا يترتب على هذا إخلال بوزن البيت ، كما قد يتبادر للذهن ، على الأقل في هذا البحر بالذات .

بل ويقول أيضاً في مطلع معلقة امرئ القيس :

قفا نبتش من ذكرى حبيب ومغزل

فإذا أنشد بدوى ممن يميلون إلى الإدغام قول امرئ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان
فنسمع منه الفعل [يخزن] [يغزن] بالغين لا بالخاء .
أو قول النابغة :

لئن كنت قد بلغت عنى وشاية لمبلغك الواشى أغش وأكذب
فنسمع منه كلمة [أكذب] [أجذب] ، بجيم خالية من التعطيش .
أو قوله :

فإن أك مظلوما فعبد ظلّمته وإن تك ذات عتبي فمثلك يعتب
فنسمع الفعل [يعتب] [يحتب] ، بالحاء لا بالعين .
أو قول طرفة بن العبد :

كالجوابى لاتنى مترعة لقرى الأضياف أو للمحتضر
ثم لا يخزن فينا لحمها إنما يخزن لحم المدخر
فنسمع البيتين هكذا :

كالجوابى لا تنى مدرعة لقرى الأضياف أو للمحتضر
ثم لا يغزن فينا لعمها إنما يغزن لعم المدخر
ثم تصور شاعراً كزهر بن جناب وقد رى فى قبيلة كلب من قضاة ،
أولئك الذين اشتهروا «بالوهم» ، «والوكم» ، قد نظم قصيدته الحماسية التى يقول فيها:
أبى قومنا أن يقبلوا الحق فانتھوا إليه وأنياب من الحرب تحرق
فلما وصل إلى قوله من هذه القصيدة :
فما برحوا حتى تركنا رئيسهم يعفر فيه المضرحى المذلق
سمعنا قومه ينشدون هذا البيت بكسر الهاء فى رئيسهم .

تلك هى أمثلة قليلة ، مما قد تصنعه اللهجات فى الآثار الأدبية ، ومما قد
يترتب عليه اختلاف فى روايات البيت الواحد ، بل وقد يترتب عليه نشأة
مترادفات وهمية للمعنى الواحد .

- ١ -

اختلاف الدلالة والبنية في اللهجات

الدلالة :

روت لنا المعاجم العربية مئات من الكلمات التي اختلفت معانيها بعض الاختلاف تبعاً للهجات المتباينة . ولم يحاول أصحاب هذه المعاجم تنظيم مثل هذه الكلمات على أساس علمي يلقي ضوءاً على تطور المعاني بين اللهجات ، وعلى الحياة الاجتماعية في القبائل ، بل كان كل همهم هو سرد الكلمات ونسبة بعضها فقط إلى بيئاتها ، فكانوا يقولون مثلاً :

- ١ - وثب بمعنى جلس حميرية ، وبمعنى قفز عدنانية .
- ٢ - الشائع في معنى السرحان والسيد هو الذئب ، ولكن قبيلة هذيل تستعملهما بمعنى الأسد .
- ٣ - الشائع في معنى الكتع ، هو ولد الثعلب ، ولكن معناه في اليمن ولد الذئب .

بل إن المعاجم لتؤكد لنا أن بعض القبائل قد اشتهرت بكلمات معينة واختصت بها دون غيرها من سائر القبائل الأخرى ، مثل :

- ١ - اللج ، معناه عند طي وقيل أيضاً هذيل ، السيف .
 - ٢ - غنج على شنج ، معناها عند هذيل ، شيخ على جمل .
 - ٣ - نفّاح المرأة زوجها ، يمانية .
 - ٤ - الهرج معناه القتل عند الحبشة .
- وقد وردت كل الأمثلة السابقة في لسان العرب لابن منظور .

ويروى صاحب المخصص أمثلة أخرى ، منها :

١ - العيش معناه الطعام عند اليمن^(١) .

٢ - السدفة الضوء عند نعيم والظلمة عند قيس^(٢) .

ولا شك أن حصر كل تلك الكلمات وتنظيمها ، والنظر إليها على ضوء ما يقرره البحث الحديث الذي يسمى عند الأوربيين Semantics ، سيطلعنا على نواح من اللهجات جلية الشأن ، بل ويفسر لنا أيضاً كثيراً من الأمور الغامضة علينا كصلات القبائل بعضها ببعض ، ونظام حياتهم قبل الإسلام .

وليس يتسع المقام هنا لمثل هذا البحث ، فنرجو أن تحققه بحوث المستقبل^(٣)

البنية :

قد تبين لنا من بحث الصفات الصوتية المختلفة بين القبائل أنه قد ترتب على معظمها تغيير في بنية الكلمات ، وتلتزم القبائل هذا التغيير في مواضعه ولا يستطيعون غيره إلا مع كثير من التكلف والعنت ، والعربى في لغة تخاطبه يطلق نفسه على سجيته ، وينطق كما تعود في بيئته ، فتبرز في نطقه تلك الصفات التي أشرنا إليها آنفاً .

وتغير بنية الكلمات نتيجة تغير صوت من أصواتها ، يعد في معظم الأحيان تغييراً طفيفاً لا يصعب معه تعرف الكلمة في صورتها الأصلية ، أو بعبارة أدق في صورتها الأكثر شيوعاً ، والأفصح استعمالاً .

ولئن نسب القدماء بعض الروايات لقبائل معينة ، فلقد أهملوا ذكر القبائل في كثير من رواياتهم . فهناك صور مختلفة للكلمة الواحدة رويها على أنها كلها صحيحة جائزة ، في حين أنه من السهل اليسير الحكم على تلك الصور بأنها تنتمي إلى أكثر من لهجة من لهجات العرب . وقد ملئت معاجم اللغة بكلمات جوزوا فيها أكثر من وضع واحد أو صيغة واحدة . ولنضرب مثلاً لما جاء في

(١) جزء ٤ صفحة ١١٩ .

(٢) جزء ٩ صفحة ٤١ .

(٣) انظر كتاب دلالة الالفاظ

معظم المعاجم العربية ، حين الإشارة إلى كلمة «أصبع»^(١) فقد روى فيها عشر لهجات ، هي :

إصْبَع ، إصْبِغ ، إصْبُغ ، أَصْبَع ، أَصْبِغ ، أَصْبُغ ، أَصْبَع ، أَصْبِغ ، أَصْبُغ ، وأخيراً أَصْبُوع .
ويظهر أن بعض هذه اللهجات كان من اختراع الرواة أمثال :

إصْبِغ ، أَصْبِغ

لأن الانتقال من كسر إلى ضم أو العكس مما كانت العرب تنفر منه بصفة عامة ، وعلى هذا يمكن إرجاع بقية لهجات هذه الكلمة إلى ثلاثة أنواع من القبائل :

قوم يؤثرون البدء بالهمزة مفتوحة ، ولكنهم يختلفون في حركة الباء فبعضهم يؤثر ضمها ، والآخرون يؤثرون كسرها ، فقبيلة كانت تقول «أصْبِغ» ، وأخرى كانت تقول «أصْبِغ» ، وأخرى كانت تقول «أصْبِغ» ؛ ثم تطورت لهجة كل منهما إلى «أصْبِغ» ، للانسجام بين الحركات في الكلمة .

وهناك قبائل كانت تؤثر البدء بالهمزة مكسورة ، ولهجة هذه القبائل كانت «إصْبِغ» ، ثم تطورت إلى «إصْبِغ» ، للانسجام بين الحركات أيضاً .

أما القبائل الأخيرة ، فقد آثرت فيما يظهر ، ضم الهمزة فجاءت لهجتها الأصلية «أصْبِغ» ، ثم تطورت لانسجام الحركات إلى «أصْبِغ» . ولعل هذه اللهجات الأخيرة كانت من اللهجات التي تقف بالتضعيف ، أي إنها تجعل النبر على المقطع [بِغ] . ونبر المقطع الأخير يؤدي إلى أحد وجهين : إما تضعيف العين أو إطالة الحركة قبلها ؛ مما أدى إلى الصورة الأخيرة وهي «أصْبُوع» .

هذه هي آراء سريعة ، نرجح احتمالها فيما يتعلق بكلمة [أصْبِغ] . أما الذي لا يحتمل الشك فهو أن ما صح من هذه اللهجات العشر ، ينتمي إلى لهجات مختلفة بعضها أفصح من بعض .

(١) قال أستاذنا على الجارم : ولا يصح في الرأي أن قبيلة واحدة تنطق بكلمة إصْبِغ إلا على صورة واحدة ، غير أن الناس شغلوا عن تحقيق هذه اللهجات وعن نسبة كل لهجة إلي قبيلتها . وهذا بحث شريف خليف بعناية اللغويين «مجلة مجمع اللغة صفحة ٢٢١ جزء أول»

ولا بأس من أن نسوق هنا بعض الروايات ، التى جاءت فى المعاجم مشفرة إلى اختلاف البنية باختلاف اللهجات .

جاء فى اللسان :

- ١ - مضنى الأمر وأمضنى ، والثانية تميمية .
- ٢ - فتنته المرأة وأفتنته ، الأولى حجازفة والثانية نجدفة .
- ٣ - حزنه ، لقريش ، أحزنه لتميم .
- ٤ - عقر الدار أصلها ، حجازفة ، وبالفصح عند أهل نجد .

وجاء فى المخصص :

- ١ - هلك ، يستعمل متعددا عند تميم^(١) .
- ٢ - اليم هو الثعبان عند هذيل ، وفى الحجاز بالتخفيف ، وفى تميم أين^(٢) . ويمكن أن نلخص العوامل التى دعت إلى اختلاف بنية الكلمات فى اللهجات العربفة القديمة فيما يلى :

- ١ - قبائل تميل إلى صوت لين خاص ، وهذا لا يكون إلا فى الاختيار بين الكسرة والضمة ، لأن كلا منهما صوت لين ضيق^(٣) .

وعلى هذا إذا روى لنا أن فعلا من الأفعال الثلاثفة الصحيحة جاء من باب «ضرب ونصر» ، رجحنا أن إحدى القبائل كانت تنطق به من باب «ضرب» ، وأخرى كانت تنطق به من باب «نصر» . وأمثال هذه الأفعال كثيفة فى المعاجم العربفة . وقد أشرنا آنفاً إلى أن القبائل البدوفة كانت تميل إلى الضم ، فى حين أن القبائل المتحضرة كانت تميل إلى الكسر .

- ٢ - الميل إلى نسج خاص فى مقاطع الكلمة . فبعض القبائل تؤثر المقاطع الساكنة على المقاطع المتحركة ، ومن هذه قبيلة «تميم» التى روى عنها أنها كانت تؤثر تسكين وسط الكلمة المتحرك . جاء فى اللسان إن مثل : خمر جمع خمار ، فرش جمع فراش ، رسل جمع رسول ، ينطق بها عند تميم بتسكين الوسط أى

(١) جزء ٦ صفحة ١٢٧ .

(٢) جزء ٨ صفحة ١٠٩ .

(٣) انظر كتاب الأصوات صفحة ٣٧ .

خمر، فرش - إلخ .

ويذكر فى موضع آخر أن تسكين 'فخذ، وأمثالها مثل 'كبد وعضد ورجل، والفعل 'كرم وعلم، للتخفيف ، وهى لغة بكر بن وائل وأناس كثير من تميم .

والى هذه القبيلة يمكن أن ينسب تلك اللهجة ، التى تجوز تسكين عين الفعل الماضى الثلاثى ، فيقولون فى 'كتب، 'كتب .

والحقيقة أن معظم اللهجات العربية تنفر من توالى المقاطع المتحركة ، ولكنها تختلف فى نسبة هذا النفور . فإذا روى لنا أن كلمة 'فخذ، يجوز فى نطقها 'فخذ، ، 'فخذ، ، أدركنا أن الصيغة الثانية لقبيلة مثل تميم تلك التى تؤثر المقاطع الساكنة .

٣ - سبق أن أوضحنا أن القبائل المتحضرة بوجه عام تميل إلى تحقيق كل أصوات الكلمة ، وإعطاء كل صوت حقه فى النطق ، فى حين أن القبائل البدوية تميل إلى تأثر الأصوات بعضها ببعض . ومثل هذا يؤدى إلى اختلاف بنية الكلمة الواحدة بين هذين النوعين من القبائل ، وفيما تقدم من الأمثلة القدر الكافى . كذلك سبق أن شرحنا أن بعض القبائل تؤثر صفات خاصة للأصوات الساكنة ، فبعضها يؤثر الأصوات الشديدة المجهورة ، وآخرون يؤثرون الأصوات الرخوة المهموسة ، ومرجع كل هذا البيئة الاجتماعية .

٤ - العامل الأخير الذى يعد أهم العوامل فى تغيير بنية الكلمات بين اللهجات المختلفة هو أخطاء الأجيال الناشئة وما يترتب عليها :

(أ) فقد يصعب على الطفل تقليد الكبار فى نطقهم لكلمة من الكلمات ، ثم يهمل أمر هذا الطفل فينشأ على الخطأ ، وتصبح الكلمة ذات صورة جديدة فى لهجته .

(ب) كذلك قد يخطئ الطفل فى سمع الكلمة فيرتب أصواتها ترتيباً مختلفاً، وتصبح فيما بعد ذات وضع مختلف عن الكلمة الأصلية .

(ج) قد يقيس الطفل قياساً خاطئاً فيشتق وضعاً جديداً غير معروف فى لهجة آبائه ، ثم يصبح هذا الوضع معترفاً به بين أبناء جيله .

إلى غير ذلك من مظاهر أخطاء الأطفال وما يميلون إليه فى النطق (١) .

ولا يظهر مثل هذا إلا فى البيئات المنعزلة ، التى أهمل إصلاح أخطاء الأطفال فيها .

٥ - ويمكن أن يضاف إلى كل ما تقدم عامل آخر ، كان السبب فيما روى لنا من اختلاف فى بنية الكلمات . وهذا العامل هو احتمال خطأ الرواة فى النقل ولا سيما بعد تدوين اللغة ، ذلك الخطأ الذى سماه القدماء بالتصحيف (١) .

واختلاف بنية الكلمات قد يكون طفيفاً ، لا يصعب معه تعرف علاقة الكلمات بعضها ببعض . أما الكلمات التى رويت مختلفة البنية ، فبعضها جامد وذلك كأمثال «أصبع» ، وفخذ» ، وغير ذلك من الأسماء الجامدة التى اختلف نطقها بين القبائل ، لعامل من العوامل السالفة الذكر ، كما أن منها كلمات اختلفت صيغ الاشتقاق فيها ، فمثلاً تشتق معظم القبائل مؤنث الصفات المنتهية بالألف والنون الزائدتين مثل «سكران» ، على وزن سكرى ، ثم يروى لنا أن قبيلة أسد ، قد شاع فيها اشتقاق مؤنث هذه الصفة ، بناء التأنيث فيقولون فى مؤنث سكران : سكرانة . كذلك اتفقت الروايات على أن اسم المفعول من فعل أجوف مثل [باع] هو [مبيع] ، ولكن عرفت قبيلة تميم بأنها لا تفرق بين الفعل الأجوف والصحيح فى اشتقاق هذه الصيغة ، فهم يقولون [مبيوع] ، [مديون] بدلا من مبيع ومدين .

ومن السهل تعليل تلك الظاهرة التى شاعت فى أسد وتميم ، بالقياس الخاطئ الذى يلعب دوراً مهماً فى خصائص اللهجات ، فقد قاسوا اشتقاق المؤنث من سكران ، على اشتقاقه من معظم الصفات الأخرى ، لأن الكثرة الغالبة فى الصفات العربية تؤنث بالتاء . وليس بغريب أن يقاس على اشتقاق الكثرة اشتقاق القلة .

وكما قد يقول الطفل بيننا [أحمره] بدلا من حمراء ، قياساً على معظم الصفات ، قال الطفل الأسدى سكرانة بدلا من سكرى . ثم صار خطأ الأطفال لهجة معترفا بها بين قبيلة أسد . وكذلك قاس الطفل التميمى صيغة اسم المفعول من الأجوف على صيغته من الصحيح ، لأن الأفعال الصحيحة هى الكثرة الغالبة فى اللغة .

وعلى هذا ، إذا روى لنا اختلاف فى بنية الكلمات عند الاشتقاق ، فعلىنا أن نحاول نسبة كل صورة من صور الكلمة الواحدة ، إلى قبيلة خاصة ، أو مجموعة

من القبائل . وبذلك تتحدد خصائص كل لهجة وتتميز اللهجات بعضها من بعض ، فهناك اشتقاق المؤنث من المذكر ، وهناك اشتقاق الجمع من المفرد ، وهناك الأسماء الخمسة واختلاف بنيتها بين القبائل ، وهناك اشتقاق المضارع من الماضي ، إلى غير ذلك مما نلاحظ اختلاف اللهجات في وضعه الاشتقاقي .
رأى القدماء في اختلاف البنية :

لعل أظهر علماء العربية في بحث هذا ، هو ابن جني ، في كتاب الخصائص ، الجزء الأول ، إذ عقد فصولاً أربعة (١) سمي الأول : «باب في الفصح يجمع في كلامه لغتان فصاعداً ، والثاني «باب في تركيب اللغات» ، والباب الثالث «في الأصلين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه ، أما الرابع فستشير فيما بعد إلى ما جاء فيه . وقد وفق ابن جني في بعض ما قال في هذه الفصول الأربعة ، ولكنه لم يوفق في البعض الآخر . فقد زعم في الفصل الأول أن الفصح قد يجمع بين لهجتين في كلامه ، ثم ضرب أمثلة من الشعر لا تكفي حجة لما يدعى ، فلعلها من ضرورات الشعر . وفوق هذا لم يبين لنا ابن جني ما عني بكلام الفصح ؟ ألغة تخاطبه بين أبناء قبيلته تلك التي تخضع لصفات خاصة مميزة عن غيرها من القبائل ، أم كان يعني لغة الأدب والشعر ، وهي اللغة النموذجية التي اكتسبت معظم صفاتها من لهجة قریش ؟

ونحن نؤثر أن ننسب لكل لهجة صفات خاصة بها ، وليس من المرجح أن يجمع في اللهجة الواحدة صفتان مختلفتان في أمر واحد ، وكل ما في الأمر أن المرء من خاصة العرب قد يلغز شيئاً في لغة تخاطبه بين أبناء عشيرته ، فإذا عمد إلى بيعة الأدب فنظم الشعر أو خطب الناس في المواسم والأسواق ، فإنه قد يلجأ إلى صفة مغايرة للهجة قبيلته ؛ لأن اللغة النموذجية خصائص قد تخالف خصائص كثير من لهجات الكلام ولغات التخاطب .

وقد روى ابن جني أمثلة لكلمات مختلفة البنية ، مثل :

بغداد = بغداد = مغدان . طبرزل = طبرزن . أيم = أين .

رغوة اللبن = رغوته = رغوته = رغوته = رغايته .

الدُّروح = الدُّروح = الدُّريح = الدُّراح = الدُّرح = الدُّرنوح = الدُّرحرح ... إلخ .

(١) صفحات ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٤٦٧ ، ٤٧٨ على الترتيب .

ومن السهل الحكم على أن مثل هذه الكلمات المختلفة البنية تنتمي إلى لهجات متعددة ، وقد ينتمي بعضها إلى لهجة واحدة ، ولكن في جيلين مختلفين من أبناء هذه اللهجة . وقد اختتم ابن جنى هذا الفصل بقصة رويت عن الأصمعي ، قال : اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما الصقر بالصاد وقال الآخر بالسین ، فتراضيا بأول واراد عليهما فحكيا له ما هما فيه ، فقال لا أقول كما قلتما ، إنما هو الزقر !!

وليس من المعقول أن هؤلاء الرجال الثلاثة من أبناء لهجة واحدة ، بل إنهم ينتمون إلى لهجات متعددة ، وقصة ابن جنى لهذا تقوم حجة عليه لا له . وقد نلتبس العذر لابن جنى لأنه ممن لا يفرقون بين لهجة وأخرى في الاستعمال ، ويرون جميع اللهجات صحيحة يحتج بها ، وقد عقد فصلاً خاصاً بهذا في الخصائص ، سماه [باب اختلاف اللهجات وكلها حجة] .

ثم انتقل ابن جنى في الفصل الثاني إلى ما سماه (تركب اللغات) ، فزعم أن قبيلة كانت تقول قنط يقنط ، وأخرى تقول قنط يقنط ، ثم تداخلت اللغتان فقال من قال (قنط يقنط) .

على أن ابن جنى لم يحدثنا عن كيف تتداخل اللغات ، ولا عن الدوافع التي قد تدعو لمثل هذا التداخل .

ويظهر أن ابن جنى قد مال إلى الناحية الصناعية البحتة في تفسيره أفعالا مثل (قنط ، يقنط) و (نعم ، ينعم) و (فضل ، يفضل) وأمثالها مما أعيا القدماء تعليقه في ضوء تلك المقاييس التي وضعوها لأبواب الثلاثي .

ولكن ابن جنى كان موفقاً كل التوفيق حين عرض في هذا الفصل إلى قانون المغايرة ، الذي اعترف به المحدثون وأشاروا إلى أهميته في الاشتقاق . فقد قال ما نصه : [وقد دلت الدلالة علي وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع] ثم قال : [وإنما دخلت يفعل في باب فعل يفعل ، من حيث كانت كل واحدة من الضمة والكسرة^(١) مخالفة للفتحة] .

وليس تداخل اللغات الذي زعمه ابن جنى إلا نوعاً من الصناعة لا تبرره تلك الأمثلة التي رواها . وإنما الواجب أن تجمع كل الأفعال الثلاثية ، ماضيها ومضارعها ، ثم تبوب وتنسق وينظر إليها على أنها تنتمي إلى لهجات متعددة .

(١) انظر كتاب الاصوات صفحة ٢٧ .

فإذا قيل إن المراد بتداخل اللغات استعارة بعضها من بعض ، واستعارة اللغات بعضها من بعض أمر معترف به بين المحدثين من علماء اللغات ، قلنا إن اللغات قد تستعير الكلمات لا الصيغ ، وليس هناك من مبرر يمكن معه أن تنتقل القبيلة أو الرجل منها ، من قوله (نعم ينعم) إلى (نعم ينعم) !!

ومما يؤيد ما نذهب إليه أننا نلاحظ في اللهجات الحديثة ، أن الرجلين من أبناء لهجتين مختلفتين ، قد يلتقيان ويصادق أحدهما الآخر زماناً طويلاً . وكل منهما يلتزم لهجته ، وما نشأ عليه ، فإذا تأثر أحدهما بالآخر ؛ وأخذ يقلده في لهجته لسبب من الأسباب ، تكلم كل منهما بعد مران طويل ومخالطة مستمرة لهجة واحدة . أما أن تمتزج اللهجتان وينشأ منهما لهجة ثالثة ، فليس مما يقره المحدثون من الباحثين في اللغات (١) .

وقد ذكر ابن جني في هذا الفصل بعض القصص التي تقوم حجة عليه لا له . فمن ذلك ما روى عن أبي حاتم قال : [قرأ على أعرابي بالحرمرز طيبي لهم وحسن مآب ، فقلت طوي . فقال : طيبي . قلت : طوي . قال طيبي ، فلما اشتد على قلت : طوطو . فقال : طي طي] .

وقد تعرض ابن جني في الفصل الثالث إلى كلمات زويت مختلفة البنية ، وذلك بأن اختلف ترتيب الأصوات فيها مع اتحاد معناها . وقد فرق ابن جني بين هذه الكلمات ، فجعل بعضها مقلوباً عن نظائرها ، والبعض الآخر كلمات مستقلة بعضها عن بعض ، وكل منها أصل مستقل بذاته .

ومثل للكلمات المقلوبة عن نظائرها بمثل (امضحل) فهي مقلوبة عن (اضمحل) ، ومثل (اكرفه) مقلوبة عن (اكفهه) ، ولكنه قال إن كلا من (جذب وجبذ) أصل مستقل بذاته ، وليس أحدهما مقلوب الآخر .

والحقيقة أن مثل هذه الكلمات متى كانت تنتمي للغة واحدة ؛ يجب أن ينظر إليها على أن بعضها أصل والبعض الآخر مقلوب عنه ، ولا معنى للفرقة بينها . وتكاد هذه الظاهرة تشترك في معظم لغات العالم ، التي اشتملت على كلمات متحدة المعنى والأصوات ولكن ترتيب الأصوات فيها مختلف . وهذه الظاهرة هي في الأصل من أخطاء السمع بين الكبار ، أو من أخطاء الأطفال ، ثم صار الخطأ صواباً .

(١) إلا في حالة الغزو .

وأخيراً تعرض ابن جنى في الفصل الرابع إلى أن بعض الكلمات قد تختلف بنيتها ، وذلك بأن يستعمل أحد الحرفين المتقاربين مكان صاحبه ، ثم ضرب أمثلة لهذا مثل :

طبرزل : طبرزن . دهمج : دهنج . خامل : خامن . بنات مخر : بنات بخر .

ومثل هذه الكلمات يمكن أن تنتمي إلى لهجات متعددة ؛ أو إلى لهجة واحدة ، ولكن في جيلين مختلفين من أبنائها .

على أن ابن جنى لم يحدثنا في هذا الفصل عن معنى تقارب الصوتين ، ووجه الشبه بينهما من الناحية الصوتية . وقد ملئت المعاجم العربية بهذا النوع من الكلمات ، وسنفرد فصلاً مستقلاً لما جمعناه منها .

أبواب الثلاثي

وربما كان أظهر المواضع التي توضح اختلاف البنية في اللهجات ، هو اشتقاق مضارع الفعل الثلاثي من الماضي ، وقد جاءتنا كتب النحاة بعلاج مضطرب لما سموه بأبواب مطردة ، بل كل ما يمكن عمله بصدها هو استنباط قواعد غالبية شواذها كثيرة جداً . ولعمري كيف تصور القدماء أن لغة منسجمة مطردة كاللغة العربية يمكن أن تتضمن كل هذه الأبواب في اشتقاق المضارع من الماضي الثلاثي ، في حين أنهم يرون أن جميع الصيغ الأخرى للفعل تلتزم حالة واحدة مطردة في جميع المواضع .

يجب إذاً أن ننظر إلى أبواب الثلاثي كما رواها النحاة ، على أنها تنتمي إلى أكثر من لهجة واحدة ، وأن الذي رواه ، إن هو إلا مزيج من لهجات عدة ، لأن أساس الفهم في أية لهجة من اللهجات هو الخضوع لقاعدة مطردة نادرة الشذوذ .

والذي نستطيع أن نتصوره هو أن كل لهجة من اللهجات ، أو مجموعة منها قد التزمت اشتقاق المضارع من الماضي الثلاثي على هيئة خاصة ، لا تشذ عنها إلا في النادر . فأبواب الثلاثي تنتمي إلى عدة لهجات ، كل منها كانت تلتزم باباً أو بابين من بينها ، ويؤيد ما يذهب إليه اشتقاق المضارع من الماضي الثلاثي في كل اللغات السامية الأخرى ، شقيقات اللغة العربية .

ولن نحاول هنا فصل تلك الأبواب بعضها عن بعض ونسبة كل منها إلى قبيلة خاصة أو مجموعة من القبائل ، لأن هذا يتطلب جمع كل ما ورد في المعاجم

العربية من أفعال ثلاثية ، والبحث فيها بعد تبويبها وتنظيمها فى مجموعات متناسقة على أننا قد جمعنا كل ما ورد فى القرآن الكريم من أفعال ثلاثية صحيحة غير معتلة ، ماضيها ومضارعها ، لنرى ما يمكن أن تكون قد خضعت له قراءة حفص ، التى لا نشك فى أنها تمثل لهجة واحدة منسجمة مطردة فى اشتقاق المضارع من الماضى الثلاثى .

ورد فى كل القرآن الكريم من الأفعال الثلاثية الصحيحة مستعملة فى الماضى مرة وفى المضارع مرة أخرى (نحو ١٣٤ فعلاً) ، وقد تركنا تلك الأفعال التى استعملت فى الماضى فقط أو المضارع فقط .

وحين استعرضنا تلك الأفعال التى جاءت فى قراءة حفص فى الماضى مرة والمضارع مرة أخرى ، اتضح لنا أنها لا تشتمل على ذلك الباب الذى سماه النحاة (فعل يفعل) ؟ بل لقد خلت أيضاً من ذلك الباب الذى سماه (فعل يفعل) ؛ إلا فعلين اثنين هما : «كبر يكبر ، وبصر يبصر» فى مثل قوله تعالى : [كبرت كلمة تخرج من أفواههم] وقوله [فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون] .

ولا شك أننا نلاحظ فى مثل هذا الفعل معنى من معاني المبالغة ، أو شدة فى الحدث ، يرجع عندنا أن مثل هذه الصيغة متفرعة عن [فعل] ، وأنه لا يلجأ إليها إلا حين يراد المبالغة فى معنى الحديث الذى تتضمنه الصيغة الأصلية [فعل] . فليست إذاً من أبواب الثلاثى ، بل يجب أن ينظر إليها على أنها فرع مستقل ، زاد معناه بتحول الصيغة الأصلية [فعل] إليه .

أما بقية الصيغ الثلاثية التى وردت فى القرآن الكريم ، فهى أحد وجهين لاتخرج عنهما ، وهما : [فعل] ، [فعل] .

والصيغة الأولى هى أكثر شيوعاً فى الأسلوب القرآنى ، لأن به حوالى ١٠٧ فعلاً ماضياً صحيحاً صيغته [فعل] ، وحوالى ٢٤ من صيغة [فعل] .

والقاعدة التى خضعت لها قراءة حفص فى اشتقاق المضارع من هذه الأفعال ، هى المغايرة التى أشرنا إليها آنفاً . فصيغة [فعل] فى الماضى يناظرها صيغة [يفعل] أو [يفعل] فى المضارع ، لأن الفتحة كما قال ابن جنى تقابل الضمة أو الكسرة ؛ إذ الفتحة صوت متسع ، فى حين أن كلا من الضمة والكسرة صوت ضيق^(١) . أما صيغة [فعل] فى الماضى فقد قابلها دائماً (يفعل) فى

(١) كتاب الأصوات اللغوية صفحة ٣٧.

المضارع ، لم يشذ عن هذا فعل من الأفعال التي جاءت في قراءة حفص .
تلك هي القاعدة التي يمكن استنباطها من أفعال القرآن ، وهي واضحة
جلية لا تعقيد فيها ، ومن الطبيعي أن تكون كذلك .

أما تلك الأفعال التي وردت من صيغة [فعل] في الماضي و «يفعل» في
المضارع ، فقد دعت إليها عوامل صوتية في بنية الفعل نفسه ، وذلك أن عين
الكلمات أو لامها من أصوات الحلق ، تلك التي تؤثر في كل اللغات السامية ،
الفتحة على غيرها من الحركات .

وقد فطن الأقدمون من علماء اللغة إلى ميل الأصوات الحلقية إلى الفتحة ،
وأقرهم على هذا المستشرقون . وقد ظهر هذا الميل بصورة أوضح في اللغة العبرية
أما السريانية ، فهو أن كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقى ، تحتاج
إلى اتساع في مجراها بالفم ، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم ،
ولهذا يناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعا ، وتلك هي الفتحة . ولم يشذ عن
هذه القاعدة بين أفعال القرآن الكريم إلا أفعال قليلة هي :

نكح ينكح ، نزع ينزع ، رجع يرجع ، بلغ يبلغ ، قعد يقعد ، زعم يزعم ،
مضارع الفعل الأخير بالكسر أو الضم .

وقد أثار الفعل «قَطَّ يَقْنَطُ» دهشة بين القدماء ، وبدأوا يتأولونه على أنه من
تداخل اللغات .

والحقيقة أن اللهجة الواحدة يجب أن تخضع لقاعدة مطردة في الكثرة
الغالبة من صيغها ، ولكن قد يتخللها القليل من الصيغ التي تسمى عادة بالشاذة .
وفي مثل هذه الحالة يجب أن تدرس هذه الصيغ على انفراد ، وأن يبحث
عن مصدرها أو سر شذوذها .

ويغلب أن يعزى هذا الشذوذ إلى انحدار الفعل من لهجة أخرى ، لها قواعد
أخرى تخضع لها .

وليس معنى هذا استعارة الصيغة ، وإنما معناه استعارة الفعل بصيغته .
ولهذا نرجح أن الأفعال :

[نزع ينزع . نكح ينكح . رجع يرجع . قَطَّ يَقْنَطُ . نفخ ينفخ . بلغ يبلغ .
قعد يقعد . زعم يزعم .]

تنتمى إلى لهجة أخرى غير اللهجة التى نزل بها القرآن الكريم .
وربما كان يعبر عن معانى هذه الأفعال قبل استعارتها فى لغة القرآن
الكريم، بمثل الأفعال الآتية على الترتيب :

قلع يقلع . تزوج يتزوج . عاد يعود ... إلخ
أو أن هذه الأفعال فيما عدا [قنط يقنط] قد غلبت عليها المغايرة لظروف
لغوية خاصة باستعمالها .

ولا بأس بعد هذا من أن نورد الأمثلة القرآنية من أفعال بابها «فعل يفعل» :
عقل يعقل . ظلم يظلم . عرف يعرف . فرض يفرض . عزم يعزم .
ضرب يضرب . حرص يحرص . ربط يربط . قبض يقبض . سبق يسبق .
بطش يبطش . كسب يكسب . ملك يملك . حلف يحلف . ليس يلبس . كذب
يكذب . صبر يصبر . صدف يصدف . صرف يصرف . نبذ ينبذ . غلب يغلب .
كنز يكنز . نفر ينفر . سرق يسرق . حمل يحمل . قدر يقدر . كشف يكشف .
خسف يخسف . فصل يفصل . غفر يغفر . ختم يختم . فتن يفتن . قذف يقذف .
عدل يعدل . نقم ينقم . قسم يقسم . هلك يهلك . نكص ينكص . نزل ينزل .
وها هى ذى الأفعال التى بابها «فعل يفعل» :

خلف يخلف . كتم يكتم . مكث يمكث . عمر يعمر . حسد يحسد . نكث
ينكث . سكن يسكن . سلك يسلك . شكر يشكر . طرد يطرد . نظر ينظر . ترك
يترك . سجد يسجد . حشر يحشر . مكر يمكر . درس يدرس . عبد يعبد . بسط
يبسط . خرج يخرج . حكم يحكم . حضر يحضر . ذكر يذكر . فسق يفسق .
نقض ينقض . نصر ينصر . دخل يدخل . خلق يخلق . رزق يرزق . قتل يقتل .
كتب يكتب . كفر يكفر .

أما الأفعال التى جاء مضارعها مفتوح العين بسبب حرف من حروف
الحلق فهى :

ذهب يذهب . نفع ينفع . لعن يلعن . فعل يفعل . بعث يبعث . قطع يقطع .
طبع يطبع . فتح يفتح . جدد يجدد . نصح ينصح . سحر يسحر . خضع يخضع .
جمع يجمع . رفع يرفع . ذبح يذبح . جعل يجعل . صنع يصنع . ظهر يظهر .
جهر يجهر . زهق يزهق . شرح يشرح . منع يمنع .

وها هي ذى الأفعال التي لا شذوذ في أمثلها القرآنية ، والتي جاءت من باب «فعل يفعل» :

نفذ . عجل يعجل . شرب يشرب . رحم يرحم . سمع يسمع . شهد يشهد . علم يعلم . حسب يحسب . عمل يعمل . فشل يفشل . بخل يبخل . عهد يعهد . ركب يركب . ثقب يثقب . حبط يحبط . خطب يخطب . سخط يسخط . سخر يسخر . لبث يلبث . ضحك يضحك . عجب يعجب . حفظ يحفظ . كره يكره . طعم يطعم . فرح يفرح .

من كل هذا نستطيع أن نرجح أن اللهجات العربية القديمة قد خضعت لقواعد مختلفة فيما يتعلق باشتقاق المضارع من الماضي الثلاثي . ولعل من القبائل من كانوا يؤثرون صيغة «فعل يفعل» ، أو لعل منها من كانوا يقولون «فعل يفعل» ، إلى غير ذلك من الاحتمالات التي ستكشف عنها بحوث المستقبل .

وكل الذي نستطيع أن نؤكد هنا ، هو أن كل لهجة كانت تخضع لقواعد خاصة بها لا تحيد عنها إلا فيما تستعيره من لهجات أخرى . وقد لاحظنا في كل ما تقدم من تغيير في بنية الكلمات أن التغيير طفيف ، لم يمنعنا من تعرف أكثرها شيوعاً وأصحها استعمالاً^(١) .

(١) انظر اتباع هذا البحث في أسرار اللغة صفحة ٢٢ .

الفصل السادس

الترادف والاشتراك اللفظي والتضاد

- ١ -

المترادفات

شهد القرن الرابع الهجرى خلافاً بين علماء اللغة فى فكرة الترادف ، منهم من ينكرون الترادف فى ألفاظ اللغة ، ويلتمسون فروقاً دقيقة بين معانى الكلمات لاتخلو فى بعض الأحيان من التكلف والتعسف ، ومنهم من ينادون بالترادف أو يعترفون بوقوعه فى الألفاظ ، وبعض هؤلاء المؤيدين لفكرة الترادف ، يغالون فى رأيهم إلى حد أن سمحوا بمئات الكلمات للمعنى الواحد فى بعض الأحيان .

وقد لخص السيوطى فى كتابه المزهى رأى هؤلاء وهؤلاء . ويبدو من كلام السيوطى أن رواة اللغة وجامعيها كانوا فى القرن الثانى الهجرى يسلمون بقضية الترادف ولا يرونها محلاً للنزاع أو جدل ، فقد روى أن أبا زيد سأل أعرابياً : ما المحنبطى ؟ قال هو المتكأكى ، قال أبو زيد وما المتكأكى ؟ قال هو المتأزف ! قال وما المتأزف ؟ فسلم الأعرابى من مساءلته وقال له : أنت أحمق !!

من هذا نرى أن عالماً جليلاً كأبى زيد الأنصارى كان لا يرى غشاضة فى أن يعبر عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ ، بل كان فيما يظهر يؤمن أن الأعرابى قد يحتفظ فى ذاكرته بألفاظ عدة للتعبير عن معنى واحد .

على أن بعض العلماء فى أواخر القرن الثالث الهجرى بدأوا يلتمسون فروقاً بين الكلمات التى عدّها من سيقوم من المترادفات مثل «ثعلب» . ثم جاء القرن الرابع الهجرى ونشب الجدل بين علمائه : فانتصر ابن فارس لرأى شيخه «ثعلب» وأنكر الترادف ، كذلك أنكره معه أبو على الفارسى . ولكن ابن خالويه وآخرين كانوا يؤمنون بفكرة الترادف ، ويعتزون بما جمعه من كلمات كثيرة ذات معنى واحد . وكثر بعد هذا العصر أنصار الترادف ، وإن مال بعضهم إلى الاعتدال فى حصر الكلمات المترادفة . فالإمام الرازى كان يرى وجوب تقييد الترادف بعدم

التباين في المعنى وعدم الإتيان ، فليس من الترادف : «السيف والصارم» ، لأن في الثانية زيادة في المعنى ، وليس منه «عطشان نطشان» ، لأنه لا معنى للكلمة الثانية . ولكنه مع هذا اعترف بفكرة الترادف ونعى على الاشتقاقيين تعسفاتهم .

كذلك يروى أن التاج السبكي قال : لا معنى لإنكار الترادف ، والقول إن الإنسان من النسيان ، وإن البشر من البشارة .

بل إن من هؤلاء المؤيدين لفكرة الترادف من قسم هذه الظاهرة إلى فرعين ، فقد ذكر السيوطي «أن ألكيا قال : هناك ألفاظ متواردة مثل : سبع وأسد وليث ، أما الترادف ففي العبارات والجمل مثل : أصلح الفاسد ولم الشعث ورتق الفتق» .

ونحن لا يعني هنا إلا البحث في الكلمات ، ولا ننظر إلا إلى ماسماه في تقسيمه بالألفاظ المتواردة ، وهي التي اصطلح معظم العلماء على تسميتها بالمترادفات .

وكان الأصفهاني يرى الترادف في اللهجة الواحدة ، وينكره في لهجتين مختلفتين . وهذه وجهة نظر سليمة تتجه إلى ما يتجه إليه المحدثون في نظرتهم إلى الترادف .

أما هؤلاء المؤيدون لفكرة الترادف فكانوا يرون أن الاستعمال يؤيدهم ، فمثلاً : «لاريب» لا تعنى شيئاً أكثر من «لاشك» . وكان ابن خالويه يفخر بأنه يعرف خمسين اسماً للسيف ، وعشرات في أسماء الأسد ، كما ألف لنا الفيروز أبادي كتاباً في أسماء العسل .

أما الذين أنكروا الترادف فكانوا يفرقون بين معاني الألفاظ ، فيقولون مثلاً : [جلس وقعد] يختلفان بعض الاختلاف ، لأن في «قعد» معنى ليس في «جلس» ، ألا ترى أنا نقول : قام ثم قعد ، وأخذ المقيم المقعد ، ثم نقول : كان مضطجعاً فجلس . فيكون القعود عن قيام ، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس ! وكانوا يصفون تلك الكلمات الكثيرة التي قيل عنها إنها أسماء للجمل ، أو للثعبان ، أو للأسد ، أو للعسل ، بأنها صفات يلحظ في كل منها أمر معين . تلك كانت حجة أبي على الفارسي في جدله مع ابن خالويه ، فقد روى عن أبي على الفارسي أنه قال : [كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ، وفيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : أحفظ نلسيف خمسين اسماً ، فتبسم أبو على وقال :

ما أحفظ إلا اسماً واحداً وهو السيف ، قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ قال أبو علي هذه صفات .

ويروى أصحاب الترادف قصصاً وأحاديث للبرهنة على رأيهم ، منها :

١ - أن أبا هريرة لقي النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وقعت من يده السكين ، فقال له ناولني السكين ، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم ما المراد بهذا اللفظ . فكرر له القول ثانية وثالثة وهو يفعل ذلك . ثم قال : « ألمدية تريد ؟ » ، فقيل له نعم . فقال أو تسمى عندكم سكيناً ؟ . ثم قال والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ ! .

على أننا نتردد في قبول هذه القصة لأن كلمة « السكين » وردت في سورة يوسف وهي مكية ، أي كانت موضع مدارس وحفظ قبل الهجرة وبعدها ، ولا تغيب عن ذهن أحد من المسلمين الذين اتصلوا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وتأدبوا بأدبه . والقصة فيما يظهر قد تمت وقائعها في المدينة لأن أبا هريرة أسلم في السنة الثامنة للهجرة . ولا نستطيع أن نتصور أن رجلاً مثل أبي هريرة وهو من هو في رواية الحديث ، والاتصال بالنبي ذلك الاتصال الوثيق ، لم يكن على علم بما نزل من سور مكية كانت نحفظ وتدرس ويتعبد بها بين المسلمين في المدينة .

هذا إلا أن أبا هريرة كان من « دوس » وهي بطن من قبيلة بلحارث التي عاشت على مسافة غير بعيدة من مكة ، وكان أهلها على اتصال بالبيئة الحجازية قبل الإسلام ، فكيف غاب عنه مثل هذا اللفظ الشائع هناك .

٢ - كذلك يسوقون قصة أخرى أجمعت عليها كتب الأدب ، وهي : أن رجلاً من بني كلاب أو من سائر بني عامر بن صعصعة ، خرج إلى ذي جدن من ملوك اليمن فاطلع إلى سطح والملك عليه . فلما رآه الملك اختبره فقال له : « ثب » يريد أقعد . فقال الرجل : ليعلم الملك أنني سامع مطيع ، ثم وثب من السطح ودقت عنقه . فقال الملك ما شأنه ؟ فقالوا له : أبييت اللعن ، إن الوثب في كلام نزار الطمر « أي الوثوب إلى أسفل » . فقال الملك : ليست عريبتنا كعريبتهم ، من دخل ظفار حمر « أي من دخل مدينة ظفار اليمنية فليتكلم الحميرية ! ويستدلون من هذا على أن « وثب » وقعه يعبران عن معنى واحد ، وتشير إليهما المعاجم على أنهما مترادفتان ! .

وهنا تبدو مبالغة أصحاب الترادف ، لأن البيئتين مختلفتان ، وشرط الترادف كما يقول الأصفهاني أن يكون في بيئة واحدة كما سنرى .

٣ - كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى القبائل قد اشتملت على كلمات لم تكن مألوفة بين قومه . ويتخذ أصحاب الترادف من هذه الكتب دليلاً على وقوع الترادف في اللغة لأن الكلمات التي استعملها صلعم كانت لها نظائر في لهجة قريش ؛ فهي مع نظرائها تعتبر من المترادفات . ومن ذلك كتابه لوائل بن حجر أحد ملوك حمير : [إلى الأقيال العبايلة والأرواح المشابيب^(١) ... إلخ] .

وعلى هذا ففي رأى أصحاب الترادف أو الذين غالوا فيه ، أن الأقيال والوزراء مترادفتان ، وأن الأرواح والسادات مترادفتان أيضاً وهكذا ... فإذا تذكرنا أن من شروط الترادف أن تنتمي الكلمات المترادفة إلى بيئة واحدة ، استطعنا بسهولة استبعاد هذا النوع من الكلمات^(٢).

أدلة الترادف لدى المحدثين :

يجمع المحدثون من علماء اللغات على إمكان وقوع الترادف في أى لغة من لغات البشر ، بل إن الواقع المشاهد أن كل لغة تشتمل على بعض تلك الكلمات المترادفة . ولكنهم يشترطون شروطاً معينة لا بد من تحققها حتى يمكن أن يقال إن بين الكلمتين ترادفاً :

١ - ومما يشترطونه الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً ، على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة . ويكتفى اللغوي الحديث بالفهم العادى لمتوسطى الناس حين النظر إلى مثل هذه الكلمات . فإذا تبين لنا بدليل قوى أن العربى كان حقاً يفهم من كلمة «جلس» شيئاً لا يستفيدة من كلمة «قعد» ، قلنا حينئذ ليس بينهما ترادف .

٢ - الاتحاد في البيئة اللغوية ، أى أن تكون الكلمتان تنتميان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات . ولذلك أعجبنا برأى الأصفهاني الذي أشرنا إليه آنفاً . يجب إذاً ألا نلتمس الترادف من لهجات العرب المتباينة ،

(١) القيل في لهجة اليمن كالوزير في العهد الإسلامية ، والعبايلة الذين استقر ملكهم ، والأرواح السادات ، والمشابيب الأنكباء .

(٢) - انظر كتاب دلالة الألفاظ ٢١٩ - ٢٢٤ .

فالترادف بمعناه الدقيق هو أن يكون للرجل الواحد فى البيئة الواحدة ، الحرية فى استعمال كلمتين أو أكثر فى معنى واحد . يختار هذه حيناً ، ويختار تلك حيناً آخر ، وفى كلتا الحالين لا يكاد يشعر بفرق بينهما إلا بمقدار ما يسمح به مجال القول .

ولم يفتن المغالون فى الترادف إلى مثل هذا الشرط ، بل اعتبروا كل اللهجات وحدة متماسكة ، وعدّوا كل الجزيرة العربية بيئة واحدة . ولكننا نعتبر اللغة النموذجية الأدبية بيئة واحدة ، ونعتبر كل لهجة أو مجموعة منسجمة من اللهجات بيئة واحدة .

٣ - الاتحاد فى العصر : فالمحدثون حين ينظرون إلى المترادفات ينظرون إليها فى عهد خاص وزمن معين ، وتلك هى النظرة التى يعبرون عنها بكلمة Synchronic ، لا تلك النظرة التاريخية التى تتبّع الكلمات المستعملة فى عصور مختلفة ، ثم تتخذ منها مترادفات ، وهذه النظرة الأخيرة هى التى يسمونها Diachronic . فإذا بحثنا عن الترادف يجب ألا نلتزمه فى شعر شاعر من الجاهليين ، ثم نقيس كلماته بكلمات وردت فى نقش قديم يرجع إلى العهود المسيحية مثلاً . هذا هو ما جعل ابن خالويه وأمثلة يرون للسيف ونحوه أسماء عدة . فالمتنبى حين استعمل «الصارم» والبتار والهندي واليماني ، لم يكن يعمد إلى كلمة «الهندي» وفى ذهنه صفات خاصة تتصل ببيئة الهند التى صنع فيها ، ولم يكن يعمد إلى كلمة «الصارم» وفى ذهنه اعتبار آخر لا يراه فى كلمة أخرى كالبتار مثلاً .

٤ - ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتى للفظ الآخر : فحين نقارن بين «الجتل» و«الجفل» بمعنى النمل ، نلاحظ أن إحدى الكلمتين يمكن أن تعتبر أصلاً والأخرى تطور لها ، فإذا كان الأصل هنا هو الكلمة الأولى قلنا إن «الجفل» صيغة حضرية نشأت فى بيئة تراعى خفوت الصوت والتقليل من وضوحه ، أما إذا كانت الثانية هى الأصل ، رجحنا أن «الجتل» قد نشأت فى بيئة بدوية تميل إلى الأصوات الأكثر وضوحاً فى السمع . وسنورد فيما بعد مجموعة كبيرة من أمثال هذه الكلمات التى يعدها المحدثون مترادفات وهمية ؛ «فالجتل» و«الجفل» ليست فى الحقيقة إلا كلمة واحدة . وهكذا يتبين لنا مغالاة أولئك الذين اعتبروا مثل هذه الكلمات من المترادفات .

فإذا طبقت هذه الشروط على اللغة العربية ، اتضح لنا أن الترادف لا يكاد يوجد فى اللهجات العربية القديمة ، وإنما يمكن أن يلتصق فى اللغة النموذجية

الأدبفة ؛ ففى القرآن الكرفم الذى نزل بهذه اللغة ، والذى نطق به الرسول للمرة الأولى ، نرى الترادف فى بعض ألفاظه . ولا معنى لمغالاة بعض المفسرفن حفن فلفتمسون فى كل لفظ من ألفاظه شفاً لا ففرونه فى نظرائه من ألفاظ الأخرى . ولا بأس هنا أن نسوق بعض الآفآت الكرفمة التى فبرهن على وقوع الترادف فى كلمات القرآن :

- ١ - «تالله لقد آثرك الله علفنا» : وأنى فضلفكم على العالمفن .
- ٢ - حتى إذا حضر أأءهم الموت : حتى إذا جاء أأءكم الموت .
- ٣ - بعث ففهم رسولا : فأرسلنا ففهم رسولا .
- ٤ - البلف : القرفة .
- ٥ - ومأواهم النار وفئس مئوى الظالمفن : فإن الجفم هى المأوى .
- ٦ - فلا تأس على القوم الكافرفن : ولا فحزن علىفهم .
- ٧ - وأقسما بالله جهد ففمانهم : ثم جاءوا ففلفون بالله .
- ٨ - ففربوا إلى بارئكم : قل الله خالف كل شىء .

وفظهر أن السرف فى إنكار الترادف ، أن أصحاب هذا الرأى كانوا من الاشتقاقففن الذى أسرفوا فى إرجاع كل كلمة من كلمات اللغة إلى أصل اشتقت منه ، حتى الأسماء الجامدة والأسماء الأجنبية عن اللغة العربفة ، أبوا إلا أن ففعلوا لها أصلا اشتقت منه . فنراهم فقولون إن «إفلفس» مشتق من كفت ، «جفهم» مشتقة من كذا !!!

وفقولون إنما سمى الإنسان إنساناً لأنه ففسى ، وسمى الشفطان شفطاناً لسبب فلفسوه هم واخترعوه !

ولعل ابن فرفف فى كتابه الاشتقاق ، هو المسئول الأول عن هذه المدرسة ، فقد حاول إرجاع فففع أسماء القبائل والأمكنة المشهورة إلى أصل اشتقت منه أو سمفت من أمله . فكان فقول إن قضاعة إمل من قولهم انقضع الرجل عن أهله إذا بعد عنهم ، أو من قولهم نقضع بطله إذا أوجعه !!

ثم جاء ابن فارس ففلف بهذا الاشتقاق الذروة ، وألف معجمه الذى سماه مقاففس اللغة ، واضعاً نصب عفففه أن ففجمع أكثر ما فمكن ففمه من كلمات فمكن أن فشق لها أصول .

فإذا قلت لهم إن «القمح والبر» كلمتان مترادفتان ، فربما قالوا لك : إن «القمح» من قمحه أى استفّه ، ولكن البر من أصل آخر معناه الصلة والخير !!

هذا إلى أن بعض هؤلاء الذين أنكروا الترادف كانوا من الأدباء النقاد الذين يستشفون فى الكلمات أموراً سحرية ، ويتخيلون فى معانيها أشياء لا يراها غيرهم ، فهم قوم شديدو الاعتزاز بألفاظ اللغة ، يتبنون الكلمات ويرعونها رعاية كبيرة ، ينقبون عما وراء المدلولات ، سابحين فى عالم من الخيال يصور لهم من دقائق المعانى وظلالها ، مالا يدركه إلا هم ، ولا يقف عليه إلا أمثالهم . وفى كل هذا من المبالغة والمغالاة ما يأباه اللغوى الحديث فى بحث الترادف .

فإذا أبعدت من المترادفات تلك الكلمات التى تحايل عليها من أثبتوا الترادف، وخلقوا بينها مماثلة المعنى ، كما أنه إذا أبعدت تلك الكلمات التى لم ترد فى نص لغوى صحيح النسبة ، وجدنا أنفسنا أمام عدد معقول من المترادفات فى اللغة العربية :

ويجدر هنا أن نشير إلى أهم الأسباب التى ولدت الترادف فى كلمات اللغة العربية ولدى علماء العربية :

(أ) إيثار بعض القبائل لكلمات خاصة تشيع بينها وتكاد تكون مجهولة فى القبائل الأخرى ، كما لا حظنا فى الروايات التى أشرنا إليها آنفاً مثل :

١ - شلحاء = السيف عند أهل الشحر .

٢ - فتح الشيء = سقه عند أهل اليمن .

٣ - نقاح المرأة زوجها يمانية .

٤ - إيل ضحضاح بمعنى كثير عند هنيل .

وتولد مثل هذه الكلمات ترادفاً فى اللغة العربية على أساس أن الجزيرة العربية كلها بيئة لغوية واحدة ؟ أما حين نطبق عليها شروط المحدثين فى الترادف فإنها تستبعد من بين الكلمات المترادفة .

(ب) استعارة كلمات من لهجة من اللهجات ، أو لغة من اللغات ، بسبب الغزو أو الهجرات ، أو الاحتكاك بين القبائل ، فيصبح للمعنى الواحد أكثر من كلمة واحدة ، وفى هذه الحالة لا تتساوى نسبة الكلمتين فى الشيوع ، بل ينظر عادة إلى الكلمة المستعارة نظرة أرقى وأسمى فى الاستعمال ، وذلك لأنها انحدرت من قوم

أرقى في الناحية الاجتماعية أو السياسية ، أو لأنها أخف على السمع وألطف في الجرس .

وقد أجمع الرواة على أن قريشاً كانت تتخير من كلمات القبائل في مواسم الحج والأسواق ، ما خف على اللسان وحسن في السمع ، حتى لطفت لهجتهم ، وجاد أسلوبهم :

كالحرير مع السندس والاستبرق ، وكاليم مع البحر . وقد ذكر صاحب شفاء الغليل أن [الأسطول بمعنى سفن القتال ، مما استعارته العرب وقد وقع في أشعارهم بعد العصر الأول . وأن البند بمعنى : العلم، تكلمت به العرب قديماً . وأن الجؤذر، محرب ، وتكلمت به العرب قديماً.]

هذا إلى الفردوس مع الجنة ، والصراط مع الطريق والسبيل ، قال الجاحظ في البيان والتبيين : أهل المدينة نزل فيهم ناس مع الفرس فعلقوا بألفاظهم فيسمون السوق البزار .

(ج) هناك صفات تفقد عنصر الوصفية مع مرور الزمن وتصبح أسماء لا يلحظ الكاتب أو الشاعر ما كانت عليه ، فيؤدى هذا إلى الترادف . ونحن نلاحظ هذا بصفة خاصة ، في تلك الكلمات العربية التي تعبر عن أشياء ذات اتصال وثيق بالبيئة البدوية ، والحياة الاجتماعية فيها .

وفيما روى للجمل والسيف والعسل من كلمات عربية كثيرة ، خير شاهد على ما تقول ، ولا سيما حين يراعى مفهومها بين الناس في عصر معين . فالسيف كان يمانياً وكان هندياً وكان لكل من النوعين سمات خاصة تميز هذا من ذاك ، ولكن مثل هذه السمات قد تنوسيت وأصبح الشاعر فيما بعد يستحل لنفسه استعمال كل من اليماني والمهني ، ولا يعنى بهما سوى المعنى العام المفهوم من كلمة السيف .

(د) من الكلمات ما تشترك معانيها في بعض الأجزاء ، وتختلف في البعض الآخر ، ويمكن تشبيهها بدوائر متحدة المركز ، ومختلفة في جزء من سطوحها ، أو مشتركة في جزء من السطح فقط . فإذا مر عليها زمن طويل ، ودعت عوامل تغير المعاني أن تطبق الدوائر بعضها على بعض ، أصبحت تلك الكلمات مترادفة . لأن المعاني لا تبقى على حالة واحدة ، فقد يصبح الخاص عاماً أو يصبح العام خاصاً .

فإذا قارنا بين الكلمة [هلك] في العربية ، وجدنا معناها في العبرية لكل نوع من الذهاب ، في حين أن معناها في العربية قد تحدد فأصبح مقصوراً على نوع واحد من الذهاب وهو [المهلك] ، وقد أدى مثل هذا التطور إلى الترادف بين الموت والهلاك .

(هـ) المجازات المنسية قد تولد نوعاً من الترادف في الكلمات ، فقد تستعمل بعض الكلمات استعمالاً مجازياً ، يطول العهد عليه ، فيصبح حقيقة . وهنا نرى كلمات مستعملة بمعانيها الأصلية الحقيقية ، جنباً إلى جنب مع تلك التي أخذت معانيها عن طريق المجاز .

والمعاني الأصلية الحقيقية ، هي المعاني الحسية ، التي يتفرع عنها عادة عن طريق المجاز ، ما يشيع من معنويات . فالرحمة مثلاً قد اشتقت من [الرحم] موضع الولد ، والمكان الذي ولد الأبناء والأخوات ، فتنشأ بينهم صلة من الحب والعطف . فعمل الرحمة في الأصل هي عملية النسل من الأرحام ، ثم استعملت في قديم الزمان عن طريق المجاز في الصلة بين الذين يولدون من رحم واحد . وقد تقادمت العهود على هذا المعنى المجازي حتى أصبح حقيقة ، وبهذا نشأ الترادف بينها وبين كلمة مثل (الرأفة) .

لا نريد بعد هذا أن ننساق مع بعض العلماء حين عددوا فوائد المترادفات للكاتب والشاعر والخطيب ، لأن مثل هذا البحث قد يخرجنا عما نهدف إليه في هذا الكتاب ، وإنما نريد الإشارة إلى ذلك النوع من الكلمات التي ظنها بعض العلماء من المترادفات ، في حين أن اختلاف الصورة بينها ، ليس إلا ظاهرياً ، وأنها كلمات ذات أصل واحد ، وتطورت صورتها لغاملاً من عوامل تطور الأصوات .

وليست هذه الكلمات بمترادفات على حسب المعنى الدقيق للترادف . وقد مثل القدماء لقليل من هذه الكلمات ، دون أن يشرحوا لنا العلاقة الصوتية بينها . لهذا قمت بجمع عشرات من تلك الكلمات ، أوردها هنا مبوية مع شرح العلاقة الصوتية بينها ، وكيف تطورت إلى صور متعددة .

الشدة والرخاوة

١ - الهمزة والهاء :

- هلبت السماء القوم مطرتهم مطراً متتابعاً : ألبت السماء دام مطرها .
 أتة بالحجة : الهت سرد الكلام ، والهتات الكثير الكلام .
 الأر ، رمى السلاح : هرّ سلحه استطلق .
 الأصر العطف : الهصر عطف شيء رطب .
 أزر : هرّ . الألس اختلاط العقل : مهتلس العقل مسلوبه .
 الأباش الجمع : الهباش . يأش : يهش .
 أضنه كسره : هضنه وطله فشده . أضن كسر : هضن .
 أراق : هراق . أزم القوم استأصلهم : هزم .
 بدهه بأمر : بدأه به . درأ الرجل خرج فجأة : دره هجم وطلع .

٢ - الهمزة والعين :

- بدأ الله الخلق خلقهم : بدعهم . الخباء : الخباع .
 دنع الصبى خضع وذل ولؤم : الدنئ . شناه كرهه : شنيع كربه .
 الأزر التقوية : التعزيز . ألك الفرس اللجام : علكه .
 الأتم زيتون البر . العتم .

٣ - الباء والميم :

- كمح الدابة : كبجها . الطبش الناس : الطمش .
 رأيته عن كتيب : رأيته عن كثم . ثلته : اطبأن : اطمأن .
 المبخور : المخمور .

٤ - الباء والفاء :

- ناقة زفون : زبون . إفانة : إبانه . السكل : البسكل .

٥ - الضاد والظاء :

عظّته الحرب : عضّته .

ظجّ : صاح في الحرب صياح المستغيث وبالضاد في غير الحرب .

فاظ مات : فاضت روحه .

٦ - الدال مع الذال أو الزاي :

دشّ الرجل سار : دشّ . الدغدغة : الزغزغة

فشرّد بهم : فشرذ بهم (قراءة) .

٧ - الجيم والياء :

شجرات : شيرات

٨ - التاء مع السين :

اتخذ : استخذ

الجهر والهمس

١ - الدال والتاء :

المدّ : المت .

هرد اللحم أنعم إنضاجه أو طبخه حتى يهرأ : الهرت الطبخ البالغ

فدغه شرخه : فتغة . فدر الفحل : فتر .

٢ - الذال والتاء :

بثّ الخبز نشره وفرقه : البذ من التمر المنتثر . الجثّ القطع : الجذ .

الملث الوعد بلانية الوفاء : الملاء الكذب . تلعثم : تلعزم .

جذوة : جثوة . جذا : جثا .

٣ - الجيم والشين :

جزر قطع : الشرز القطع . جظه طرده : شطّ القوم طردهم .

الجفن : شفن نظر بمؤخر عينه .

٤ - العين والحاء :

الفلح الشق وفتح الأرض شقها : فلهه شقه .
لطحه ضربه ببطن كفه أو ضرباً ليناً على الظهر : اللطح أن تضرب مؤخر
الإنسان برجلك .

أمتح النهار ارتفع : متع النهار ارتفع قبل الزوال . حظب سمن : عذب
الحوس الجوس : العوس الطوفان بالليل .
خنشه عن الشىء عطفه : عنش . الحبكة : العبكة .

٥ - الغين والحاء :

زاغ فى المنطق جار : زاخ . الخود الناعمة الراقية : الغيد .
خزز الجلد بالمخرز ثقبه : غرز الإبرة . الأخن : الأغن .
الخنة : الغنة .

٦ - الزاى والسين :

الحرز الموضع الحصين : حرس الشىء . غرس : غرز .
سنخ الدهن : زنخ . زرد الدرع : سردها .
الزلع شقاق فى ظاهر القدم وباطنه : السلع الشق فى القدم .
زفت الريح السحاب طردته واستخففته : سفت الريح التراب . الزفت :
النسفت

الإطباق والاستفال

١ - الصاد والسين :

الدخيس اللحم المكتنز : دخست الجارية امتلأت شحماً .
الرُعس الارتعاش والانتفاض : الرعص النفص والهز وارتعص انتفض .
المغص : المغس . ما ينبس ما يتكلم : ما ينبص .
السقب ولد الناقة : الصقب .
سفع الجبل عرّضه المضطجع : صفح الجبل مضطجعه .

الصراط : السراط . الصُّعوط : السعوط .
 السَّنَط : الصنط . سلطه : صلطه . سفع : صفع .
 صلغتُ الشاة : سلغت . السَّخَب : الصُّخَب . البساق : البصاق .
 ٢ - الظاء والذال :

ذأته خنقه : ظأته

٣ - الطاء والتاء أو الدال^(١) :

غته في الماء : غطه . هتلت السماء : هطلت .
 الغلت : الغلط . دلغ لسانه أخرجه : طلع .
 دحمه دفعه شديداً : الطَّحوم الدفوع .

نسبة الوضوح في السمع

هناك أصوات اتحدت في الصفة ، ولكنها اختلفت في نسبة وضوحها في السمع ، وهذه الأصوات يحل بعضها محل بعض ، كالراء مع اللام ، فإن الأولى أوضح في السمع من الثانية ، مع أن كلا منهما من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين ، وكذلك السين مع الفاء ، والحاء مع الهاء ، والثاء مع القاء .

١ - الراء واللام :

الرَّخْف الزيد : اللَّخْف . رمقه لحظه : للمق النظر .

ريكه خلطه : اللَّبْك الخلط . الرمز واللمز : الإشارة .

رتب رتوباً ثبت : اللَّتَب اللزوم والثبات .

الخيزرى مشية خاصة : الخيزلى . ريد أقام : ليد .

الركود السكون : لكد عليه الوسخ لزمه . جرفه : جلفه

رعل : لعل . تبرص : تبلىص .

(١) الطاء كما تنطق الآن هي الصوت المطبق للتاء ، ولكن يظهر أنه كان يتعلق بها قديماً كمطبق الدال . انظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ٥٢ .

٢ - الثاء والفاء :

جدث : جذف . الجثْل النمل : الجفل .
 ثار : فار . انثجر الماء : انفجر .
 الثخر النقم : فخر النقم بابه . ثلغ رأسه شدحه : الفلغ الشق .
 مغفور : معثور . ثجل عظم بطنه واسترخى وغلظ .

٣ - السين والفاء

رجست السماء رعدت شديداً : رجف الزعد ترددت هدهدته في السحاب .
 وار تجس البناء : رجف .
 الشوس النظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً : الشّف النظر إلى الشيء
 كالمعترض عليه أو كالكاره له .
 الوجس الفزع : وجف يجف اضطرب خوفاً . سطح فطح .
 السلغ الشق في القدم : الفلغ . السحم : الفحم .

٤ - الحاء والهاء

التحريش بين الناس الإفساد : التهريش .
 ويمكن أن نعزو معظم ما تقدم من أمثلة ، إلى الاختلاف بين البيئة البدوية
 والبيئة الحضرية ، كما أشرنا في موضعه . على أن منها ما يمكن أن يعزى إلى
 أخطاء الأطفال ، أي إنها كانت تستعمل في البيئة الواحدة ، ولكن في أجيال
 مختلفة منها .

أما الكلمات التي سنوردها فيما بعد فهي تختلف إما في مجرى الصوت من
 الفم أو الأنف مع الاتحاد في الصفة ، أو تختلف في مخرج الصوت ، وذلك
 بانتقاله من موضعه إلى موضع آخر أيسر في النطق ولا يحتاج إلى جهد عضلي ،
 أو قد تختلف في ترتيب أصواتها .

اختلاف المجرى

الشتل غلظ الأصابع : الشثن ، غمل الجلد : غمنه .
 امتقع لونه . التقع . لعل . لعن .
 أصيلا لا : أصيلا نا .

اختلاف المخرج

١ - الكاف والتاء

بتكه قطعه : بتّه . عَرَبَتْ أَنْفَهُ دلكه وحكه : عرك دلكه وحكه .

الأعفت الأحق : عَفِكَ حَمَقَ جَدًّا .

تخ زجر للدجاج : كخ زجر للصبي .

٢ - القاف التي كان ينطق بها في الأصل كالغين^(١) ، حلت الغين محلها في بعض الكلمات ، ثم همست كما ننطق بها الآن فحلت الكاف محلها في بعض الكلمات :

غثم له من المال دفع له دفعة جيدة : قثم .

الغمس الغوص : القمس . قرته الأمر : كرتّه .

الدّك الدق . الدّعكة : الدفعة .

حزقه ضغطه وشده : حزكه عصبه وضغطه . الغسق : الغسك .

القُحّ : الكح . القهز : الكهر . القحط : الكحط .

٢ - السين والشين

الرّعس : الرعش . الغبس الظلمة . الغبش .

معسه دلكه شديداً : المعش الدلك الرقيق .

النسّ السوق والزجر : النشّ السوق الرقيق .

نهشه : أخذّه بأضراسه بالسين أخذّه بأطراف أسنانه .

سئغت يده تشققت وتشعث ما حول الأظافر : شئغت أصابعه تشعث ما حول أظافرها .

اختلاف ترتيب الأصوات

اللجز : اللزج . جذب : جبذ . ريبض : رضب .

صاقة : صاقعة . عميق : معيق .

ليكت الشيء : بلكته . سحاب مكفهر : ومكهرب

امضحل : امضحل .

(١) انظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ٧٢ .

- ٢ -

المشترك اللفظي

لابد في الحديث عن اللهجات العربية من التعرض لنوع من الكلمات ، رويت لنا متحدة الصورة مختلفة المعنى . وقد تعود القدماء أن يسموا هذا النوع من الكلمات بالمشترك اللفظي ، لأن الكلمة الواحدة مع محافظتها على لفظها وأصواتها ، تعبر عن أكثر من معنى واحد .

وقد عرض القدماء في بحوثهم لهذه الكلمات ، فأنكرها بعضهم ، وتأول ما ورد منها بأن جعل أحد المعنيين حقيقياً والآخر مجازياً ، وعلى رأس هذا الفريق ابن درستوريه . ولكن الكثرة من علماء اللغة ، قد ذهبوا إلى ورود المشترك اللفظي ، وضمروا له أمثلة كثيرة ، وعلى رأس هؤلاء الأصمعي ، والخليل ، وسيبويه ، وأبو عبيدة ، وغيرهم . بل لقد أفرد بعض هؤلاء مؤلفات خاصة سردوا فيها أمثلة المشترك اللفظي^(١) .

ويظهر أن كلا الفريقين قد أسرف فيما ذهب إليه . وبعد عن جادة الصواب في بحثه ، إذ لا معنى لإنكار المشترك اللفظي مع ما روى لنا في الأساليب العربية الصحيحة من أمثلة كثيرة ، لا يتطرق إليها الشك . كذلك لا معنى للمغالاة في رواية أمثلة له مع ما في هذا من التعسف والتكلف . ولكن كما اختلف القدماء في ورود الترادف اختلفوا أيضاً في ورود المشترك اللفظي ، وذلك لأن كل فريق قد نظر إلى الكلمات ومعانيها من زاوية خاصة ، فالذين تأولوا أمثلة المشترك اللفظي على أنها كلها من الحقيقة والمجاز ، قد نظروا إليها نظرة تاريخية ، وتتبعوها في عصورها المختلفة ، وتلك هي الطريقة التي سمينها أنفاً Diachronic أما الآخرون فنظرتهم وصفية واقعية ، إذ بحثوا في الكلمات ومعانيها في عصر خاص ، وتلك النظرة التي سمينها Synchronic .

وليس الأمر من البساطة بالقدر الذي تصوره القدماء من علماء اللغة ، إذ وقع المشترك اللفظي في كل لغة ، وقد دعت عوامل متعددة لوقوعه . فكما تتطور

(١) انظر دلالة الألفاظ ٢١٤ - ٢١٥ .

أصوات الكلمات وتتغير ، قد تتطور معانيها وتتغير ، مع احتفاظها بأصواتها ، وتطور المعاني وتغيرها مع الاحتفاظ بالأصوات ، هو الذي ينتج لنا كلمات اشتركت في الصورة واختلفت في المعنى .

ولعل أهم عامل في تغير المعنى هو الاستعمال المجازي^(١) ، وليس من الضروري أن يكون الاستعمال المجازي مقصوداً متعمداً ، كما نلاحظه في بعض الأساليب الشعرية والكتابية ، بل قد يقع من عدة أفراد في البيئة اللغوية في وقت واحد . ودون مواضعة أو اتفاق بينهم . فالناس في لغة تخاطبهم قد يلجأون إلى مجازات لتوضيح معانيهم وإبرازها في صورة جلية ، دون أن يعمدوا إلى هذا عمداً ، أو يرغبوا في إظهار براعة في الكلام . فكما تعودوا أن يقولوا رأس الانسان ، قد يقولون أيضاً رأس الجبل ورأس النخلة ثم أخيراً رأس الحكمة ! ولا يعنون بكلمة (رأس) في كل استعمال من هذه الاستعمالات سوى الجزء الأعلى البارز من كل شيء ، وإن اختلفت هذه الأجزاء في تفاصيلها .

ونحن في فهمنا لمعاني الأشياء لا نتطلب الدقائق والتفاصيل فيها ، بل نكتفى عادة بفكرة سريعة ذات ارتباط بتجارينا السالفة . فحين نسمع للمرة الأولى استعمالاً مثل [رأس الجبل] لا نحاول تحليله إلى دقائقه ، وإنما نربطه ربطاً سريعاً بتجارينا السابقة ، التي منها فهمنا أن رأس الإنسان هو أعلى جزء فيه وأبرزه ، فنقبل هذا الاستعمال الجديد متى كان يمت بعلاقة ما لاستعمال قديم ، وهكذا تنتقل معاني الكلمات من محيط إلى آخر . وقد يكون الاستعمال الجديد من عمل فرد ممتاز في البيئة اللغوية كشاعر أو كاتب ، كما قد يكون من عمل مجموعة من الناس دون مواضعة أو اتفاق بينهم . وانتقال الكلمات من محيط دلالي إلى محيط آخر هو الذي اصطلاح على تسميته بالمجازات . على أن المجازات تخضع عادة للذوق العام ، فإذا أسرف الشاعر في مجازاته ، أو غالى فيها أو بعد بها عن بيئته لم يقبلها الذوق العام : ولا تلبث أن تموت . وحين تمر الأيام على تلك المجازات ، ويكثر استعمالها ، لا تلبث أن تنسى الناحية المجازية فيها ، وتصبح معانيها حقيقة . والبحث عن تلك المجازات المنسية أمر ليس باليسير ، لأنه يتطلب التوغل في العصور التاريخية للبحث عن نصوص قديمة استعملت فيها الكلمات بشكل مجازي واضح ؛ أو يتطلب البحث في تاريخ الحياة الاجتماعية لأمة من الأمم لنستطيع الوصول إلى أن المعنى الذي يبدو لنا الآن حقيقياً ، كان في بدء استعماله مجازياً ،

(١) انظر دلالة الالفاظ ١٢٨ - ١٢٣ .

لما كانت عليه تلك الأمة من تقاليد كذا وكذا . وكل تغير في الحياة الاجتماعية يستتبع تغيراً في معاني بعض الكلمات التي قد تحتفظ بصورتها ، وينشأ من هذا ما نسميه بالمشترك اللفظي . فمثلا الكلمة التي تعبر في كل اللغات الأوربية عن [الكهرباء] قد اشتقت من كلمة إغريقية قديمة كانت تعني ذلك الحجر المسمى بالكهرمان ؛ وذلك لأن الكهرمان كان معروفاً منذ القدم بأنه يجذب بعض المواد الصغيرة بعد حكه . ولنا الآن نشك في أن الكلمتين اللتين تعنيان في اللغات الأوربية كهرباء ، كهرمان ، من أصل إغريقي واحد ، رغم أنهما عربتا بصورتين مختلفتين بعض الاختلاف .

وشرط المجاز في رأيي ، أن يثير عند سماعه دهشة أو غرابة ، أي يحس السامع أو القارئ أن في استعمال الكلمة بهذا المعنى أمراً غير عادي يبعد قليلاً أو كثيراً عن مألف الناس وفهمهم لمثل هذه الكلمة . فليس من المجاز ما يحدثنا به علماء البلاغة من أن في قول القائل « حكمت المحكمة ، مجازاً ، ولا في « جرى النيل ، « طلعت الشمس » ، « ركب المخاطر » ، ونحو ذلك من أساليب تنوسيت فيها الناحية المجازية ، وأصبحت من الشيوخ والدوران بحيث لا تثير في الذهن دهشة أو غرابة .

أما حين تحلل مثل هذه التراكيب وينظر إليها النظرة التاريخية ، فيمكن أن يقال إنها حين استعملت للمرة الأولى - ولا ندرى متى كان هذا - قد أثارت في أذهان الناس تلك الدهشة أو الغرابة التي نتطلبها في المجاز .

المعاني إذاً لا تبقى على حال واحدة بل هي دائمة التغير ، وإن كان تغيرها بطيئاً ، يمر في أجيال قبل أن نشعر به أو نتعرف عليه ، وكما يصيب التغير بعض الأصوات دون البعض الآخر ، كذلك نرى تغير المعاني مقصوراً على بعضها دون البعض الآخر ، وذلك لتلك الظروف اللغوية الخاصة التي قد تطرأ على بعض الكلمات فقط . وكما قد تحافظ بعض الكلمات على أصواتها ولفظها ، وكذلك قد تحافظ بعض الكلمات على معانيها .

أما أهم العوامل التي تسبب تغير المعاني ، فيمكن أن نلخصها فيما يلي :

(أ) الانتقال من الحقيقة إلى المجاز :

وهذا هو أهم العوامل ، وإليه يمكن أن يعزى معظم اختلافات المعاني وتغيرها .

والمجازات قد تكون من عمل الأفراد الموهوبين في شعر أو نثر ، كما قد تكون من عمل جماعة من الناس في البيئة اللغوية . ومجازات الشعراء والكتاب حين يعمدون إليها في أساليبهم للمرة الأولى ، تصدر منهم عمداً ، ولغاية خاصة ، أما المجازات الأخرى فإنما يدعو إليها تغير في الحياة الاجتماعية ، أو تقدم في الحياة العقلية . وهنا قد ينتقل المعنى الحسي إلى مجال المعنويات .

(ب) سوء فهم المعنى :

قد يسيء الطفل فهم معنى الكلمة في البيئة المنعزلة ثم ينشأ هذا الطفل دون أن يصلح له ما فهم ، فتراه يستعمل الكلمات في معنى جديد ، إن لم يكن مخالفاً للمعنى الأول كل المخالفة ؛ فلا أقل من أن نرى بين المعنيين بعض الاختلاف ؛ فتغير المعاني قد يكون من أخطاء الأجيال الناشئة .

وليس من السهل التمييز بين الكلمات التي اختلفت معانيها بسبب استعمال مجازي ، وبين تلك التي تعددت معانيها بسبب أخطاء الأطفال ، على أنه يمكن بوجه عام أن ننسب تغير المعاني في كلمة من الكلمات إلى عبث الأطفال ، حين لا تلحظ علاقة واضحة بين المعنى القديم والمعنى الجديد . وحكمنا في هذه الحالة مرجح لا مؤكد ؛ لأن بعض المجازات المنسية قد نشأت في ظروف لغوية خاصة ، ومضى عليها زمن طويل فأصبح من الصعب الكشف عنها .

(جـ) قد تستعير اللغة كلمات تماثل صورتها كلمات أخرى فيها ، وإن اختلف معناها . وهنا قد نرى كلمتين متحدثتين في الصورة ، مختلفتين في المعنى ولكن كلا منهما ينتمي في الأصل إلى لغة مستقلة . ومثل هذا النوع من الكلمات نادر وهو وليد المصادفة ، ولكنه قد يولد لنا المشترك اللفظي (١) .

«فالبرج» بمعنى الحصن قد استعارته اللغة العربية من اللغة اليونانية ، فليست بلاد العرب بيئة للحصون والأبراج ، ومع هذا تشتمل اللغة العربية على هذه المادة «برج» وتتخذها في عدة معان لا تمت للحصون بصلة ما ، فهي مادة عربية أصيلة . فإذا تصادف أن كان بين كلمات اللغة العربية كلمة مشتقة من هذه المادة للتعبير عن صفة خاصة في العين ، أو للتعبير عن الزينة والتزيين وجاءت على صيغة «البرج» . ولد هذا في اللغة ما يسمى بالمشترك اللفظي .

(١) خير مثل لهذا في اللغة الإنجليزية كلمة Race بمعنى سباق من أصل جرمانى ، ويعنى جنس من أصل لاتيني .

ويظهر أن صاحب شفاء الغليل قد فطن إلى إمكان وقوع هذه الظاهرة في اللغة ؛ بدليل قوله : [لا يضِرُّ المعرب كونه موافقاً للفظ عربي «كسكّر» فإنه معرب وإن كان عربي المادة بمعنى أغلق . قال تعالى «سكرت أبصارنا» . كذلك لا يضِرُّ ما صحت عربيته موافقته لفظاً فارسياً أو قريبه منه كضنك وتنك وجناح وكناه] .

(د) قد يتغير معنى الكلمة في لهجة من اللهجات ، ثم يمر زمن طويل خلاله ينسى المعنى الأصلي ، وتلتزم تلك اللهجة استعمال هذه الكلمات في معناها الجديد دون سواء . وهنا نرى لهجات اللغة الواحدة تستعمل كلمات متحدة الصورة في معانٍ مختلفة . ويظهر أن هذه الظاهرة قد لعبت دوراً مهماً في اللهجات العربية إذ تغيرت معاني بعض الكلمات في بعض اللهجات دون البعض الآخر لظروف لغوية خاصة . فلما جمعت اللغة خيل لجامعيها أن إحدى القبائل تستعمل هذه الكلمة في معنى من هذه المعاني . في حين أن قبيلة أخرى تستعملها في معنى آخر . والحقيقة أن معنى هذه الكلمة قد تغير في لهجة من اللهجات دون أن يطرأ عليه تغيير في اللهجة الأخرى .

فحين تذكر لنا المعاجم القديمة أن «الهجرس» تعنى القرد في الحجاز . وتعبّر عن الثعلب عند تميم ، لا نشك في أن الكلمة كانت تطلق على أحد الحيوانين وحده لأن البيئة الصحراوية تناسبه ويكثر فيها أمثاله . ثم تغير هذا المعنى لظرف من الظروف المجهولة لنا ، فأصبح يعنى عند قبيلة من القبائل شيئاً آخر غير الشائع المألوف . ثم جاء جامعو اللغة وذكروا لنا معنيين لهذه الكلمة الواحدة .

(هـ) هناك كلمات كانت تستعمل في الأصل مختلفة الصورة والمعنى . ثم تطورت صورة بعض منها حتى ماثلت البعض الآخر . وهكذا رويت لنا متحدة الصورة مختلفة المعنى . فاشترك الصورة في مثل هذه الكلمات لم ينشأ عن اشتراكها في المعنى الأصلي . وإنما نشأ عن تغير في أصوات بعضها ؛ ترتب عليه مماثلة في اللفظ ، واختلاف أصلى في المعنى .

ونحن حين نستعرض أمثلة المشترك اللفظي ، كما رويت لنا في المعاجم العربية ونحاول إرجاعها إلى العوامل المتقدمة . نراها من الكثرة والاضطراب في روايتها بحيث تعيى الباحث المدقق عن الحكم عليها حكماً قاطعاً . وكيف يمكن القطع فيها برأى مع جهلنا بالحياة العربية قبل الإسلام . هذا إلى أن تلك الكلمات مرت في أحقاب بعيدة ، وفي ظروف اجتماعية مجهولة ، قبل أن تروى لنا على هذه الصورة التي نشهدها في المعاجم . وكل الذي نستطيع تأكيده بصدها ، أن

معانيها قد تغيرت مع احتفاظها بصورتها ، أو أن صورتها قد تغيرت مع الاحتفاظ بمعانيها ، أما سبب التغير فأمر أقرب إلى الترجيح منه إلى مرتبة اليقين .

وليس هناك ما نستدل به على تغير المعاني في بعض الكلمات خير من تلك الأخطاء الإنشائية الشائعة بين تلاميذها ، وفي بعض صحفنا حين تستعمل بعض الكلمات في معان لم ترد في المعاجم .

وكلنا يعلم أن مدرس اللغة العربية في صراع مستمر في تلك المعاني الجديدة لكلمات قديمة ، ينكرها حيناً ويقبلها حيناً آخر ، دون أن يعلم الظروف التي أدت إلى مثل هذا التغير في المعنى . فقليل من التلاميذ من يستعملون كلمة مثل (العتيد) أو (عيال) في معناهما الذي روته المعاجم . وقد اشتملت لغة كلامنا على كلمات كثيرة عربية الأصل ، احتفظت بصورتها فقط ، دون معناها الأصلي .

وكان أساتذتنا يأبون عليها استعمال «التكاتف» بمعنى التعاون ، ويرفضون قبول «كرس حياته لكذاء» ، كما علمونا أن الثوب المهلهل هو الرقيق المنسج الذي يكاد يشف عما تحته ، وليس الخلق الممزق كما قد يتبادر لبعض الأذهان .

هذا إلي ما شاع في لهجات كلامنا الآن من استعمال «السبع» مقصوراً على الأسد ، ويص يبص بمعنى نظر ، والتبجج بمعنى المغالة في الجرأة مع وقاحة واستهتار ، وطبّ عليه أي فاجأه ، وباش ييوش أي ذاب .

بقي أن نلقى نظرة سريعة في بطون المعاجم اللغوية لنلتقط منها بعض الأمثلة العربية التي توضح لنا اضطراب الرواية في معاني الكلمات وصعوبة الكشف عن العلاقة بينها :

١ - فالليث من معانيه : الأسد ، وضرب من العنكبوت ، واللسن البليغ !! فكيف عبرت هذه الكلمة عن كل هذه المعاني ، وما الظروف اللغوية التي ترتب عليها مثل هذا الاختلاف ؟

٢ - وما العلاقة بين المعاني التي رويت لكلمة الفخْت : ضوء القمر ، نخل الطباخ الفِدرة من القدرة ، ثقب مستديرة في السقف ! ؟

٣ - وكيف عبر بكلمة (البلد) عن :

مكة ، كل قطعة من الأرض مستحيرة عامرة ، التراب ، القبر ، الدار ، الأثر ؟!

٤ - وكيف التقت المعاني الآتية في كلمة النجم ؟

الكواكب . نبات نجم على غير ساق ، الوقت المضروب والأصل إلخ !
غير أننا نلاحظ العلاقة واضحة جلية بين معاني بعض الكلمات مثل :

١ - الجبل : ما علا من الأرض . سيد القوم . عالمهم .

٢ - التفاحتان : رءوس الفخذين في الوركين .

٣ - العنبة : بثرة تخرج بالإنسان .

والذي نلاحظه بصفة عامة أن كثيراً من الكلمات التي تسمى بالمشتراك اللفظي تجمع بين معنيين . أحدهما حسي والآخر معنوي . ولا شك أن المعنى الأصلي في مثل هذه الحالة هو الحسي ، وأن المعنوي فرع عنه بطريق المجاز .

وقد عني الزمخشري في معجمه أساس البلاغة بتبيان المعاني الحقيقية والمجازية للكلمات ، ولكنه لم يوفق في كل حالة ، فقد ضل الطريق حين حاول اشتقاق معنى حسي ، من آخر معنوي ، مع أن الذي أجمع عليه المحدثون من علماء اللغات هو أن المعاني الحسية أسبق في الوجود . وأجدر بأن تعد المعاني الحقيقية ، وغيرها فروع لها عن طريق المجاز . وقد وقع في الزلل نفسه بعض الرواة المشهورين مثل : أبي عمرو بن العلاء حين روى قصة اشتقاق الخيل من الخيلاء . وقال لصاحبه مؤيداً هذا الزعم ألا تراه يمشى العرضنة ؟

وليت شعري كيف يمكن هذا مع أن الناس قد عرفوا الخيل قبل أن يعرفوا الخيلاء ! فإذا صح أن هناك علاقة بين الخيل والخيلاء . فالأولى أن يقال إن الخيلاء من الخيل لا العكس .

ولا بأس هنا أن نورد بعض الأمثلة التي وردت في أساس البلاغة ؛ لنؤيد ما نذهب إليه من أن المعاني الحسية ، أسبق في الوجود ، وأنها مصدر الاشتقاق لغيرها من الكلمات :

١ - الجبن مشتق من الجبانة والجبان أي الصحراء .

٢ - جثم الطائر مشتق من الجثمان .

٣ - دبج بمعنى زين مشتق من الديباج .

٤ - جدثوه غيبوه في الجدث .

٥ - خيم الظلام من الخيمة .

ولهذا لا نتجنى على اللغة حين نرجح أن معظم المعنويات التي لا ندرك لها مصدر اشتقاق ، والتي تبدو لأول وهلة حقيقية المعاني ، ليست في الحقيقة إلا مجازات منسية .

على أن البحث والتفتيب يوقفنا في معظم الأحيان على المحتاني الحقيقية الأصلية لتلك المعنويات فانظر مثلاً :

- ١ - الرطانة وهي العجمة في النطق قد اشتقت أصلاً من معنى حسي هو : إذا كثرت الإبل وكانت رفاقاً ومعها أهلها فتسمى الرطانة ، والعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى الفرعي هي الجلبة مع الإبهام .
- ٢ - وكذلك البطلان التي منها الباطل ضد الحق جاءت من كلمة الباطل بمعنى إبليس . وقد ورد المعنى الأصلي في القرآن الكريم (وما يبدئ الباطل وما يعيد) .

٣ - الطمع في الأصل معناه رزق الجند .

٤ - السفاهة في الأصل من سفهت الطعنة أسرع منها الدم وجف .

ولكن حين يسائل المرء نفسه عن المعاني الأصلية للجوع والعطش والرعب والفرح ، لا يكاد يعثر على معانٍ حسية تعدّ مصادر الاشتقاق لها . ولعلّ هذا لأن مثل تلك المعنويات قديمة بعيدة القدم ، ولا سبيل إلى التوغل في تاريخ الإنسان لتعرف كيف عرف الجوع والعطش ، أو الخوف والفرح أول الأمر ، وكيف بدأ يشتق كلمات تعبر عنها ؟

وقد يكون من العبث أن نسرف هنا في ذكر أمثلة لما يسمى بالمشترك اللفظي ، لأن المعاجم العربية قد ملئت بها . ومن اليسير الوصول إليها بمجرد الكشف في القواميس ، ومن اليسير أيضاً إرجاع تلك الأمثلة التي يعثر عليها إلى عامل من العوامل الآتفة الذكر .

غير أننا سنعنى هنا بالعامل الأخير من عوامل المشترك اللفظي ، لأن القدماء لم يثيروا إليه ، أو لم يفتنوا لإمكان حدوثه ، وهو أن بعض الكلمات لم تشترك في اللفظ إلا بعد تطور في أصوات بعضها ، وأن هذا الاشتراك في اللفظ لم يكن في الحقيقة إلا وليد المصادفة ، فانظر مثلاً إلى الكلمات الآتية :

- ١ - روت المعاجم أن (التغب) لها معنيان غير ظاهري العلاقة ، وهما الوسخ والدرن ، والقحط والجوع . ثم في موضع آخر نجد أن «السغب» معناه

الجوع !

ويظهر أن كلمة «السغب» قد تطورت في لهجة من اللهجات ، ولظرف من الظروف الخاصة ، حتى أصبحت [التغب] من المشترك اللفظي . وقد يستأنس لهذا الرأي بما روى عن بعض قبائل اليمن من ميلها إلى قلب السين تاء ، فيقولون (النات) بدلا من [الناس] . فعمل كلمة (السغب) قد نطق بها في القبائل اليمنية (التغب) ، مع احتفاظها بمعناها وهو الجوع ، ثم جاء جامعو المعاجم ونسبوا معنيين مختلفين لكلمة (التغب) ، وعدوها من المشترك اللفظي .

٢ - حربه حرباً سلبه ماله ، وحرب حرباً اشتد غضبه ، وعلى هذا فكلية (الحرب) من المشترك اللفظي في رأى أصحاب القواميس !

والحقيقة أن المعنى الأول لهذه الكلمة هو معنى الفعل [حرمه] نفسه فلما قلبت الميم «باء» في لهجة من اللهجات العربية كلهجة مازن مثلاً ، التبس الفعل (حرمه) بمعنى سلبه ، بالفعل حرب بمعنى اشتد غضبه .

٣ - «قطب» زوى ما بين عينيه وكلح كقطب ، والشئ قطعاً ! فهل نلاحظ علاقة ما بين التقطيب في الوجه وقطع الشئ ؟ اللهم لا ! على أن أصحاب المعاجم قد عدوا هذا من المشترك اللفظي ، ولو أنهم رجعوا إلى الفعل (قطم) لرأوه بمعنى قطع ، ولما قلبت الميم منه إلى «باء» ، ظهر لهم فعل ظنوه جديداً وهو (قطب) بمعنى قطع ، ونسبوا له الاشتراك اللفظي .

٤ - جاء في مادة [سحب] أن لهذا الفعل معنيين ، هما :

(أ) جرّه على وجه الأرض .

(ب) أكل وشرب أكلاً شديداً .

فهل هنا علاقة ظاهرة بين المعنيين بحيث نقول إن أحدهما فرع عن الآخر؟ أليس الأصوب أن نبحث عن المعنى الثانى فى مادة (زعب) التى فيها (تزعب) فى أكله وشربه أكثر ، فلما همست الزاى والعين أصبحتا سينا وجاء ؟

وهكذا التبس لفظ الفعلين ، وحسب القدماء الفعل (سحب) من المشترك اللفظي .

٥ - وقد خلطت المعاجم بين مادتي (لذب) و (لسب) فنسبت لكل منهما معنيين هما : السوق ولد العقرب أو الحية : فقد جاء فى قاموس المحيط اللزوب :

للصوق ، لزيته العقرب لدغته ، لسب به لصق ، لسبته الحية لدغته !!

وكان الأولى أن ينسب أحد المعنيين إلى المادة الأولى ، والمعنى الثانى إلى المادة الأخرى . ولكن التطور الصوتى فى إحدى المادتين ، وذلك بهمس الزاى لتصبح سيناً ، أو بجهر السين لتصبح زايأ . قد أوقع القدماء فى اللبس ، وجعلهم يخلطون بين معنيين بعيدى العلاقة .

٦ - أليس من الإسراف والمغالاة أن نجارى المعاجم العربية فنقول إن مادة (نسب) من المشترك اللفظى لأن من معانيها : نسبه ذكر نسبه . وأنسبت الريح اشتدت ؟ فى حين أنا نرى فى موضع آخر [أنشبت الريح اشتدت] ! أو ليس الأقرب إلى الصواب أن نقول إن التطور الصوتى فى الفعل (أنشبت الريح) ، قد أدى إلى قلب الشين سيناً ، فالتبس الأمر على جامعى اللغة ؟

٧ - الخبث : المتسع من بطون الأرض ، والخبث الحقير ! هذا هو ما رواه صاحب قاموس المحيط . ولعمري كيف استباح لنفسه أن ينسب لهذه الكلمة شيئاً من ظاهرة الاشتراك اللفظى مع وجود كلمة (الخبث) بالقاء وشهرتها ، واحتمال قلب التاء إلى التاء مما أدى إلى اللبس بين المادتين .

٨ - المحت : الشديد ، اليوم الحار ، والخالص !

قد يعدّ بعض الناس مثل هذه الكلمة من المشترك اللفظى دون علاقة واضحة بين هذه المعانى ، فى حين أننا نعلم أن كلمة (المحت) معناها الخالص ، وأن قلب الباء منها إلى ميم ، قد أدى إلى نسبة معنى الخالص إلى (المحت) ، مع مالها من معان أخرى .

٩ - فحث عنه كمنع فحص ، والفحث حية عظيمة لا تؤذى !

فليت شعري ما العلاقة بين هذين المعنيين حتى نجعلهما من مشتقات مادة واحدة ؟ أليس الأجدر أن نقول إن المعنى الأول متفرع عن الفعل (بحث عنه) ؟ فلما قلبت الباء إلى الفاء ، وكلاهما من الأصوات الشفوية ، أدى هذا إلى اللبس بين المادتين ؟

تلك هى أمثلة قليلة ، أردنا أن نوردها لتوضيح ما نعنى من أن ظاهرة الاشتراك اللفظى ، قد تكون فى بعض الأحيان نتيجة تطور صوتى فى بعض الكلمات .

ولا شك أن الباحث فى بطون المعاجم العربية سيعثر على مئات من أمثال تلك التى أوردها هنا .

- ٣ -

التضاد

لا يتم الحديث عن المشترك اللفظي إلا بالتعرض لتلك الكلمات التي رويت لنا متضادة المعاني ، والتي اصطلح القدماء على تسميتها بالأضداد . وأشهر من عنى بتلك الكلمات وجمعها بين مؤلفي العرب ، هو ابن الأنباري في كتاب له سماه أضداد ، أحصى فيه ما ينيف على أربعمئة كلمة ، ولكنه تعسف في اختياره ، وتأول كثيراً من معاني الكلمات .

ويجدر بنا أن نسوق بعض الأمثلة التي وردت في كتاب ابن الأنباري ، ومنها نرى إلى أي حد بلغ التكلف والتعسف بالمؤلف ، ليجعل منها كلمات متضادة .

١ - يذكر ابن الأنباري أن «عسعس الليل» معناه أقبل أو أدبر !! ثم يسوق بعض الشواهد الشعرية للبرهنة على ما يقول ، وليس من بين هذه الشواهد ما هو منسوب لصاحبه إلا بيتان أحدهما لامرئ القيس والآخر لعقمة بن قرط . على أن الفراء قد وصف ما نسب لامرئ القيس بأنه موضوع مصنوع ، أما بيت عقمة فمعنى «عسعس» فيه هو أدبر ، إذ قال :

حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

فإذا رجعنا إلى القرآن الكريم وجدنا الكلمة قد وردت فيه مرة واحدة ومعناها في الآية هو «أدبر» فقط ، قال تعالى : [والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس] .

٢ - يزعم ابن الأنباري أن «الند» معناه المثل والصد ، وقد حاول أن يفسر «أندادا» في القرآن الكريم على المعنيين ، وفي هذا من التكلف ما فيه ، ذلك لأن الآيات القرآنية لا تحتل إلا معنى واحداً ، قال تعالى :

«فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون» .

«ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله» .

وما رواه من شعر منسوب للبيد ولحسن ، لا يستفاد منه إلا معنى واحد لكلمة الند ، وهو المثل . قال لبيد :

أحمد الله فلا ند له بيديه الخير ما شاء فعل
وقال حسان بن ثابت :

أتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء

٣ - أليس من التكلف والتعسف أن تجعل «الإسرار» بمعنى الإظهار ، كما يقول ابن الأنبارى ، مفسراً الآيتين الكريمتين : [وأُسروا النجوى الذين ظلموا] ، [وأُسروا الندامة لما رأوا العذاب] على هذا المعنى ؟!

إن الآيات الأخرى التى وردت بالقرآن مشتملة على هذه الكلمة لا تحتل إلا معنى واحداً وهو ضد الإظهار :

«ثم إنى أعلنت لهم وأسريت لهم إسراراً» .

«فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم» .

«والله يعلم ما تسرون وما تعلنون» .

إلى غير ذلك من آيات كثيرة .

٤ - نعرف أن المعنى الشائع لكلمة «البين» هو الفراق ، ولكن ابن الأنبارى يزعم أن لها معنى آخر هو الوصل ، ويستشهد على هذا بقراءة من قرأ : «لقد تقطع بينكم» ! ولكن القراءة المألوفة والمشهورة هى «لقد تقطع بينكم» أى ما بينكم من صلة ، فلا تحتل الكلمة تضاداً أو ما يشبه التضاد .

٥ - المشهور فى معنى «عفا المكان» هو درس ونسى أمره . ولكن ابن الأنبارى يتصور لها معنى ضدياً بجانب المعنى الأصلي ، ويستشهد بقوله تعالى : «ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس أباءنا الضراء والسراء» . ويفسر «حتى عفوا» هنا قائلاً : أى كثروا !

ويظهر والله أعلم أن المعنى : حتى اندرس أمرهم ونسى ، وحينئذ لا تضاد . أما حديث (أن تحفى الشوارب وتعفى اللحى) فليس معنى إعفاء اللحى تكثير شعرها كما يزعم ابن الأنبارى ، وإنما يكون بتركها وإعفائها من الإحفاء والقص .

٦ - حتى الكلمات المصحفة يتخذ منها ابن الأنبارى كلمات متضادة ، فيقول : إن «سمل» لها معنيان : أصلح بين القوم وفقاً عين فلان !! ويظهر أن «سمل» بمعنى أصلح بين القوم ليست فى الحقيقة إلا «سمل» بالشين ، وقد جاءت إلى المؤلف مصحفة فى شاهد من الشواهد .

كذلك قوله في «برد» بمعنى سخن مستشهداً بقول الشاعر :

عافت الشرب في الشتاء فقلنا برديه تصادفيه سخينا

ورواية البيت يجب أن تكون :

عافت الشرب في الشتاء فقلنا بل رديه تصادفيه سخينا

٧ - مادة «قسط» تفيد معنى العدل ، وقد استعملت في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة ومشتقاتها بهذا المعنى . ولكنها استعملت اسم فاعل من الثلاثي في سورة الجن للتعبير عن معنى مضاد للعدل ، قال تعالى :

«وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا .

على أن القرآن قد وردت فيه آيتان في كل منهما «أقسط» بمعنى أعدل :
«ذلكم أقسط عند الله وأقوم» ، «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله» . وأفضل التفضيل لا يكون إلا من الثلاثي ، فكيف تأتي أن يقول اللغويون إن الثلاثي من هذه المادة لا يفيد معنى العدل !

ويظهر والله أعلم أن استعمال «القاسطين» بمعنى الظالمين ، ليس إلا تادباً في الخطاب أمام الله ، وتحاشياً لذكر كلمة الظلم أمامه سبحانه وتعالى . ويمكن أن تؤول الشواهد التي ساقها المؤلف ؛ للبرهنة على أن «قسط» بمعنى «ظلم» على هذا النحو من التأول ، فمن بينها «قسطوا على النعمان» ، ومقام الكلام عن علاقتهم بملك عظيم كالنعمان يقتضي هذا الاستعمال .

٨ - وأخيراً يقال لنا إن «الجلل» معناه العظيم والقليل ، ويستشهد عادة للبرهنة على هذا بقول الشاعر :

كل شيء ما خلا الموت جلالٌ والفتى يسعى ويلهيه الأمل

فالمعنى هنا : قليل حقير .

ويقول الآخر :

قومي هم وقتلوا أميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جلالاً ولئن سطوت لأوهنن عظمي

فدل الكلام على أنه أراد فلئن عفوت لأعفون عفواً عظيماً لأن الإنسان

لا يفخر بصفحه عن ذنب صغير !

ولكننا حين نتأمل الظرف الذي قيل فيه هذان البيتان ، وما اكتنف قولهما من ملابسات ، نرى أن الشاعر يريد أن يعتبر العفو عن قتل أخيه أمراً بسيطاً ، إذا قيس بما سيقترتب على وقوع الشحنة بين قومه ، من حرب أهلية توهنهم جميعاً وتذهب بقوتهم .

أما ابن سيده والسيوطي فقد اعتدلا في اختيار الأضداد ، ولم يسرفا في تلمس العلاقة بين الكلمات ، فجاء ما أحصياه نحواً من مائة كلمة .

والضدية نوع من العلاقة بين المعاني ، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى . فمجرد ذكر معنى من المعاني ، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن ، ولا سيما بين الألوان . فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد . فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني . فإذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة عن معنيين بينهما علاقة ما ، فمن باب أولى جواز تعبيرها عن معنيين متضادين ؛ لأن استحضار أحدهما في الذهن يستتبع عادة استحضار الآخر ؛ فالتضاد فرع من المشترك اللفظي ، وعوامل تكون المشترك اللفظي في اللغات ، وقد أشرنا إليها آنفاً ، تصلح أيضاً أن تكون عوامل الأضداد . فكلمة «الهاجد» معناها النائم والساهر ، وجاء في القرآن الكريم «ومن الليل فتهجد به نافلة لك» ، ولا يحتمل الفعل هنا إلا معنى واحداً وهو السهر ، غير أنه قد روي لنا أن المرقش يقول :

سرى ليلاً خيال من سليمى فأرقنى وأصحابى هجودُ

فمعنى هجود في شعر المرقش هو «نيام» لا نزاع في هذا . فكيف نفسر وقوع هذا التضاد إلا عن طريق الأخطاء ، التي يمكن أن تنسب إلى الأجيال الناشئة . فقد كان للكلمة معنى واحد . ولكن لقلّة شيوعها فهمت في بيئة من البيئات على معنى آخر ، ونما هذا الفهم وذاع في الجيل الناشئ ، ثم أصبح معترفاً به في اللغة النموذجية الأدبية ، فاستعمل القرآن هذه الكلمة بمعنى ، واستعملها المرقش بمعنى مضاد للمعنى الأصلي . وقد تم مثل هذا التطور في عصور الجاهلية قبل نشأة اللغة النموذجية وازدهارها . غير أنه من الممكن أن يضاف إلى تلك العوامل ما يأتي :

(أ) التطير :

إن غريزة التفاؤل والتشائم من غرائز الإنسان التي تسيطر على عاداته في التعبير إلى حد كبير . فإذا شاء التعبير عن معنى سيئ ، تشاؤم من ذكر الكلمة الخاصة به ، وفر منها إلى غيرها ؛ فجميع الكلمات التي تعبر عن الموت والأمراض ، والمصائب والكوارث ، يفر منها الإنسان ويكنى عنها بكلمات حسنة المعنى ، قريبة إلى الخير . وأوضح ما تكون هذه الغريزة بين النساء وفي الأوساط التي نالت حظاً ضئيلاً من الثقافة . وأقرب المعانى إلى كلمات التشاؤم ، هي أضدادها من كلمات التفاؤل . لهذا عبر في اللغة العربية عن الأسود بالأبيض تجنباً لذكر لفظ السواد وعبر عن المكان المحفوف بالمخاطر ، بالمفازة . ومن ذلك ما جاء في اللسان من أن [العَدَّ الكثير عند تميم والقليل عند بكر بن وائل] .

ولا تختص بهذا قبيلة دون أخرى ، بل قد يجوز أن تعبر اللهجة الواحدة بلفظ واحد أساسه الخير ، عن الخير والشر . ويتوقف الأمر على قوة غريزة التطير بين أفراد القبيلة ، وما أصابوه من ثقافة .

(ب) التهكم :

ويلحظ هذا بصفة خاصة بين الشباب ، فهم لرغبتهم في الخروج عن القواعد المألوفة في التعبير ، وحبهم للتجديد في الكلام ، وإظهار مهارتهم في تخيير الكلمات ، يلجأون أحياناً إلى التعبير عن الشيء بكلمة مضادة ، هازئين ساخرين . ويغلب أن يكون هذا النوع من التعبير بين الخاصة من الناس ، القادريين على التفنن في القول ، وعلى كل حال يؤدي آخر الأمر إلى وقوع كلمات متضادة المعنى . ويعزى إلى الظاهرة ، وقوع كلمات متضادة مثل (القشيب) التي تعبر عن الجديد في غالب الأحيان ، وعن «الخلق» في القليل من الأحيان ، ومثل يا «عاقل» التي قد تقال للمجنون ، وكلمة «سليم» التي قد تقال للملدوغ ، وكذلك «لمقت» الشيء بمعنى كتبت في لهجة عقيل ، وبمعنى محوته عند قبائل قيس .

ولاشك أن عاملي التطير والتهكم مرتبطان أحدهما بالآخر بعض الارتباط ، وأن التضاد في معنى الكلمة قد يفسر تبعاً لعامل التطير مرة ، ويفسر تبعاً لعامل التهكم مرة أخرى ، لأن الظروف الاجتماعية التي مهدت لتطور معاني الكلمات ، كثيرة ومعقدة ، وليس من السهل تعيين الملابسات التي اكتنفت هذا التطور في كل الحالات فمثلاً :

١- يقول ابن الأنبارى إن «المسجور» معناه المملوء والفارغ . وقد استعملت هذه المادة فى القرآن الكريم مرتين ، وفى كل منهما كان معناها الامتلاء ، قال تعالى :

«وإذا البحار سجرت» ، «والبحر المسجور إن عذاب ربك لواقع» .

ويظهر أن المعنى الأصلى هو المملوء ثم اتخذت الكلمة للتعبير عن الفارغ تفاؤلاً أو تفاذياً لذكر ما يشير إلى الفراغ وانقطاع الخير ، مما يؤدى إلى الحاجة والعوز .

ولنا فى الاستعمال العامى حين ينادى عمال المقاهى قائلين «خذ المليون» ، ما يوضح هذا بجلاء .

ومع هذا فقد يكون مبعث استعمال المملوء فى الفارغ ، التهكم والسخرية .

٢- ويمكن أن يقال مثل هذا فى «الناقة الحاقلة» التى قيل انا عنها إنها تستعمل إذا ذهب اللبن من ضرعها فلم يبق منه إلا اليسير . وكذلك إذا امتلأ ضرعها باللبن . ويبدو أن المعنى الأصلى المشهور هو قلة اللبن ، ثم استعمل فى كثرة اللبن درءاً للعين ومنعاً للحسد . وقد كان العرب يصفون الفرس أحياناً بأنها شوهاء مع أنها فى الواقع جميلة . ويشبه هذا ما نسمعه أحياناً من أفواه العامة حين يتجنبون وصف الطفلة بالجمال خوفاً من الحسد فيقولون «يا بت يا وحشة !» .

٣- استعمل الفعل «عزّر» فى القرآن الكريم ثلاث مرات بمعنى يناصر ويقوى ويؤيد ، ومع هذا فيستعمل الفقهاء مصدر هذا الفعل وهو «التعزيز» كنوع من العقوبة .. ويظهر أن معنى الفقهاء أحدث ، وهو من قبيل التفاؤل ومثله فى استعمال كلمة «التأديب» فى العقاب . وذلك لأن من فلسفة العقوبة أن تعد نوعاً من التهذيب والتأديب لا الانتقام أو الشماتة ، فكان فى العقاب طريقاً لنصرة المرء على نفسه الأمانة بالسوء ، وفيه مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، وفى هذا من النصرة والتأييد ما فيه .

٤- تثبت المعاجم لكلمة «المولى» عدة معان ، منها : السيد والعبد وابن العم والحليف والجار والصهر ... إلخ .

ولذلك نشهد فى هذه الكلمة مثلاً طيباً لتطور المعنى ؛ إذ يظهر أن المعنى الأصلى لهذه الكلمة هو السيد المتنعم صاحب الفضل ، ثم أطلق على العبد المخلص المتفانى فى خدمة سيده ، وذلك من قبيل التفاؤل والفرار من وصف العبد

المخلص بصفة خسفة قد فشم منها الرق والعبوفة .

ولاشك أن العرب فى الءاهلفة والإسلام كانوا ففرقون بفن العبفء والموالف فى معاملتهم والنظرة إلفهم . ولسنا نعلم نصاً قفماف اسفعمل ففه كلمة «المولف» فى مءال الءم أو الءط من قءره .

ثم ففرع من معنف السفء ، فلك المعانف الأءرف كابن العم الءى هو عصفة ومصدر نفوذ وقوة فى الأسرة ، وففرع عن فكرة الءام المخلص للسموبه فى بعض الأحيان إلى مرءبة الءلفف والءار والصهر .

وقء اسفعمل القرآن الكررف كلمة «المولف» بمعنف السفء فقط ، ولكنفه اسفعمل الجمع «الموالف» بمعنف الفابعفن الملءقفن بالمرء من إماء وءلفاء .

(ء) الإفهام فى المعنف الأصلف وعمومه :

قء فؤءى إلى الفضاء أن المعنف الأصلف للكمة فكون عاماف فر مءووء ، ثم ففءء معناه مع الزمن ، ولكن فى فطوره وفءءء معناه قء ففءذ فرفقففن مفعاضفن ، وففرتب على هذا أن نءء الكمة الواءءة ففءص معناها فى لهءة من اللهءاء بشكل ءاص فضاء الشكل الءى افءءفه الكمة فى لهءة أءرف . وففر مثل لهذا قصة الملك الءى قال للأعرابف «فب» فررف اءلس ، فوئب الأعرابف وءق عففه لأنه لم فكن فعرف معنف «لوئب» إلا ففر .

فالفضاء هنا بفن «وئب» فى لهءة أهل الشمال ، ومعناها فى لهءة ءمفر ، نشأ عن فءء المعنف وففصفه بشكل ءاص فى كل لهءة . والكمة العبرفة الفف ففناظر الفعل (وئب) هف «فشب» ولفس لها إلا معنف واءء ، وهو ءلس أو أقام ، فلفل المعنف العام الءى كانت فءل عففه هذه الكمة فى اللغات السامفة ، هو الففقال من ءال إلى ءال ، وففر الوضف .

وقء ففصص هذا المعنف العام فى اللهءاء الشمالفة فأصء فعبر عن الففر؁ فى ءفن أنه أصبح فعبر عن ءلوس فى فررها من اللهءاء .

ولل كلمة «السءفة» الفف روف أنها كانت فعبر عن الظلمة فى لهءة فمفر؁ وعن الضوء بفن فبائل قفس؁ كانت شفاء من هذا . ففء كان معناها العام أن فعبر عن ءالة بفن الظلمة والنور؁ ثم فءء معناها فى فلك اللهءاء فأءى إلى الفضاء .

ومن الكلمات المشهورة الفف كان لها معنف عام ثم ففصص فى بففففن مءففففن فافءذ فى البفة الأولى معنف ءاصاف؁ وفى البفة الفائف معنف مضاءاف

لذلك الذى شاع عند أبناء البيئة الأولى :

١- «الصريم» بمعنى الليل والنهار ، لأن الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين واحد وهو القطع والفصل .

٢- «القرء» بمعنى الطهر تبعاً لاختلاف المعنى ، مما هو مشهور فى كتب الفقه .

ويظهر أن المعنى العام للكلمة هو «الوقت» ، ثم تخصصت فى البيئتين على معنيين مختلفين . ومن هذا المعنى العام اشتق «القرء» بمعنى وقت المرض فيقال للمسافر : ذهبت عنه قرءة الحجاز أوقرته ، أى تبين أنه خالٍ من مرض الحجاز ، وقد قدروا هذه المدة بنحو ١٥ يوماً .

٣- يثبت معظم اللغويين للفعلين «باع واشترى» معنى التضاد ، فيقولون إن «باع» قد تستعمل بمعنى اشترى ، وإن اشترى قد تستعمل بمعنى باع .

والحقيقة أن هذين الفعلين من الكلمات المترادفة ، وأصل معناهما «المبادلة» ، هو معنى عام ينطبق على الشراء والبيع ، ثم تحدد المعنى مع الزمن لكل من الفعلين ، فغلب استعمال الشراء فى معناه المألوف ، والبيع فى ضد هذا المعنى . ويمكن أن تفسر الشواهد التى يشتم منها أن «باع» بمعنى اشترى ، أو أن اشترى بمعنى باع ، على هذا المعنى العام الأصلى . ويتضح لنا رجحان هذا الرأى حين نذكر طريقة البيع والشراء عند العرب القدماء ؛ فلم تكن على الصورة التى نألفها الآن فى غالب الأحيان .

ولسنا بحاجة إلى كثير من التأويل أو التخريج ؛ حين نقصر «باع» على المعنى المعهود لنا ، واشترى على ضد هذا المعنى ، فى جميع الآيات القرآنية التى ورد فيها هذان الفعلان ، وليس هناك من صعوبة حين تفسر تلك الآيات على هذا الأساس .

هذا ولا ننسى أن للمصادفة دخلاً فى تكون بعض الأضداد ، فقد يترتب على التطور الصوتى فى كلمة ما . أن تصبح ماثلة فى لفظها لكلمة أخرى مضادة فى المعنى . فكلمة (الجون) التى تعبر عن الأبيض ، قد انحدرت من أصلين لاعلاقة بينهما ؛ إذ يظهر أن (الجون) التى تعبر عن السواد قد اشتقت أولاً من الفعل (جن) بمعنى ستر . وهو الذى يستعمل فى مثل (جن الليل) أى أظلم فهذه المادة تعبر أساسياً عن معنى الظلمة . ثم تطورت أصواتها بتأثير عامل المخالفة

Dissimilation، فقلب أحد النونين إلى صوت مشابه وهو الواو (١) . وبذلك التبس الجون المنحدر من مادة «جن» ، بالجون التي تعبر أصلاً عن النور .

وانظر أيضاً إلى كلمة (أكعت) التي روت المعاجم أنها تعبر عن معنيين متضادين هما : انطلق مسرعاً ، وقعد !

ويظهر أن تطور الفعل «قعد» في أصواته بأن انتقل مخرج القاف إلى الأمام قليلاً ، فصادف مخرج الكاف ، وبأن همست الدال فأصبحت تاء ، كل هذا أدى إلى أن صار الفعل (قعد) (كعت) ، دون تغير في معناه ، ثم التبس هذا الفعل بفعل آخر من أصل مختلف وهو (أكعت) بمعنى انطلق مسرعاً (٢) .

ومما يبرهن على أن التطور الصوتي قد يوقع اللغويين في اللبس ، ويجعل بعضهم ينسب للكلمات التضاد في المعنى ، ما ذكره ابن الأنباري من أن «القانع» معناه الراضى بما هو فيه والسائل المحتاج !! ثم يحتج بقوله تعالى :

«وأطعموا القانع والمعتّر» مفسراً القانع هنا بالسائل !

ويظهر والله أعلم أن معنى الآية : اطعموا من لا يسأل حياء منه ، لأنه قنع بما هو عليه وما قسم له ، وأطعموا أيضاً من يسأل بتلميح دون تصريح وهو المعتّر، أما ما يذكره اللغويون من تفرقة بين القنوع والقناعة ، مؤكدين لنا أن الأولى تعنى الخضوع ، والثانية تعنى رضا المرء بما قسم له . فليس له من سبب سوى التطور الصوتي في مادة «خنع» إلى «كنع» ؛ أي إن الصوت الرخو وهو الخاء قد تطور إلى نظيره الشديد وهو الكاف في بيئة بدوية . ثم جاء جامعو اللغة وذكروا لنا أن كلا من «خنع» و «كنع» يفيد ذل وخضع . ومصدر «كنع» هو «الكنوع» بمعنى الذلة والخضوع . ثم اختلط الأمر بين القاف والكاف . وترتب على هذا اختلاط الفعلين «قنع» ، «كنع» ، والحقيقة أن مصدر «قنع» هو القناعة ، ومصدر «كنع» هو الكنوع . فقول القائل «أعود بالله من الخنوع والقنوع» ، لا يعدو أن يكون تكراراً للفظ الواحد . وبهذا يمكن أن نفسر كل الشواهد ، التي يشتم فيها أن «القنوع» يعنى الذلة والسؤال .

(١) انظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ١٧١ .

(٢) انظر مقالا مسهباً عن الأضداد للدكتور منصور فهمي صفحة ٢٨٨ الجزء الثاني من مجلة

المجمع اللغوي .

نكتفي بهذا القدر في الحديث عن الأضداد لأن ما روى عنها من الشواهد يعوز أكثره النصوص الصريحة القوية ، وحين نحلل أمثلة التضاد في اللغة العربية ، ونستعرضها جميعاً ، ثم نحذف منها ما يدل على التكلف والتعسف في اختيارها ، يتضح لنا أن ليس بينها ما يفيد التضاد بمعناه العلمي الدقيق إلا نحو عشرين كلمة في كل اللغة . ومثل هذا المقدار الضئيل من كلمات اللغة لا يستحق عناية أكثر من هذا ، لا سيما وأن مصير كلمات التضاد إلى الانقراض من اللغة ، وذلك بأن تشتهر بمعنى واحد من المعنيين مع مرور الزمن .

الفصل السابع

هل اللغة العربية لغة بدوية (١)؟

حين عرض لي هذا التساؤل للمرة الأولى ، تذكرت كلمة رئيس المجمع الدكتور طه حسين في افتتاح أحد المؤتمرات إذ يقول مداعباً وزير التعليم العالي : (ومن الحق أن لغتنا العربية قد بدأت لغة بدوية ، ولكن من الغريب أن يظل مجمع اللغة العربية في القرن العشرين بدوياً أيضاً لا يستقر ، يجتمع في مكان مرة ، وفي مكان آخر مرة أخرى) !!

ولما رددت أمامكم التساؤل نفسه ، كأني بمن يهمس إليّ في لهفة وإشفاق على ويقول :

بدأت يا أخى بدوية قبل الإسلام ، ثم انتهت إلى حضرية بعد الإسلام ، وبلغت ذروة حضارتها في عصور العباسيين . ألم تدرس أو يدرس لك أن شعراء ما قبل الإسلام كانوا يقفون على الأطلال ، ويكرن الدمن ، ويصفون النوق في إسهاب أو إسراف كالذي كان من طرفة في معلقته ، كما حدثونا عن الصحراء رمالها وكثبانها وجبالها وحراتها وأوديتها وآبارها ومنتجع الكلا فيها؟ ألا تذكر قول أحدهم مع أنه كان ملكاً في قومه :

تري بحر الأرام في عرصاتها وفيعانها كأنه حب فلفل
وقول الآخر

أثافي سقعا في معرس مرجل ونؤيا كخدم الحوض لم يتثلم
فأى بداوة فوق هذا تريد ؟ ثم ثار الشعراء على كل ذلك في العصر العباسي وتزعهم في هذه الثورة أبو نواس ؛ إذ يقول فيما يقول :

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرّم
ويقول الشاعر الشعبي :

عنيّا بالطبول عن الطلول وعن عس عذافرة ذمول

(١) بحث ألقى في مؤتمر مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦٨ .

وأستمع لمثل هذا الهمس ، ثم أجد أن من واجبي قبل أن أعرض رأيي في سؤال «هل اللغة العربية لغة بدوية؟» أن أبين أولاً حدود ما أعنيه باللغة العربية ، ثم دلالة الوصف «بدوي» حين يخلعه الدارس الحديث على اللغة .

أما اللغة العربية التي أعنى فهي تلك تتمثل في نصوص تراثنا الأدبي قبل الإسلام وبعد الإسلام ، تلك اللغة المشتركة الأدبية النموذجية التي نظم بها الشعراء وخطب بها الخطباء وكتبت بها الرسائل والوصايا قبل الإسلام ، تلك اللغة التي انتظمت كل أو جل أنحاء شبه الجزيرة ، والتي اصطعنت في الأمور الجديدة من القول ، وهي التي نمت وازدهرت قبل الإسلام أداة القول في كل تراثنا الأدبي الرائع .

وقد يقال وماذا نستبعد بعد هذا كله؟ أستبعد ما لم يصح من تراثنا الأدبي ، وأستبعد بعض أو ربما كل ما ينسب لرؤية وأمثال رؤية كأبيي العجاج وابن أحمر الباهلي ، وأستبعد كثيراً مما جاء في معاجمنا العربية القديمة من لهجة خاصة لقبيلة من القبائل ، أو نصوص مبتورة مجهول قائلها ، أو ربما ما أنزل الله بها من سلطان .

أما الوصف «بدوي» فأمره عجب ، إذ تقول عنه المعاجم القديمة إنه منسوب إلى البدو ، وأن نبتة على هذه الصور أمر نادر ، وفي الحق أن الندرة غير مقصورة على النسبة ، بل إن استعمال الوصف بدوي في نصوص الأدب الجاهلي وصدر الإسلام أمر نادر أيضاً . وكذلك المشهور من هذه المادة كالبدو ، والبدواة ، والبادية . فليس في القرآن الكريم إلا كلمة «البدو» في قوله تعالى «وجاء بكم من البدو» ، وتفسر هنا على أن معناها البادية .

وكلمة البدو في الاستعمال القرآني فريدة وحيدة وردت مرة واحدة ، أي من الكلمات التي يسميها المستشرقون Hapax legomena . أما ورودها في قول ابن أحمر :

جزى الله قومي بالأبلة نصرة وبدوالهم حول الفراض وحضراً

فيحتاج إلى إعادة الفهم ، وليس كلام ابن أحمر على كل حال مما يدخل في نطاق ما نسميه باللغة العربية .

ولم ترد في القرآن الكريم الكلمات «بدوي وبادوة وبادية» . أما ما يقال لنا إن «الباد» في قوله تعالى «والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه

والباد، معناه القادم من البادية ، فعند التأمل نجد أن معناه الطارئ على مكة كما يقول القرطبي في تفسيره ، «أى سواء وفد من البادية أو من الأمصار» . فالتعبير يراد به الشمول ، ومثله مثل التعبير الفقهي «المقيم والمسافر» ، بل ومثل «الغائب والحاضر» . أما «البادى والحاضر» في شعر حسان وعمر بن أبى ربيعة فلا يعنى كذلك إلا مجرد الشمول ، فلا يفيد فى أصل دلالة بدواة أو حضارة ، وإن اشتهر فى العصور الإسلامية بهذا المعنى .

وأما الجمع «بادون» فى قوله تعالى «وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب» ، ففى رأى أن معناه مجرد مسافرين أو راحلين ، ولعله اكتسب هنا دلالة البدواة من المناسبة التاريخية ومن كلمة الأعراب . ذلك لأن الاستعمال المألوف فى القرآن الكريم لما اشتهر بعد ذلك بالبدو ، هو الأعراب فى عشر آيات ، ولما اشتهر فى العصور الإسلامية بالحضر هو أهل القرى .

ويكفى للاستدلال على ندرة الكلمات : بدوى ، وبدو ، وبدواة ، وبادية فى الأدب الجاهلى وصدر الإسلام أن معجمنا الكبير مع وفرة إمكانياته لم يجد شاهداً للوصف بدوى إلا ذلك الخبر العجيب ونصه (وفى الحديث لا تجوز شهادة بدوى على صاحب قرية) ، ولا أدرى كيف ينسجم هذا مع الروح الإسلامى فى الإخاء والمساواة؟

ومن يمين الطالع أن ابن الأثير يعقب عليه بقوله (وإليه ذهب مالك والناس على خلافه) ، هذا إلى ما نعرفه من موقف القدماء من الاستشهاد بالحديث فى مسائل اللغة . فمع التسليم بصحة المعنى فى هذا الخبر لا يستلزم ذلك أن تكون كل ألفاظه من النص الأصلى .

ويسوق لنا معجمنا الكبير شاهداً فريداً أيضاً لكلمة «البدواة» هو (وفى الحديث أنه أراد البدواة مرة) ، ولا حاجة للوقوف عند هذا الشاهد طويلاً بعد الذى قلناه عن سابقه .

وأما كلمة «البادية» فيورد لها معجمنا الكبير ثلاثة شواهد اثنين منها لشاعرين أمويين ، أى بعد صدر الإسلام ، هما : القطامي والفرزدق ، والثالث لحسان بن ثابت هو :

وشر من يحضر الأمصار حاضرها وشر بادية الأعراب باديها

وفى رأى أن كلمة الأعراب فى البيت هى التى أوحى بما يراد منا أن

نفهمه من كلمة «بادية» فى بيت حسان إن كان مفهوما حقا .

ونتساءل بعد الذى تقدم هل الكلمات «بدوى وبدو وبدارة وبادية» بمعناها المؤلف لنا الآن من الكلمات التى نشأت مع ظهور الإسلام ، وشاعت بهذا المعنى بعد أن استقرت الفتوحات الإسلامية ؟ أما الذى نستطيع أن نؤكد ههنا فهو أنه ليس لهذه الكلمات نظائر فى اللغات السامية شقيقات اللغة العربية ما عدا الحبشية فيما يبدو ، ففيها «بدو» بمعنى مكان قفر ، و«بدو» بمعنى أفقر المكان .

نكتفى بهذا القدر فى التأسيس الاشتقاق للوصف «بدوى» ، ونعود إلى دلالاته حين يخلعه الدارس الحديث على اللغة وهو ما يعطينا هنا . فاللغة البدوية لديه هى تلك التى لم تتح لها فرص كافية من التطور من حيث الأصوات والصيغ وتركيب الجمل ، أو التى تمثل مرحلة قديمة من مراحل تطور اللغة الإنسانية ، ومن أوضح أمثلتها لغة الرعاة الرحل الذين عرفوا فى أوروبا باسم Nomads ، ويسمىهم الأوربيون فى بلاد الغرب بالكلمة العربية الأصل ، Bedouins . وقد تبينت للغويين المحدثين بعد دراسات مستفيضة معالم وسمات اللغة البدوية ، وأخرى للغة البدوية ، وأخرى للغة الحضرية ، ولا يتسع المجال هنا إلا لما يتصل بالناحية الصوتية ، بل ومع الإيجاز أيضاً .

فمنذ أن اكتشفت اللغوى الدينمركى «راسك» فى أوائل القرن التاسع عشر ما سماه بالتطور الصوتى بين أفراد المجموعة الجرمانية ، وهو ما عرف بعده بقانون (جرىم) الصوتى ، واللغويون يحاولون تفسير هذه التطورات وبيان السر فيها . وقد دعم (جرىم) اللغوى الألمانى آراء (راسك) ، وجعل بحثه أشمل وأكمل بحيث يشمل كل اللغات الجرمانية ، ويتضمن من الأمثلة والشواهد قدراً كبيراً لم يرد فى بحث معاصره (راسك) ، ولذلك ينسب عادة هذا القانون الصوتى (لجرىم) وحده . ويتلخص هذا القانون الصوتى فى أن استقرار الصور المختلفة للكلمات فى اللغات الجرمانية خلال العصور التاريخية دل على ظاهرتين متميزتين : إحداهما انتقال أصوات شديدة إلى نظائرها الرخوة مثل الـ P أصبحت ثاء ، والكاف أصبحت هاء .

قال (P) فى Paternal التى فى اللاتينية Paternus أصبحت فاء فى الكلمة الأنجلوسكسونية Fatherly ، الثاء فى الكلمة Trinity التى فى اللاتينية Tri-nitas أصبحت ثاء فى الكلمة الأنجلوسكسونية Three ، والكاف فى الكلمة Cen-tury التى فى اللاتينية Centuria أصبحت (هاء) فى الكلمة الأنجلوسكسونية . Hundred

أما الظاهرة الثانية فهى انتقال أصوات مجهورة إلى نظائرها المهموسة ، فالباء أصبحت P ، والدادل أصبحت تاء ، والجحيم غير المعطشة أصبحت كافا . ولاأريد أن أثقل عليكم بذكر أمثلة لهذه الظاهرة الثانية . والمهم هو أن نذكر أن الأصوات فى تطورها على حسب قانون (جريم) قد واجهتنا بقصيتين متميزتين : قضية الانتقال من شدة الصوت إلى رخاوته ، وقضية الانتقال من جهر الصوت إلى همسه .

هذا هو ملخص قانون «جريم» فى التطور الصوتى بين لغات المجموعة الجرمانية ، ذلك القانون الذى يفسر عادة بأن انتقال المجتمع الإنسانى من مرحلة الرعاة الرحل إلى حياة الاستقرار فى المدن هو الذى أدى إما إلى انتقال الأصوات الشديدة إلى نظائرها الرخوة ، أو انتقال الأصوات المجهورة إلى نظائرها المهموسة .

وفى ضوء ما تقدم ، نظرنا إلى لغتنا العربية فرأينا أن حياة العرب قبل الإسلام كانت تتنازعها بيتتان متميزتان : بيئة بدوية بين القبائل الرحل ، وأخرى حضرية فى مدن الحجاز واليمن . وقد اختلفت البيئتان فى كثير من النواحي الصوتية تبعاً لاختلافهما فى بعض العادات ومظاهر السلوك الاجتماعى العام . فالقرآن الكريم يصف لنا الأعراب المتوغلين فى البداوة فى عشر آيات مدنية ، بالنفاق والقيود عن القتال وضعف الإيمان . كما يصف لنا سلوك هؤلاء الأعراب فى آيات أخرى مدنية أيضاً وإن لم ينص عليهم فيها ، ولكن يبدو من أسباب النزول أنها نزلت فى هؤلاء الأعراب حيث كانوا يفدون إلى المدينة ويتصايحون فى الحديث رافعين عقائهم فى جلبة وضوضاء ، مثل ما كان من وفد بنى تميم حين قدموا إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وأخذوا يصيحون : اخرج إلينا يا محمد : فدعاهم الإسلام إلى آدابه السامية فى الخطاب والسلوك ، فيقول سبحانه فى سورة الحجرات (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم . إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم) .

وكان هؤلاء الأعراب يفخرون بجهارة الصوت ، بل بجهارة أى شىء ، فيقول شاعرهم فى مجال الفخر :

جهير الكلام جهير العطاس جهير الرواء جهير النعم

وكان لهذا السلوك العام فى الحديث أثره الواضح فى نطق هؤلاء الأعراب .
تبين لنا هذا فى كثير من الأمثلة التى تنسب إليهم ، فبينما يقول الحجازى
الحضرى «حتى» يقول البدوى «النات» ؛ أى إننا حين نطبق قانون «جريم» على ما
ساد فى شبه الجزيرة فى بيئتها قبل الإسلام من ظواهر النطق ، نجد حقاً أن البيئة
الحضرية الممثلة فى مدن الحجاز كانت بوجه عام تؤثر الصوت المهموس
والصوت الرخو ، فى حين أن البيئة البدوية فى وسط الجزيرة وشرقها كانت تؤثر
النظير المجهور والنظير الشديد .

ونحن نضيف إلى قانون «جريم» ظاهرة أخرى ، لاحظنا فى بعض اللغات
البدائية مثل الدنكا والشيلوك فى جنوب السودان ، هى أن هذه اللغات تتضمن
أبجديتها عدداً كبيراً من الأصوات الشديدة ، وعدداً قليلاً من الأصوات الرخوة ،
أى على عكس لغتنا العربية كما تألفها فى النصوص القرآنية وفى تراثنا الأدبى .
فليس فى الأبجدية العربية إلا ستة أصوات شديدة ، تلك الأصوات التى تتميز بها
لغات البيئات البدائية أو البدوية .

لا جدال إذاً فى أن اللغة العربية التى نشأت ونمت وازدهرت فى المدن
الحجازية قبل الإسلام ثم نزل بها القرآن الكريم ، كانت من حيث الأصوات لغة
حضرية . ولعل مما يؤكد هذه الحقيقة ما لاحظناه أيضاً بصدد قضية اليائية
والواوية ، فقد أصبحنا الآن نطمئن إلى أن الكلمة مع الأصل الواوى وما يتفرع عنه
من ضم وواو مد صورة بدوية ، وأنها مع الأصل اليائى وما يتفرع عنه من كسر
وياء مد صورة حضرية . فبينما كان الحجازى الحضرى يقول : «حيث» يقول
البدوى «حوث» وبينما يقول الحجازى «صيّام» يقول البدوى «صوام» ، وبينما يقرأ
الحجازى «سخرىاً» يقرأ البدوى «شخرياً» ، وبينما يقول الحجازى «الذين» يقول
البدوى «اللذّون» وهكذا . وقد دلت البحوث الصوتية الحديثة على أن الواو وما
يتفرع منها أقرب إلى الطبيعة البدوية ، فى حين أن الياء وما يتفرع منها أقرب
إلى الطبيعة الحضرية .

هذا كله من الناحية الصوتية ، ولما طبقنا المعالم والصفات الأخرى التى
اهتدى إليها اللغويون المحدثون للغة الحضرية من حيث الصيغ وتركيب الجمل
ظهر لنا بوضوح أن اللغة العربية ، حين جاء الإسلام ، كانت لغة حضرية كخير

ما كانت عليه لغة حضرية فى القرن السادس الميلادى من حيث الأصوات والصيغ ونظام الجملة .

لكن مأساة لغتنا إنما كانت على أيدي بعض اللغويين فى القرنين الثانى والثالث من الهجرة حين حاولوا - بحسن نية طبعاً - صبغها بالصبغة البدوية . فقد كانوا يؤمنون إيماناً قوياً بأن الفصحاة العربية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبداوة ، كما لو أن بين رمال الصحراء وأخبية الأعراب ومنتجعات الكلاً وبين الملكة اللسانية عري وثقى ، أو كما لو أن هؤلاء الأعراب قد أرضعوا الفصحاة مع لبن الأمهات ، أى إنهم كانوا يتصورون أن إتقان اللغة مرجعه إلى الوراثة ، ولم يكونوا يدركون كما يدرك اللغوى الحديث أن إتقان أى لغة عملية مكتسبة لا أثر للوراثة أو الجنس فيها . ولم يجد علماء الأمصار مع علمهم وفضلهم أى غضاضة فى الاحتكام إلى الأعرابى الجلف فى مسائل اللغة . وكلنا يذكر تلك المناظرات التى كانت تعقد فى حضرة الأمراء والخلفاء بين هؤلاء العلماء الأجلاء ويحتكم فيها إلى الأعراب الوافدين على الأمصار . فإذا قضى الأعرابى بالأمصار شهوراً انصرفوا عنه وقالوا له : هيهات ، لأن جلدك يا أبا فلان ، أى لم تعد أهلاً لتلقى اللغة عنك . وكان مما افتخر به البصريون على الكوفيين قول أحدهم (إنا نحن البصريين نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، أما أنتم أيها الكوفيون فقد أخذتم اللغة عن أكلة الشوايرز والكوامخ !!) .

ونظرنا فإذا بعالم جليل هو يعقوب بن السكيت فى القرن الثالث الهجرى يحيط نفسه بحاشية من هؤلاء الأعراب تتألف من خمسة عشر أعرابياً ، وبلغ من اعتزازه بصحبته أن نص فى كتابه «إصلاح المنطق» على أسمائهم واحداً واحداً !! وفى رأى أن مثل هذا العدد من المعلمين الأعراب المختلفى القبائل والمناجع يكفى لبلبلة الفكر والذهن حتى مع أنبغ العلماء من أمثال ابن السكيت .

وهنا نتساءل هل نجح علماء الأمصار فى صبغ اللغة العربية بالصبغة البدوية ، والجواب نعم ، ولكن لحسن الحظ فى نطاق ضيق . فسلمت العربية فى معظم ظواهرها من السمات البدوية ، واحتفظت بطابعها الحضرى الذى ساد قبل الإسلام وفى صدر الإسلام من حيث الأصوات والصيغ والتراكيب .

فإذا أردنا أن نضرب مثلاً محدداً لما نجح فيه هؤلاء العلماء ، لم أجد خيراً من مسألة تحقيق الهمزة التى هى بإجماع الآراء من صفات البدو ، فيقول عيسى ابن عمر الثقفى (ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز

إذا اضطروا نبروا) . ونقول له من حقاك أن تفرض على اللغة العربية الحضرية صفة بدوية . ويحضرني هنا ما جاء في اللسان (قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله ، فقال : لا تنبر بأسمى ، أي لا تهمز) . وفي رواية فقال : إنا معشر قريش لا ننبر . والنبر همز الحرف ، ولم تكن قريش تهمز في كلامها . ولما حج المهدى قدم الكسائي يصلي بالمدينة فهمز ، فأنكر أهل المدينة وقالوا تنبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن ؟

وخير ما نستأنس به في هذا الصدد نصوص القرآن الكريم ، إذ تلح علينا موسيقى الفواصل في سورة الرحمن أن نقرأ (كل يوم هو في شأن ، فبأى آلاء ربكما تكذبان) . وكذلك في سورة مريم التي وردت فيها كلمة (شيئا) في رءوس أربع آيات ، وفي كل هذه الآيات لو قرئت الكلمة بالتسهيل أي «شيئا» لكانت أكثر انسجاماً مع الفواصل الأخرى في السورة ، وكذلك كلمة «رثيا» من السورة نفسها . فقد بدأت السورة بفاصلة تمد بمثابة إرهاب للواصل التي تلتها ، فيقول تعالى (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) وجاء بعدها (حفيّا ، شقيّا ، وليّا) من الفواصل الموسيقية ذات الوقع الحسن في الأذان . والتزم هذا في الآيات الإحدى والثلاثين الأولى من السورة ما عدا الآية الثامنة التي تنتهي بكلمة «شيئا» ، ثم استؤنفت الفصلة نفسها عند الآية الأربعين ، وظلت ملتزمة إلى الآية الثالثة والسبعين . فلو قرئت الآيات التي تنتهي بكلمة «رثيا» بالتسهيل ، لكانت القراءة أقرب إلى الترتيل الموسيقي .

ومن يمن الطالع أن يروى لنا أن بعض القراء السبعة مثل أبي عمرو ابن العلاء قد قرأ (كل يوم هو في شأن) ومعه أيضاً قارئ المدينة أبو جعفر . كذلك يروى أن أبا جعفر قرأ كلمة «شيئا» في سورة مريم بالتسهيل ، ويشاركه في هذا قالون وابن ذكوان (١) . أما كلمة «رثيا» فقد قرأها بالتسهيل نافع وابن عامر وهما من القراء من السبعة .

وهكذا نرى أن اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم والتي اصطعنت في تراثه الأدبي قبل الإسلام كانت تؤثر تسهيل الهمز ، وهو صبغة حضرية ، وأن اللغويين بعد الإسلام قد فرضوا عليها تحقيق الهمز مؤثرين هنا الأداء البدوي ، فشاع بيننا الآن أن تحقيق الهمز هو الأفصح .

أما بعد : فإني أدعو الله مخلصاً أن يوفق مجمعنا الموقر إلى العمل على أن تستكمل هذه اللغة العريقة الحضارة ، أسباب الحضارة في العصر الحديث .

(١) قالون هو راوي نافع ، وابن ذكوان هو راوي ابن عامر .

الفصل الثامن

اللهجات الحديثة

تحدثنا فى مقدمة هذا الكتاب عن أهمية اللهجات الحديثة ، فى دراسة اللهجات القديمة . وهنا سنعرض طرفاً من خصائص اللهجات المصرية ، ولا سيما اللهجة النموذجية فيها ، وهى اللهجة القاهرية ، موضحين بعض ما احتفظت به هذه اللهجات الحديثة من صفات قديمة ، وما ظهر فيها من صفات خاصة ، نمت واستقلت مع الزمن . وسنقتصر فى هذه الإشارة العابرة على بعض التطورات الصوتية فى هذه اللهجة ، وعلى تطور معانى بعض الكلمات . ولسنا نطمع من هذا الفصل إلا فى أن نوضح ما يمكن أن تكشف عنه دراسة اللهجات الحديثة ، فلفل فى مراحل تطورها ما يلقي ضوءاً على ما غمض من تطورات اللهجات القديمة وحصائصها .

- ١ -

الناحية الصوتية

(١) فقدت معظم اللهجات المصرية بعض الأصوات العربية القديمة ، أمثال: التاء ، والذال ، والظاء ، والقاف ، واستبدلت بها على الترتيب : التاء ، والذال ، والضاد ، والهمزة أو الجيم . وقد اطرء هذا إطراداً يدعو إلى الدهشة فى كل كلمات . والذى يلحظ فى هذا التغير بصفة عامة ، هو الانتقال ببعض الأصوات الرخوة القليلة الشبوع فى اللغة الفصيحة ، إلى نظائرها من أصوات الشدة .

(ب) مالت الأصوات المطبقة إلى الاستفال فى لغة الكلام المصرية فى معظم الأحيان ؛ إذ نلحظ أن المصريين بصفة عامة ، ينطقون الضاد سيناً ، والطاء تاء ، والضاد دالا ، والطاء زايأ مفخمة ، وهكذا مثل :

صقع : «سكع فلاناً قلمأ،

(غضر عنه) أى انصرف : «غدر على البيعة،

«لدعة قلمأ، : ربما جاءت من اللطع بمعنى الضرب . «مدغ، : مضغ .

والذى نتصوره بصدد هاتين الظاهرتين ، أنهما من التطورات الحديثة التى تمت بعد انتشار اللغة العربية فى بيئات مختلفة نائية ؛ أو ربما تم بعضها فى العصور الإسلامية الأولى .

على أننا نترك البحث فى علة هذا التطور لدراسة أوفى فى اللهجة المصرية، ونكتفى هنا باستعراض بعض تلك التطورات التى تمت فى العصور المتأخرة ، والتى كونت صفات خاصة باللهجة المصرية ، تميزها عن غيرها من اللهجات الحديثة ، وتلك هى الصفات التى تكونت بعد مرور أجيال كثيرة على اللغة العربية فى البيئة المصرية ، وحين أصبح للبيئة المصرية كيان مستقل ، فقد جاء زمن على لهجة الكلام بمصر ، وتركت فيه دون نظر فيها أو عناية بها ، يتحدث بها الناس فى حديثهم العادى ، وفى خطابهم العام ، دون تدوين لها أو تسجيل لما يعرض لها من تغير أو تطور .

وقد صرفت اللغة الفصحى أنظار الناس عن لغة كلامهم ، فلم يعنوا بما عرض لها من تطور مع الزمن ، ولهذا اتخذت فى الأفواه أشكالا وصوراً تباينت باختلاف الأجيال والعصور . والناس لا يشعرون ولا يلحظون تلك الفروق ، وإنما وجهوا كل عنايتهم إلى لغة الكتابة وهى اللغة الفصحى، فإذا انحرف الطفل فى الكلام بلهجة أبيه ، لم يجد من يعنى بتصحيح هذا الانحراف ، والإبقاء على صورة معينة فى الكلام . فأخذت اللهجة مجراها الطبيعى ، وتغيرت جيلا بعد جيل ، وقد أدى كل هذا إلى ما نلاحظه من فروق خطيرة بين لهجة الكلام واللغة الفصحى . واتسع لهذا ، البون بين لهجة الحديث ، وبين لغة الكتابة ، مما لا نظير فى أية لغة من لغات العالم . فلم تجد اللهجة المصرية رقيباً عليها أو حسيباً ، فانسابت خفية عن الأنظار تتغير فى أفواه الناس ، دون أن يلفت هذا نظر أحد ، وقد ساعد هذا التطور الخطير أنها لم تكتب ولم تسجل؛ لأن الكتابة فى بعض الأحيان من عوامل استقرار اللغات ، ومنعها من أن تقع نهياً لعوامل التطور اللغوى ، تفعل بها ما تشاء ، وهذا هو السر فيما نلاحظه من أن التغيرات فى اللهجة المصرية ، يمكن أن تعزى فى غالب الأحيان إلى أخطاء كلامية بين الناشئين ، تركت دون إصلاح ، أو لفت نظر ، فتراكمت وبعدت عن الأصل ، بحيث أصبح من العسير إرجاعها إلى ذلك الأصل إلا بجهد ومشقة .

فنحن الآن ننكر كثيراً من كلمات اللهجة المصرية ، غير مدركين أن لها أصلاً عربياً صحيحاً ، وأنها تطورت فى الأفواه دون عناية بإصلاحها من بادئ

الأمر . إذا اتجهت كل العناية إلى لغة الكتابة ، وكان المشتغلون بها قليلين جداً ، وتركزت الكتلة الغالبة من الناس يتخبطون فى حديثهم ، فتنقل الكلمات من صورة إلى أخرى دون أن تستقر على حال ، كل ينطق كما يهوى ، ويقيس مالم يعرف على ما عرف ، وتتوارث الأجيال أخطاء من سبقوهم .

فانظر مثلاً إلى كلمة «التغ» التى تطورت فيها التاء أولاً إلى «تاء» كمعظم التاءات وصارت «ألتغ» فى عصر من العصور ، وأخيراً جهر بهذه التاء فأصبحت دالا ، وصارت الكلمة على الصورة التى نألفها الآن وهى «ألدغ» .

نشير بعد هذا إلى الأهم الاتجاهات الصوتية فى لهجة الكلام المصرى ، فنلخصها فى العناصر الآتية :

(١) الميل إلى همس كثير من الأصوات ، وهو أمر طبيعى فى بيئة مستقرة كالبيئة المصرية ذات الحضارة منذ القدم .

فانظر مثلاً إلى كلمة مثل «اتكرع» ، التى لا نشك فى أنها انحدرت من «تجرع» بعد أن همست الجيم فأصبحت كافاً . ومثل «دهس» التى أصلها من «الدعس» وهو شدة الوطء . ومثل «شحت» التى أصلها من «شحت» فمرت فى مرحلتين قبل أن تصل إلى الصورة التى نعهدا ؛ إذ قلبت أولاً الذال ككل الذالات إلى دال ، وأتى عليها عهد فى لهجة الكلام كانت «شحد» ثم همست الدال فأصبحت «تاء» . ومثل «نكش» التى نرجح أنها من «نجش» الصيد أو كل شىء مخبوء بمعنى استناره .

وهكذا نجد كلمات كثيرة قد همست بعض أصواتها فى لهجة الكلام ، على أننا فى القليل من الأحيان نلاحظ فى اللهجة المصرية عكس هذه الظاهرة مثل «اتعتع» التى هى من «التحتة» بمعنى الحركة ، ومثل «غفير» التى هى فى الأصل «خفير» ، وفى هذه الكلمات نجد اللهجة المصرية قد جهرت ببعض الأصوات المهموسة فى الكلمات العربية الفصيحة ، ويظهر أن النوع الأخير من التطور قد جاء إلى اللهجة المصرية مع بعض النازحين إليها من البدو الذين يميلون إلى جهر الأصوات ، أو أن بعض الطبقات من الناس فى مصر كانوا أميل إلى صفات البداوة وإلى البعد عن الحضارة كأوساط العوام فى المدن ورعاها .

(ب) أخطاء تبدأ مع الأطفال والناشئين ، ثم تنمو بينهم وتكون جزءاً من لهجاتهم وهم كبار ، ثم يورثونها من بعدهم . وربما كان هذا العنصر أوضح

العناصر في تطور الكلمات وأصواتها في اللهجة المصرية (١) :

١- فهناك كلمات قلبت فيها الباء ميما مثل «تبختر» ، أصبحت في لهجة الكلام «اتمختر» ، وهناك العكس من هذا مثل «متاع» صارت تلك الكلمة الشائعة «بتاع» ، ومثل «حملق» صارت «بحلق» مع تغيير في ترتيب الأصوات ، ومثل «خمش» التي جاءت منها «خريش» بعد زيادة الراء .

وهناك كلمات قلبت فيها «الفاء» إلى «باء» في لهجة الكلام ، مثل «سقط» التي صارت «سبت» ، ومثل «قف شعره» نقولها الآن في الكلام «قب شعره» ، ومثل «فرطش» التي تستعمل في الفصحى بمعنى «فرطش الجمل» أي تفجع للبول ، صارت في لهجة الكلام «برطش» .

٢- من بين الأخطاء التي قد تعرض للناشئين ، تغير في ترتيب أصوات الكلمات ، وهو ما وقع بين العربية الفصحى ولهجة الكلام المصرية ، مثل :

بحلق : حملق . «بعزأ» : جاءت من تزعيق (٢) الشيء من يدى تبذر وتفرق . «الزعل» جاءت من العلز بمعنى الضجر . ومثل «فقص» : التي انحدرت من فصع الرطبة إذا أخذها بأصبعه فعصرها حتى تنقشر . ومثل «أهبل» : أهله . جنزيبيل : زنجبيل . جوز : زوج . خفس : خسف .

٣- كذلك يميل الأطفال في نطقهم إلى تكرار المقاطع أو الأصوات ، وقد أدى هذا إلى أن جاءت الكلمة المولدة «التشويش» من «التهويش» (٣) . وجاء الفعل «جرجر» من جر .

٤- وكذلك قد يخطئ الطفل في تقسيم العبارة إلى أجزائها الصحيحة ، ويحدث هذا عادة في العبارات الكثيرة الشيع . وقد لوحظ هذا في لهجات كثيرة من لهجات اللغات الأوربية . ويمكن أن نعزو لهذا الخلط في تقسيم العبارة ، ما جاءتنا به لهجة كلامنا من أمثال الفعل «جاب» ، الذي لا نشك في أنه انحدر عن الاستعمال الصحيح «جاء بكذا» ، فخيّل للطفل أن «الباء» جزء من الفعل «جاء» ،

(١) انظر كتاب الأصوات الغوية ص ١٤٥ .

(٢) هذا ما جاء في لسان العرب . أما الفيروزآبادي فيذكر [يعرق الشيء زعيقه] ثم بعد ذلك في

الياب نفسه يقول [زعيق القوم والشيء فرقه ويده كبعزقه] .

(٣) جاء في القاموس المحبط [والتشويش والمشوش والتشوش كلها لحن ووالجوهري والصواب التهويش] .

ولا سيما أنه كان ينطق به فى لهجة الكلام بغير الهمزة . ومثل «عقبال» التى لانشك فى أنها من الاستعمال «عقبى لكم» ، فالتبس الأمر على السامع وجعل «اللام» فى «لكم» جزءاً تنتهى به الكلمة «عقبى» ، وبهذا أخرج لنا «عقبال» .

٥- هذا وقد يصعب صوت «الراء» على كثير من الأطفال ، فيقلبونها إلى «اللام» فى كثير من الأحيان . وقد ترتب على هذا وجود كلمات عربية صحيحة متحدة المعنى رويت مرة «بالراء» وأخرى «باللام» .

وقد حدث مثل هذا فى لهجة الكلام المصرية ، إذ تطورت فيها بعض الكلمات العربية الصحيحة التى اشتملت على «الراء» مثل :
«الخدر» بمعنى الشلل أو نوع منه ، نسمعها الآن فى لهجة الكلام «خدل
وخدلان» .

ومثل «سرط» اللقمة بمعنى ابتلعها ، أصبحت الآن فى لهجتنا «زلط» ، بعد أن قلبت «الراء» «لاماً» وجهر «بالسين» فأصبحت «زايأ» .
ومثل «رھط الطعام» صارت فى لهجة كلامنا «لهط» .

ومثل «دحرج» التى تطورت فى اللهجات القديمة إلى «دعرج» ، بأن جهر «بالحاء» فأصبحت «عيناً» وبأن قلبت «الراء» «لاماً» ، وهكذا رويت لنا الكلمتان فى المعاجم العربية على أنهما صحيحتان ، ثم تطورت الأخيرة منهما فى لهجة كلامنا إلى «دألج» .

٦- وقد يخطئ الطفل فى قياسه ، وهنا يولد لنا كلمات كثيرة بعيدة عن الصواب فأحياناً يشتق وزناً للصفات ، لا وجود له فى الفصحى مثل «دبلان» بدلا من «ذابل» ، ومثل «مرشوم» بدلا من «مرشم» التى هى من أرشم الشجر أى ظهر ثمره ، ومثل «غرقان» بدلا من «غريق» ، ومثل «رجل لطخ» بدلا من «اللطخ» وهو القدر الأكل ، ومثل «حقوق» بدلا من «حاذق» .

وليس هذا بغريب لأننا قد نسمع بعض أطفالنا يقولون «البلحة الأحمر» بدلا من «حمراء» .

٧- كذلك قد يخلط الناشئون بين الجمع والمفرد فيستعملون بعض الجموع ، التى جاءت صيغتها شبيهة بصيغة المفرد على أنها مفردات مثل :

برام . حق . كراس . زناد

فهذه كلها جموع في اللغة الفصحى ، ولكنها تستعمل في لهجة الكلام مفردات ، أما مفرداتها الصحيحة فقد أهملت وهي على الترتيب :

برمة . حقة . كراسة . زند

ومما يمكن أن يعزى إلى القياس الخاطئ اختلاف الحركات في بنية الكلمة بين لهجة الكلام واللغة الفصحى .

فنحن الآن نسمع الكلمات الآتية مفتوحة الأول في لهجة كلامنا ، وذلك لأن بعضها قد قيس على البعض الآخر :

خرطوم : شمروخ . طرطور . أزميل . برميل . بطيخ . خنزير . قنديل . كبريت . منديل . مسطرة . مروحة . مدخنة .

وكذلك نسمع كلمات مضمومة الأول مثل :

خلخال . قبقاب . غريال

وأخرى مكسورة الأول وهي كثيرة جداً مثل :

جبة . حلبة . عجة . علبة . حزمة . حلم . عش . دهن . فجل . دلو .

وربما يسبب الانسجام بين الحركات أن يكسر الحرف الأول من بعض الكلمات مثل :

جميز . زيب . كبير . جديد

٨- لعبت ظاهرة المخالفة Dissimilation في لهجة كلامنا دوراً هاماً ، كما ظهر أثرها في اللغة الفصحى (١) . فقد تخلص الناس من إدغام المتماثلين بقلب أحدهما إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين وهي الميم واللام والنون والراء وربما العين أيضاً ، وتلك هي الأصوات التي سماها القدماء بالأصوات المتوسطة . فانظر مثلاً إلى الفعل الفصيح «برق بصره» أصبح في لهجة كلامنا «برنأ» . وكذلك الفعل «تفحص» الذي يعنى تكبر وتعظم ، صار في لهجة الكلام «تفحنص» ، وكذلك الفعل «كبل» صار «كعبل» .

وربما زيدت هذه الأصوات على بنية الكلمات للمبالغة في معناها مثل : «شرمط الورق» التي جاءت من الفعل الفصيح «شرط» . ومثل «طلمس الكتابة»

(١) انظر كتاب الأصوات اللغوية.

جاءت عن «طلس» الكتاب محاه ليفسد خطه . ومثل «غطرش» التي تعنى فى لهجة الكلام تجاهل ، قد جاءت من «الغطش» وهو ضعف البصر . ومثل «خرشم» التي جاءت من «خشم» الأنف أى كسره .

٩- هذا وقد شاع فى لهجة كلامنا تلك الأفعال الرباعية التي تشتمل على مقاطع متكررة ، فى حين أن بعض الصيغ القديمة للأفعال قد تلاشت ، ولم تعد تسمع فى لهجة الكلام المصرية :

فصيغة «أفعل» لا نكاد نعثّر عليها فى لهجة الكلام ، بل حلّ محلها صيغة «فعل» أحياناً أو صيغة الرباعى المكررة الأصوات . فانظر مثلاً إلى الأفعال العربية الصحيحة : «ألم» الرجل بالمكان أى أقام ولم يبرحه ، و «أرشم» الشجر أى أخرج ثمره ، و «أسبط» الرجل أى انبسط على الأرض ، و «أنعشه» الشراب .

فقد صارت هذه الأفعال فى لهجة الكلام على الترتيب :

تلحم . اترشم . سلبط . نعنش

وكما أثرت العوامل المتقدمة فى التغيرات الصوتية للهجة الكلام ، قد أثرت أيضاً فى اللهجات العربية القديمة ؛ مما أدى إلى رواية كثير من الكلمات الفصيحة مرة «بالميم» وأخرى «بالباء» ، أو مرة «بالراء» وأخرى «باللام» ، أو مرة بالأصوات المجهورة وأخرى بهموسها ، أو مرة بأصوات الإطباق وأخرى بنظائرها من أصوات الاستفال . كذلك روت المعاجم كلمات متحدة المعنى والأصوات ، ولكن ترتيب الأصوات فيها مختلف . وكذلك رويت لنا كلمات يجوز فتح أولها وكسره أو فتحه وضمه ، بل أحياناً تنص المعاجم على التثليث فى مثل تلك الكلمات وهكذا .

فما حدث من تطور صوتى فى لهجة كلامنا ، حدث مثله فى اللغة الفصحى فى معظم الأحيان ، ولكن الكلمات قد تشقى وتسعد كالإنسان !

فتلك التطورات الصوتية التي تمت فى العصور التي سماها الرواة بعصور الاحتجاج ، قد اعترف بها ، وأقرتها المعاجم ، وعدتها من الكلمات الفصيحة ، فى حين أنها رفضت التطور الصوتى نفسه فى العصور التي تلت هذا ، وذلك رغبة فى الوقوف باللغة العربية عند حدود العصور الأولى للإسلام ، وظناً منهم أن التطورات الصوتية القديمة كانت من فعل الأعراب الفصحاء أصحاب اللغة ، ولم يدر بخلاصهم أنه تطور طبيعى للأصوات ، سواء حدث فى العصور القديمة أم الحديثة ، وأن الأعراب القدماء لم يعمدوا إليه عمداً ، أو قصدوه فى كلامهم وهم

يشعرون به . ولو قدر لتلك الكلمات العامية التي ذكرناها هنا أن يتقدم بها الزمن وأن يتم تطورها الصوتي فيما سموه عصور الاحتجاج ، لاستحقت من الرواة كل عناية ، ولرووها في معاجمهم ، وأصبحت فصيحة مقبولة .

على أن كلامنا قد اختصت ببعض التطورات الصوتية التي لا نعرف لها نظائر في تطورات اللهجات القديمة ، مثل عنايتها بتلك الأفعال الرباعية المتكررة المقاطع . فقد ملئت بها لهجة كلامنا ، واتخذت في أفواهنا طريقاً خاصة ، لانظير لها في غيرها من اللهجات العربية القديمة .

وتلك الأفعال تتكون من مقطعين ساكنين (١) ، ونلاحظ أن المقطع الأول منهما حركته الفتحة دائماً ، في حين أن المقطع الثاني تتوقف حركته على الأصوات المجاورة : فأحياناً نراها الفتحة وذلك إذا جاوره أحد الأصوات الآتية :

الظاء . الصاد . الضاد . الطاء . الراء . الغين . الخاء . الحاء . العين .

في حين أنا نراه مكسوراً مع باقى الأصوات الهجائية .

ولهذه الأفعال الرباعية أشكال عدة في لهجة كلامنا :

(١) فأحياناً يكون المقطعان متماثلين الأصوات مثل :

جرجر . نكتك . بحبح . بربر . بصبص . بسبس . تفتح . تفتف . تثلث .
تمتم . تنتن . تحت . رجر . رخرخ . رصرص . رطرط . رعرع . رمرم .
زحزح . زعزع . زغزغ . ززل . زمزم . سخسخ . سلسل . سمس . ششب .
شرشر . شمش . ضحضح . طبطب . عضعض . ففتف . ففل .
كشكش . لالح . لخلخ . لفل . لملم . مصمص . مضعض . نخنخ . ننس .
نغنغ . وسوس . وشوش .

(٢) وأحياناً يتكرر صوت واحد من أصوات الكلمة ، بحيث إما أن يكون

الصوت الأول والثالث متماثلين ، مثل :

بريش . جنجل . رهط . سمسر . زمزأ . كركب . مخمض . مرط .
مسمر . مرمغ . نعنش .

أو بأن يكون الصوت الثالث والرابع متماثلين :

بقشش . دغشش . زقطط . عكنن .

(١) انظر معنى المقطع الساكن والمقطع المتحرك في كتاب الأصوات اللغوية.

(٣) وأحياناً يتكون الفعل الرباعي من أصوات مختلفة ، ولكن أحد هذه الأصوات يكون في غالب الأحيان من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين ، مثل :

برتع . بريأ . طرشق . حمراً . خريش . درمع . سلطح . سمكر . شلفط .
زنهر . زمجر . زروط . عريد . عرقص . هرول . مرجح . بعزأ . بهدل . بزوط .
بحلق . طلسق . شعبط . شعلق . شقلب . شعوط . غتلم . فشخر . فشكل . لخبط .
لخفن . لغمط . نغيش .

- ٢ -

الناحية الدلالية

أشرنا عند التحدث عن الترادف إلى تطور الدلالة ووقوعه في اللهجات القديمة ؛ مما أدى إلى تلك الظاهرة التي نسميها بالترادف .

وربما كان خير مثل نسوقه هنا لنبيين إمكان تطور المعاني في كل لهجة ، ما حدث لكلمات كثيرة عربية الأصل ، وذات معان خاصة في اللغة الفصحى ، من تطور معانيها بلهجة كلامنا ؛ فهي أمثلة حية ترينا كيف اختلفت معانيها بفعل تلك العوامل التي تحدثنا عنها آنفاً .

وقد يصعب علينا إدراك تطور المعاني في اللهجات القديمة ، لبعد العهد بيننا وبين الزمن الذي تم فيه هذا التطور ، ولجهلنا التام بتاريخ الكلمات العربية قبل الإسلام ، ولكننا حين نتتبع معاني كثير من الكلمات العربية الأصل ، ونقارنها بما صارت إليه في لهجة كلامنا ، نستطيع بسهولة ، أن ندرك كيف يمكن أن يتطور معنى الكلمة ويتغير .

ونحن عادة نرفض المعاني الحديثة ونسميها مولدة ، وننكر عليها فصاحتها ، لا لسبب سوى أن الزمن قد تأخر بهذا التطور ، فجاء بعد ما سماه الرواة تعصور الاحتجاج .

ولولا أننا نتقيد بالمعاني القديمة ، ونقف عندها لا نعترف بأي تغيير يلحق معناها ، لقبلنا المعاني المولدة ، وعدت من صميم الكلام الفصيح ، إذ ليست في الحقيقة بدعاً في التطور اللغوي ، ولكن كل ما فيها من عيب في نظر الرواة ، أنها جاءت إلى المعاني المولدة شزراً ، ونتحاشاها في أساليبنا الجديدة . بل لقد أبقت بعض الكلمات العربية على معانيها القديمة واحتفظت بها ، ومع هذا فقد تحاشاها الأدباء ونسبوا إليها صفة العامية ، فأصبحت مبتذلة مثل : «خش» بمعنى دخل ، ومثل «مقشة» بمعنى مكنسة !!

وقد اتخذت بعض الكلمات المولدة طريق التخصص في معانيها مثل : «باش» التي كانت تعنى اختلط ، فأصبحت الآن في لهجة كلامنا تعنى

اختلاط بعض المواد بالسوائل . ومثل «بطحه» التي كانت تعنى ألقاه على وجهه ، وتستعمل الآن مرادفة للكلمة العامية «عور» ، لأن من مستلزمات البطح في غالب الأحيان «التعوير» . ومثل «حوش» التي كانت تعنى جمع مطلقاً ، فتخصصت في لهجة كلامنا بجمع المال . ومثل «لحاف» التي تخصصت الآن بنوع خاص مم يلتحف به ، ومثل «ربيع» التي تخصصت الآن بنوع خاص من الدور .

ولقد لعب المجاز دوراً مهماً في تطور المعاني لبعض الكلمات العامية مثل :

«الهمج» التي كانت تعنى البعوض ، فأصبحت الآن تعنى في لهجة كلامنا الفوضويين من الناس . ومثل «جيب القميص» التي كانت تعنى فتحة القميص ، فأصبحت تستعمل الآن في المعنى المعروف المرادف للكلمة العامية «سيالة» . ومثل «رصرص» التي كانت تعنى ثبت بالمكان فاستعملت بعد ذلك للشعور بالبرد . ومثل «سفرة» التي كانت تعنى طعام المسافر فأصبحت الآن مرادفة للخزان . ومثل «شنب» التي كانت تعنى بريق الأسنان ، أصبحت الآن مرادفة للشارب ومثل «باخ» التي كانت تستعمل في مثل «باخ الرجل» أى سكن غضبه و «باخت النار» أى سكنت ، فأصبحت تقال حين يشعر الإنسان بالخجل والخزي ... إلخ .

إلى غير ذلك من الكلمات التي لا تكاد تقع تحت حصر .

تلك هي أمثلة قليلة أردنا أن نسوقها لنحفز الهمم إلى الكشف عما قد يكون في لهجات الكلام من طرائف لاشك أنها ستلقى ضوءاً على دراسة اللهجات القديمة وتجعل حكمنا عليها أقرب إلى اليقين .

كلمة ختامية

كلما زادت دراستنا للهجات العربية الحديثة تكشفت لنا أمور ، وأيقنا أن لهجات الكلام في البلاد العربية لا تزال تحتفظ بعناصر قديمة كانت شائعة في لهجات العرب قبل الإسلام . فاللهجات الحديثة وإن كانت قد تطورت في البيئات العربية المختلفة تطوراً مستقلاً باعد بينها ، وصبغها بصبغة محلية في بعض ظواهرها ، قد استمسكت بكثير من السمات التي عرفت عن القبائل القديمة .

فالصفة الكلامية التي نراها الآن مشتركة بين جميع البيئات العربية الحديثة ، أو حتى بين معظمها ، لا يمكن إلا أن تنتمي إلى لهجة قديمة أو مجموعة من اللهجات . انظر مثلاً إلى اسم لإشارة للجمع تراه قد اتخذ صورة تكاد تكون واحدة في جميع اللهجات الحديثة ، وهذه الصورة لا تمت بصلة إلى اسم

الإشارة المؤلف فى اللغة النموذجية أى «هؤلاء أو أولئك»

فإذا قارنا بين اسم الإشارة «هؤلاء» وهو الشائع فى الأساليب الأدبية ، وبين الصورة التى صار عليها اسم الإشارة فى لهجات الكلام الحديثة ، لا نكاد ندرك الصلة بين الصورتين . فكل منهما مستقل عن الآخر ، وليس أحدهما تطوراً للآخر ، بل يبدو أنهما صيغتان مستقلتان عاشتا جنباً إلى جنب فى عصور ما قبل الإسلام ، وقد شاعت إحدهما فى المجال الجدى من القول وشاعت الأخرى فى لهجات الخطاب .

والغريب أن أصحاب المعاجم على كثرة ما ذكروه عن اللهجات لم يسيروا إلى هذه الصيغة التى نسمعها الآن على كل لسان ، وكذلك النحاة لم يعرضوا لها فى المطولات من كتبهم ، فلم يقل أحدهم مثلاً إن لاسم الإشارة الجمع صيغة أخرى ، أو صورة أخرى غير التى نألفها ونعدها .

ومع هذا لا نشك لحظة فى أن اسم الإشارة الجمع الشائع الآن فى اللهجات الحديثة قد انحدر إليها من مصدر قديم ، فليس الاشتراك فيه بين البلاد العربية وليد المصادفة ، بل الأرجح أنها جميعاً قد استمدته من اللهجات القديمة التى نزلت إليها .

وإذا تذكرنا أن حرف «الذال» القديم قد تطور فى بعض اللهجات الحديثة إلى نظيره الشديد وهو «الدال» ، وأن الضم يناظر الكسر فى اللهجات القديمة ، استطعنا بسهولة أن نتبين العلاقة بين الصور التى صار عليها اسم الإشارة الجمع فى لهجات الخطاب الآن :

ففى شرق الأردن «هاذول» ، وفى العراق «ذول» ، وفى بلاد الشام «هاذول» ، فى مصر «دول» ، وفى بلاد المغرب «هاذول» ، وفى السودان «ديل» ، وفى نجد «ذولا» ، وفى صنعاء «هاذول» !!

بدأ اسم الإشارة بالمقطع «هـ» حين يتقدم على المشار إليه ، كما فى لهجات الشام وبلاد المغرب وبعض جهات اليمن .

ويظهر من هذا العرض السريع أن الأصل فى اسم الإشارة الجمع هو الصيغة ، التى نسمعها الآن فى بعض جهات اليمن أى «هاذول» ، وقد انحرف هذا الأصل انحرافاً طفيفاً فى لهجات الكلام الأخرى .

فمن أين أتت لهجات الكلام بهذه الصيغة التى لم تشر إليها المعاجم أو كتب

النحاة ، وكيف اشتركت بينها جميعاً رغم اختلاف البيئة ، واختلاف الظروف الاجتماعية ؟

إن الباحث المنصف لا يتردد في جعل هذه الصيغة إحدى الظواهر ، التي كانت شائعة في لهجات القدماء ، وأنها انحدرت إلى اللهجات الحديثة من اللهجات القديمة .

كان للعرب القدماء إذًا كلمتان إحداهما «هؤلاء» ، والأخرى «هاذول» ، وكانوا يقصرون استعمال الأولى على الأساليب الأدبية ، ويتخذون الأخرى للهجات الخطاب .

وأسماء الإشارة كما ذكرنا آنفاً من العناصر العصرية على التطور والتغير ، ولذلك بقيت الصورة القديمة التي كانت شائعة في لهجات الخطاب ، شائعة أيضاً في لهجات الكلام الآن بالبلاد العربية .

ويبدو من هذا المثال ونحوه من عناصر مشتركة بين لهجات الكلام الآن ، صحة ما رجحناه من قبل وما ندعو إليه دائماً من أنه كان للعرب القدماء لغتان مستقلتان ، يصطنعون إحداهما في الأساليب الأدبية ، ويصطنعون الأخرى في الحديث العادي ، وإلا فكيف نتصور أن اسم الموصول يتخذ الآن في كل البلاد العربية صورة واحدة هي «اللي» ، بدلاً مما نألفه في اللغة النموذجية الأدبية من كلمات متعددة مثل :

الذي ، التي ، الذين ، اللاتي ، اللاتي

بل حتى ما نظنه أحياناً من التطورات الحديثة ، نراه بعد البحث مشتركاً بين كثير من لهجات الخطاب الآن ، ونستطيع بعد التأمل أن ننسبه إلى أصل قديم ، كان شائعاً في بعض لهجات العرب القدماء مثل :

١ - التعبير عن الزمن الحالي أو عن العادة بفعل مضارع متصل بالباء في غالب الأحيان ، أو بالذال أو القاف أو العين في أحيان أخرى . والأصل في كل من الأمرين لا يعدو أن كلمة مساعدة كان العرب يصلونها بالفعل المضارع ، حين يريدون التعبير عن الزمن الحالي أو العادة ، وكان هذا شائعاً في لهجات كلامهم وفي حديث خطابهم . وانحدرت هذه الظاهرة إلى لهجات كلامنا الآن فأصبح :

المصري ، وأهل الشام ، وشرق الأردن ، والسوداني ، وأهل مكة ، وبعض جهات اليمن ، يقولون مثلاً ، بيلعب ، بيجنّي ... إلخ .

ولسنا نشك فى أن هذه «الباء» هى كل ما تبقى من الكلمة المساعدة ، التى كان العربى القديم فى لهجة خطابه يصلها بالمضارع ؛ للتعبير عن الزمن الحالى أو عن العادة . ويفترض بعض المحدثين لهذا اللفظ المساعدة عدة فروض منها :

باقى ، ذاهب ، بدى .. إلخ .

وتتخذ لهجات العراق الحرف الذى يتصل بالفعل المضارع من كلمة أخرى هى فى الغالب «قاعده» ، وقد اختصرت هذه الكلمة فى لهجة بغداد ، ولم يبق منها إلا الدال ، فهم يقولون : دا يلعب ، دا يغنى .

وقيل لنا إن اليهود بصفة خاصة قد سلكوا مع هذه الكلمة نفسها مسلكاً آخر ، فأبقوا منها على القاف ، فيقولون : قايلعب ، قا يغنى .

٢- والنفى مع الشين فى نحو «ماتخفش ، ماجاش» ، نراه فى مصر وفى بلاد الشام وفى بلاد اليمن وفى شرق الأردن ، وجهات أخرى من الدول العربية الحديثة ، مما يرجع أنه ظاهرة قديمة ، كانت مألوفاً فى بعض اللهجات العربية القديمة ، وأنها انحدرت إلى لهجات كلامنا من تلك القبائل القديمة .

٣- وأخيراً وليس آخراً ، كيف تسنى أن يكون موقف اللهجات الحديثة جميعها متحداً فى سلوكها مع المثنى والجمع والمذكر السالم والأسماء الخمسة ؟!

فليس فى هذه اللهجات من مظاهر المثنى إلا الاسم المثنى مثل : «كتابين ورجلين» ، وفيها جميعاً يلتزم الجمع المذكر الصحيح حالة واحدة هى بالياء دائماً مثل : «مسلمين ومظلومين» ، وتلتزم الأسماء الخمسة حالة واحدة هى بالواو ، مثل : «أبوك وأخوك» .

أليس من الممكن أن يقوم مثل هذا دليلاً على أن القبائل القديمة كانت تسلك هذا المسلك أيضاً فى لهجات خطابها ؟

ولنا من كلام النحاة ما يؤكد هذا الرأى ، فقد أشاروا فى كتبهم إلى أن من العرب من كانوا يلتزمون حالة واحدة لكل من الجمع والأسماء الخمسة .

لسنا بعد كل هذا نتجنى على اللغة حين ندعو إلى الفصل بين ظواهر اللهجات وظواهر اللغة النموذجية الأدبية ، وإلى اعتبار ما اشترك فى لهجات الكلام الآن مما ينتمى إلى ظواهر قديمة ، شاعت فى لهجات الحديث عند العرب القدماء .

ملاحق

نصوص عن اللهجات العربية القديمة
(مستمدة من معجم لسان العرب)

الجزء الأول

١ - ومنها همزة الوقفة فى آخر الفعل لغة لبعض دون بعض ، نحو قولهم للمرأة قولى ، وللرجلين قولاً وللجميع قولو ، وإذا وصلوا الكلام لم يهمزوا . ويهمزون ، لا ، إذا وقفوا عليها . ومنها همزة التوهم كما روى الفراء عن بعض العرب أنهم يهمزون ما لا همز فيه إذا ضارع المهموز ، قال سمعت امرأة من غنى تقول رثأت زوجى بأبيات كأنها لما سمعت رثأت اللبن ذهبت إلى أن مرثية الميت منها . (ص ١٠) .

قال أبو العباس أحمد بن فيمن همز ما ليس بهمهموز :
وكننتُ أَرْجَى بئرُ نَعْمَانٍ حائِراً فلوأُ بالعَيْنين والأَنْف حائِراً
أراد لوى فهمز ، كما قال [كمشترى بالحمد ما لا يصيره] قال أبو العباس هذه لغة من يهمز ما ليس بهمهموز (ص ١١) .

٢ - قال أبو زيد وسمعت بعض بنى فزارة يقول : هما كِسَايَان ، خِبَايَان ، قِصَايَان فيحول الواو ياء . (ص ١٣) .

٣ - قال وسمعت أعرابياً من قيس يقول : يا أَب أَقْبِلْ ، وياب أَقْبِلْ ، ويا أَبْ أَقْبِلْ ، ويا بْ أَقْبِلْ ، ويا بْ أَقْبِلْ فألغى الهمزة . (ص ١٤) .

٤ - قال أبو زيد وسمعت بعض بنى عجلان من قيس يقول : رأيتُ غلامِيَّيك ، ورأيتُ غلامِيَّسد تحوّل الهمزة التى فى «أسد» وفى «أبيك» إلى الياء ويدخلونها فى الياء ، التى فى الغلامين التى هى الإعراب نفسه ، فيظهر ياء ثقيلة فى وزن حرفين . (ص ١٤) .

قال وسمعت رجلاً من بنى كلب يقول هذه دأْبَة ، وهذه امرأة شأْبَة فهمزوا الألف فيهما : (ص ١٤) .

٥ - قال أبو زيد أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر فقال ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا (ص ١٤) .

- ٦- قال الفراء : وأهل مكة يخالفون غيرهم من العرب يهملون البريلة والنبي والذريقة ؟! وقال اللحياني أجمعت العرب على ترك همزة هذه الثلاثة ولم يستثن أهل مكة . (ص ٢٢) .
- ٧- وأهل العالية يقولون برأت أبرأ وبروأ ، وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح وسائر العرب يقولون برئت من المرض (ص ٢٢) .
- ٨- قال اللحياني أهل الحجاز يقولون أنا منك برآء ... لا يثنى ولا يجمع ... ولغة تميم وغيرهم من العرب أنا برئ (ص ٢٤) .
- ٩- وفي المثل شر ما أجاءك إلى مخة العرقوب (يضرب هذا عند طلبك إلى اللثيم أعطاك أو منعك) وشر ما يجيبك إلى مخة عرقوب . قال الأصمعي وذلك أن العرقوب لا مخ فيه ، وإنما يحوج إليه من لا يقدر على شيء ، ومنهم من يقول [شر ما ألجأك والمعنى واحد ، وتميم تقول : شر ما أشاءك] (ص ٤٥) .
- ١٠- في الحديث عن الحدأة جمعها حدأ [قال أبو حاتم أما أهل الحجاز فيقولون لهذا الطائر الحديا وهو خطأ ويجمعون الحدادي وهو خطأ . وروى عن ابن عباس أنه قال لا بأس بقتل الحدو والإفعو للمحرّم وكأنها لغة في الحدأ ، والحديا تصغير الحدو] . (ص ٤٧) .
- ١١- الحكأة دويبة وقيل هي العظاية الضخمة يهمل ولا يهملز والجميع الحكا مقصور ... وأهل مكة يسمون العظاءة الحكاءة والجميع الحكا مقصورة . (ص ٥٢) .
- ١٢- الإدفاء القتل في لغة بعض العرب ، وفي الحديث أنه أتى بأسير يرعد فقال لقوم انهبوا به فأدفوه فذهبوا به فقتلوه فوداه صلى الله عليه وسلم أراد الإدفاء من الدفاء وأن يدفأ بثوب فحسبوه بمعنى القتل في لغة أهل اليمن (أو جهينة) ، وأراد أدفلوه بالهمز فخففه بحذف الهمزة وهو تخفيف شاذ ... وتخفيفه القياسي أن تجعل الهمز بين بين لا أن تحذف ، فارتكب الشذوذ لأن الهمزة ليس من لغة قريش . فأما القتل فيقال فيه أدفأت الجريح ودفأته ودفوته ودفأيته إذا أجهزت عليه . [ملاحظة : لعلمهم ظنوا الأمر من دفوته] (ص ٧٠) .
- ١٣- في لغة بلحارث بن كعب «الصيص» هو «الشيص» عند الناس (ص ١٠٢) .

١٤- ما فتئت وما فتأت أذكره لغتان بالكسر والنصب ... وما أفتأت الأخيرة تميمية .. (ص ١١٤) .

وروى عن أبى زيد قال تميم تقول أفتأت وقيس وغيرهم يقولون فتئت . (ص ١١٥) .

١٥- قرأة البلاد وبأوها قال الأصمعى إذا قدمت بلادا فمكنت بها خمس عشرة ليلة فقد ذهب عتك قرأة البلاد وقرأ البلاد . فأما قول أهل الحجاز قرأة البلاد، فإنما هو على حذف الهمزة المتحركة والقائها على الساكن الذى قبلها ، وهو نوع من القياس . (ص ١٢٨) .

١٦- كئآت اللحية وكئآت (كئف وغلظ شعرها) . كئأ شعر الرجل كئو وكئف فى لغة بنى أسد (ص ١٣٢) .

١٧- قل من يكلؤكم بالليل والنهار ، ومن قال يكلاكم قال كليت مثل قضيت وهى من لغة قريش (ص ١٤٠) .

١٨- المرأ الإنسان ، وزعم السكرى أن كسر الميم لغة هذيل (ص ١٥٠) .

١٩- قا سيبويه ؛ ليس أحد من العرب إلا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمز غير أنهم تركوا الهمز فى النبى كما تركوه فى الذرية والبرية والخابية إلا أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف ولا يهمزون غيره ، ويخالفون العرب فى ذلك قال والهمز فى النبى لغة رديئة يعنى لقلة استعمالها ، لا لأن القياس يمنع من ذلك ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله صلعم وقد قيل يا نبى الله فقال لا تنبر باسمى فإنما أنا نبى الله . (ص ١٥٧ . وقارن الهامش ٦)

٢٠- استورات الإبل إذا ترابعت على نفار واحد ، وقال أبو زيد إذا نفرت فصعدت الجبل ، فإذا كان نفارها فى السهل قيل استأور ، قال وهذا كلام بنى عقيل (ص ١٨٩) .

٢١- قال عمر رضى الله عنه ، لئن عشت إلى قابل لألحقن آخر الناس بأولهم حتى يكونوا بئانا واحداً . أى متساوين فى العطاء . وقرر الأزهرى أن بئان يمانية (ص ٢١٦) .

٢٢- الثاب الضعيف والجميع أتياب هذلية نادرة (ص ٢٢٠)

٢٣- لم تختلف لغة قريش والأنصار فى شىء من القرآن إلا فى التابوت ف لغة قريش بالتاء ولغة الأنصار بالهاء (ص ٢٢٧)

- ٢٤- قال شمر الأثلبُ بلغة أهل الحجاز الحجر وبلغة بنى تميم التراب (ص ٢٣٥)
- ٢٥- الجذب مدك الشئ والجبد لغة تميم (ص ٢٥١) ،
- ٢٦- الجُشْب قشور الرمان يمانية (ص ٢٥٩) .
- ٢٧- حكى اللحياني عن بنى سليم ما أحببتُ ذلك أى مما أحببتُ كما قالوا ظننتُ أى ظننت (ص ٢٨١)
- ٢٨- الحربُ الطلُع يمانية واحدته حرّبة وقد أحرب النخل وحرّبه إذا أطعمه الحرب وهو الطلع (ص ٢٩٥) .
- ٢٩- أتانى حساب من الناس أى جماعة كثيرة وهى لغة هذيل . (ص ٣٠٣)
- ٣٠- تحَصَّبَ الخير استخبر عنه حجازية (ص ٣٠٧) .
- ٣١- (أ) قال الفراء ذكر أن الحَصْب، فى لغة أهل اليمن الحَطْبُ (ص ٣١٠ ، ٣١١)
- (ب) قال الفراء ،الحصب، فى لغة أهل نجد ، مارميت به فى النار .
- (ج) وقال عكرمة حصب جهنم هو حطب جهنم بالحبشية .
- (د) الحَصَّب (بالضاد) الحطب فى لغة اليمن .
- ٣٢- الحَوْب والحَوْب والحاب الإثم فالحَوْب بالفتح لأهل الحجاز والحَوْب بالضم لتميم (ص ٣٢٩) .
- قال الأزهرى وبنو أسد يقولون : الحائب للقاتل .
- ٣٣- أهل البحرين يقولون للحديدة المعقفة ، التى لا أشر لها أسنان المخلَب (ص ٢٥٠) .
- ٣٤- التَذَنُوب البُسر الذى قد بدا فيه الإرتطاب من قبل ذنبه .
- قال الفراء جاءنا بتَذَنُوب وهى لغة بنى أسد ، والتميمى يقول تَذَنُوب والواحدة تَذَنُوبَة (ص ٣٧٦) .
- ٣٥- ذهب الرجل بالكسر يذهب ذهباً فهو ذهبٌ هجم فى المعدن على ذهب كثير فراه فزال عقله ويرق بصره من كثرة عظمه فى عينه .

- وحكى ابن الأعرابى ذهب قال وهذا عندنا مطرد إذا كان ثانيه حرفا من حروف الحلق ، وكان الفعل مكسور الثانى ، وذلك فى لغة بنى تميم وسمعه ابن الأعرابى فظنه غير مطرد فى لغتهم فلذلك حكاه (ص ٣٨١)
- ٣٦ - رابنى أمره ، قال الأصمعى أخبرنى عيسى بن عمر أنه سمع هذيل يقول أرابنى أمره (ص ٤٢٦) .
- ٣٧ - الشاعبان المنكبان لتباعدهما يمانية (ص ٤٨٤) .
- ٣٨ - شَيْبٌ إنما هو جمع شائب ، كما قالوا بازلٍ ويَزْلُ أو جمع شَيَّوب على لغة الحجازيين ، كما قالوا دجاجة بيوض ودجاج بيض (٤٩٤) .

الجزء الثاني

- ١- الخَب لغة في الصخب رَيْعِيَّة قَنْيِجَة (ص ٩) .
- ٢- قال الأزهرى سمعت أعرابياً من بنى فزارة يقول لخادم له ألا وارفع لى عن صعيد الأرض مصْطَبَة أبيت عليها بالليل . قال وسمعت آخر من بنى حنظلة سماها المصطَفَة بالفاء (ص ١١) .
- ٣- الصَّيْبُ القُرْب . ومنه حديث على ، كرم الله وجهه ، أنه كان إذا أتى بالقتيل قد وجد بين القريتين حمل على أصقب القريتين إليه أى أقربهما ، ويروى بالسين . وأنشد لابن الرقيات :
كُوفِيَّة نازحَ مَحِلَّتْهَا لا أمَّ دارها ولا صَقَبُ
(ص ١٤) .
- ٤- الطَّرْطَبَة الصرع الطويل يمانية عن كراع (ص ٤٧) .
- ٥- قال ابن شُمَيْل في سعد : بنو عَبَّ الشمس ، وفي قریش بنو عبد الشمس (ص ٦٤) .
- ٦- العُرْب جمع عُرُوب وهى المرأة الحسنة المتحبة إلى زوجها . وقيل هى الشكلات بلغة أهل مكة والمغنوجات بلغة أهل المدينة . (ص ٨١) .
- ٧- طير عُكُوب ، عُكُوف . قال والباء لغة بنى خفاجة من بنى عَقِيل (ص ١١٧) .
- ٨- العنكبوت هى بلغة اليمن عَكْبَابَة (١٢٣) .
- ٩- والعبيبة زبيل من آدم ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين فى لغة هَمَّان (ص ١٢٥) .
- ١٠- ابن سيده والغرب بسكون الراء شجرة ضخمة شاكة خصراء حجازية (ص ١٣٦) .
- ١١- ولغة بنى أسد امرأة غضبانة وملآنة وأشباهاها (ص ١٤١) .
- ١٢- الأزهرى أهل اليمن يسمون المرأة الممسنة قَحْبَة (ص ١٥٥) .

- (قيل للبعي قحبة لأنها كانت في الجاهلية تؤذن طلبها بقحابها وهو سعالها) وفي ص ١٩٨ الكحِبُ بلغة أهل اليمن العورة .
- ١٣- قَرِبَ الشئُ قَرَباً صلب واشتد يمانيه (ص ١٦٥) القَسْبُ الصلب الشديد، وقع في شعر رؤية .
- ١٤- القَشْبَةُ الخسيس من الناس يمانية (ص ١٦٨) .
- ١٥- وأهل مكة يسمون القَتَّ القَصْبَةَ (ص ١٧٣) .
- ١٦- القَلِيبُ والقُلُوبُ والقُلُوبُ والقُلُوبُ والقلَابُ الذنب يمانية . (ص ١٨٢) .
- ١٧- القائبة والقابة البيضة والقوب بالضم الفرخ . وفي المثل تخلصت قائبة من قوب يضرب مثلاً للرجل إذا انفصل عن صاحبه ، قال أعرابي من بني أسد لتاجر اسخفره إذا بلغت بك مكان كذا فبرئت قائبة من قوب ، أي أنا برئ من خفارتك (ص ١٨٧) .
- ١٨- قال ورأيت في بعض النسخ تكتبان بكسر التاء وهي لغة بهراء يكسرون التاء فيقولون تعلمون ثم أتبع الكاف كسرة التاء (ص ١٩٢) .
- [ملحوظة : هل هي التاء أو الياء ؟!]
- ١٩- ولا يسمعون فيها لغوا ولا كذاباً، أي كذاباً عن اللحياني ، قال الفراء خَفَّتْهَا على بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، جميعاً وثقلهما عاصم وأهل المدينة وهي لغة يمانية فصيحة ، يقولون كَذَبْتُ به كَذَاباً وخرقت القميص خِرَاقاً وكل فعلت فمصدره فعال في لغتهم مشدودة (ص ٢٠١) .
- ٢٠- المطالب الجري يمانية (ص ٢٢٠) .
- ٢١- الكُويَةُ النَّردُ في كلام أهل اليمن (ص ٢٢٥) .
- ٢٢- قيل لصفية بنت عبد المطلب وضربت الزبير : لم تضربينه ؟ فقالت ليلَبُ ويقود الجيش ذا الجلب أي يصير ذا لب . قال ابن الأثير هذه لغة أهل الحجاز وأهل نجد يقولون لبٌ يلبُ بوزن فر يفر .
- ٢٣- لِبَابٌ لِبَابٌ يريد به لا بأس بلغة حمير (ص ٢٢٨) [ملحوظة : هل تصحيف التاء بـ ؟؟] (وانظر صفحة ٣٨٨ وهو في لغة حمير لبات أي لا بأس) .
- ٢٤- اللأزب واللاتب واحد قال وقيس تقول طين لاتب ، واللاتب اللارق (ص ٢٣١) .

- ٢٥- حكى أبو عمرو بن العلاء عن أعرابي من أهل اليمن فلان لغوبٌ جاءته كتابي فاحتقرها ، قلت أنتقول جاءته كتابي فقال أليس هو الصحيفة ؟ قلت فما اللغوب ؟ قال الأحق (ص ٢٣) .
- ٢٦- ابن الأعرابي هرب الرجل إذا هريم . والهروب الثربُ يمانية الشحم على الكرش (ص ٢٨٢) .
- ٢٧- الهوب اسم النار ، والهوب اشتعال النار ووهجها يمانية وهوب الشمس ووهجها بلغتهم (ص ٢٨٧) .
- ٢٨- الوثب القعود بلغة حمير يقال ثب أي أقعد ، ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير ، فقال له الملك ثب أي أقعد فوثب فتكسر . فقال الملك ليس عندنا عربيت من دخل ظفار حمر أي تكلم بالحميرية . وقوله عربيت يريد العربية فوقف على الهاء بالتاء وكذلك لغتهم . ورواه بعضهم ليس عندنا عربية كعربيتكم ، قال ابن سيده وهو الصواب عندى ؛ لأن الملك لم يكن ليخرج نفسه من العرب والفعل كالفعل . والوثاب الفراش بلغتهم ، ويقال وثبته وثابا أي فرشت له فراشا والوثوب فى غير لغة حمير النهوض والقيام ، والموثبان بلغتهم الملك الذى يقعد ويلزم السرير ولا يغزو (ص ٢٩١)
- ٢٩- الأشواب والأوباش والأوشاب الأخلاط من الناس والرعا ، وثمره وشبة غليظة اللحاء يمانية (ص ٢٩٦) .
- ٣٠- البلب الدروع يمانية (ص ٣٠٦) .
- ٣١- البرت والبرت الفأس يمانية . والبرت بلغة اليمن السكر الطبررد (ص ٣١٣)
- ٣٢- المبلت المهر المضمون حميرية (ص ٣١٦) .
- ٣٣- ابن الأعرابي العرب تقول أبيت وأبات وأصيد وأصاد ويموت ويمات ويدوم ويدام وأعيف وأعاف . ويقال أخيل الغيث بناحيتم وأخال لغة وأزيل يقال زال يريدون أزال . قال ومن كلام بني أسد ما يليق بك الخير ولا يعيق إتباع الصحاح بات يبيت وبيات (ص ٣٢٠) وفى باب القاف ما عاقت المرأة عند زوجها ولا لاقت أى ما حظيت) .
- ٣٤- التابوه لغة التابوت أنصارية (ص ٣٢١) .
- ٣٥- هذيل تقول عتي فى حتى (ص ٣٢٨) .

٣٦- الحَلِيبُ الجَلِيدُ والصَّقِيعُ بلغة طى (ص ٣٢٩) .

٣٧- الخَبِيبُ الحَقِيرُ الرَدِئُ من الأشياء قال اليهودى الخبيرى :

يَنْفَعُ الطَّيِّبُ القَلِيلُ من الرِّقْ ولا يَنْفَعُ الكَثِيرُ الخَبِيبُ

وسأل الخليل الأصمعى عن الخبيث فى هذا البيت ، فقال له أراد الخبيث وهى لغة خبير ، فقال له الخليل لو كان ذلك لَغَتَهُم لقال «الكثير» ، وإنما كان ينبغى لك أن تقول إنهم يقلبون القاء تاء فى بعض الحروف . وقال أبو منصور فى بيت اليهودى أيضا أظن أن هذا تصحيف قال لأن الشئ الحَقِيرُ الرَدِئُ إنما يقال له الخَتِيتُ بقاءين وهو بمعنى الخسيس فصَحَفَهُ وجعله الخبيث (ص ٣٣٢)

٣٨- الخَمِيتُ السمين حميرية (ص ٣٣٦) .

٣٩- غَلِبَتِ الحاء على العين فى لغة سعد فيقولون كُنْتُ مَحْمٌ فى معنى مَعَهُم (ص ٣٤٤) .

٤٠- قال أبو زيد سمعت رجلا من قيس يقول هذا رجل سَكْنِيت بمعنى سَكَيْتَ (ص ٣٤٨) .

٤١- الطُّسْتُ هو الطُّسْ بلغة طى أبدل من إحدى السينين تاء للاستثقال (ص ٣٦٣) .

٤٢- الأَعْفَتُ فى بعض اللغات الأعسر قيل هى لغة تميم والأَلْفَتُ أيضا الأعسر (ص ٣٦٤) .

٤٣- وتفاوت الشَّيْثَانُ أى تباعد ما بينهما تفاوتًا بضم الواو ، وقال الكلابيون فى مصدره تفاوتوا ففتحوا الواو (ص ٣٧٣) .

٤٤- فى لغة حمير لَبَاتُ أى لا بأس (ص ٣٨٨) .

٤٥- اللَّصْنُ بفتح اللام اللَّصُّ فى لغة طى وجمعه لُصُوت وهم الذين يقولون للطنس طُست (ص ٣٨٩) .

٤٦- الأَلْفَتُ والأَلْفَكُ فى كلام تميم الأعسر سُمى بذلك ؛ لأنه يعمل بجانبه الأَمِيلُ وفى كلام قيس الأَحْمَقُ مثل الأَعْفَت (ص ٣٩٠) .

٤٧- مات يموت موتا ويمات الأخيرة طمانية (ص ٣٩٦) .

٤٨- حَوْتُ لُغَةً فِي «حَيْث»، إِمَّا لُغَةً طَيِّئَةً وَإِمَّا لُغَةً تَمِيمٍ وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ هِيَ لُغَةُ طَيِّئٍ فَقَطْ (ص ٤٤٤) .

٤٩- هِيَ لُغَةُ غَاشِيَةٍ فِي الْحِجَازِ يَقُولُونَ يَرِيدُ يَفْعَلُ أَيْ أَنْ يَفْعَلَ ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ وَمَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتُهَا وَارِدَةً فِي كَلَامِ الشَّافِعِيِّ (ص ٤٦٣) .

٥٠- طَحَنَهُ يَطْحَنُهُ طَحْنًا ضَرِيهً بِكَفِّهِ يَمَانِيَّةً (ص ٤٧٠) .

٥١- أَصْلُ الْعَيْثِ الْفُسَادُ ، وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ عَثَى لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَهِيَ الْوَجْهُ . وَعَاثَ لُغَةُ بَنِي تَمِيمٍ ، قَالَ وَهُمْ يَقُولُونَ وَلَا تَعِيثُوا فِي الْأَرْضِ (ص ٤٧٦) .

الجزء الثالث

١- والجيم والشين والضاد ثلاثة في حيز واحد وهي من الحروف الشجرية والشجر مفرج الفم ، ومخرج الجيم والقاف والكاف بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم !! وقال أبو عمرو بن العلاء بعض العرب يبذلون الجيم من الياء المشددة . قال وقتل لرجل من جنظلة ممن أنت ؟ فقال فقيميح ، فقلت من أيهم ؟ قال مرج ، يريد فقيمي مري . وأنشد لهمايان ابن قحافة السعدي يطير عنها الوبر الصهايجا قال يريد الصهايبيا من الصهبة . وقال خلف الأحمر أنشدني رجل من أهل البادية :

خالي عويف وأبو علج المطعمان اللحم بالعشج
وبالغداة كسر البرنج ، يريد عليا والعش والبرني ، قال وقد أبدلوها من الياء المخففة أيضاً ، وأنشد أبو زيد .

يارب إن كنت قبلت حجج فلا يزال شاحج يأتيك بـج
أقمز نهاز ينزى وفرج

(ص ٢٦) وانظر ص ١٤٤ .

٢- الجلج في لغة أهل اليمامة حباب الماء (ص ٤٧) .

٣- قال ابن شميل : أهل اليمامة يسمون بطيخا عندهم أخضر ، مثل ما يكون عندنا أيام التيرماه (رابع الشهور الشمية عند الفرس) بالبصرة الحدج (ص ٥٦) .

٤- الجمخ بفتح الميم الفتور من مرض أو تعب يمانية (ص ٨٦) .

٥- دحج ابن سيده دححه يدححه دححا عركه عركا كعرك الأديم يمانية ، والذال المعجمة لغة وهي أعلى (ص ٩٠) .

٦- المزجة ما يزجج به الحاجب ، والأزج الحاجب اسم له في لغة أهل اليمن (ص ١١١) .

٧- أما الزوج فأهل الحجاز يضعونه للمذكر والمؤنث وضعا واحداً ، تقول المرأة هذا زوجي ويقول الرجل هذه زوجي ، قال الله عز وجل : اسكن أنت وزوجك الجنة ، وأمسك عليك روحك ، وبنو تميم يقولون هي زوجته ، وأبى الأصمعي فقال زوج لا غير ، وقال الفرزدق :

وإن الذي يسعى يُحرشُ زوجتي كساع إلى أسد الشرى يستبيلها
(ص ١١٦)

٨- المسحة التي يُطلى بها لغة يمانية (ص ١١٩)

٩- السنجُ والسَمِيجُ الذي لا ملاحه له الأخيرة هذلية (ص ١٢٤) .

١٠- الشَّيْخُ الباب العالي البناء هذلية (ص ١٢٧) .

١١- الليث وابن دريد تقول هذيل غنجٌ على شنجٍ أى رجل علي جمل فالغنج هو الرجل والشنج الجمل . والشنج الشيخ هذلية ، يقولون شيخ شنج على غنج أى شيخ على جمل ثقيل والله أعلم (ص ١٣٤) وانظر ص ١٥٤

١٢- الأصلجُ الأصلع بلغة بعض قيس (ص ١٣٥)

وقال الأزهرى فى ترجمة «صلخ» ، «الأصلخ» ، بالخاء الأصم ، كذلك قال الفراء وأبو عبيد ، قال ابن الأعرابى فهؤلاء الكوفيون أجمعوا على هذا الحرف بالخاء وأما أهل البصرة ومن فى ذلك الشق من العرب فإنهم يقولون «الأصلج» ، بالجيم . قال وسمعت أعرابياً يقول فلان يتصالح علينا أى يتصامم ، قال ورأيت أمة صماء تعرف بالصلحاء ، قال فهما لغتان جيدتان بالخاء والجيم . قال الأزهرى وسمعت غير واحد من أعراب قيس وتميم يقول للاصم أصلج وفيه لغة أخرى لبنى أسد وهن جاورهم أصلخ بالخاء (ص ١٣٥) وانظر ج ٤ ص ٣ .

١٣- والعججة فى قضاة كالنعنة فى تميم يحولون الياء جيما مع العين يقولون هذا راعجٌ خرج معجٌ أى راعى خرج معى كما قال الراجز :

خالى لقيطٌ وأبو عُلجٍ المطعمان اللحم بالعشجِ
وبالغداة كسرَ البرنجِ يَقلَعُ بالودِّ وبالصيصِجِ

أراد على والعشى والبرنى والصيصى (ص ١٤٤) .

- ١٤- ابن سيده رجل أعصَجُ أصلع لغة شنعاء لقوم من أطراف اليمن لا يؤخذ بها (ص ١٤٩) .
- ١٥- وقولهم شيخ على عَنَجٍ أى شيخ هرم على حمل ثقيل ، والعَنَجُ بلغة هذيل الرجل وقيل هو بالغين معجمة قال الأزهرى ولم أسمعه بالعين من أحد يرجع إلى علمه ولا أدرى ما صحته (ص ١٥٤ ويقارن بصفحة ١٣٤) .
- ١٦- وما أعيج من كلامه بشئ أى ما أعبأ به ، قال وينو أسد يقولون ما أُعَوِّجُ بكلامه (ص ١٦٠) .
- ١٧- ويقال اللُجّ السيف بلغة طى وقال شمر قال بعضهم اللُجّ السيف بلغة هذيل وطوائف من اليمن (ص ١٧٨) .
- ١٨- قال الأزهرى وسمعت أعرابيا من بنى كَلَيْب يقول : لَمَّا فَتَحَ أَبُو سَعِيدِ الْقَرْمَطِيُّ هَجْرًا سَوَى حِطَارًا مِنْ سَعْفِ النَّخْلِ وَمَلَأَهُ مِنَ النِّسَاءِ الْهَجْرِيَّاتِ ثُمَّ الْعَجَّ النَّارَ فِي الْخِطَارِ فَاحْتَرَقْنَ (ص ١٨١) .
- ١٩- أَبُو السَّمِيدِ سَرْنَا عَقَبَةً مَتَوِّجًا أَى بَعِيدَةً قَالَ وَسَمِعْتُ مَدْرَكَاً وَمَبْتَكِرَاً الْجَعْفَرِيَّيْنَ يَقُولُونَ سَرْنَا عَقَبَةً مَتَوِّجَاً وَمَتَوَّحَاً ، وَمَتَوَّحَاً أَى بَعِيدَةً فَإِذَا هِيَ ثَلَاثُ لُغَاتٍ (ص ١٨٥) .
- ٢٠- قَالَ بَعْضُ غَنَى يَقَالُ لَجَلَجَتِ اللَّقْمَةُ وَنَجْنَجَتْهَا ، إِذَا حَرَكْتَهَا فِي فَيْكِ وَرَدَدْتَهَا فَلَمْ تَبْتَلَعْهَا (ص ١٩٨) .
- ٢١- تَنَغَّجَتِ الْأَرْنَبُ أَقْشَعَرَتْ يَمَانِيَّةً (ص ٢٠٥) .
- ٢٢- وَوَادٍ هَجِيحٍ وَهَجِيحٍ عَمِيقٍ يَمَانِيَّةً (ص ٢٠٩)
- ٢٣- قَالَ أَبُو مُوسَى الْهَرَجِيُّ بِلِسَانِ الْحَبْشَةِ الْقَتْلُ (ص ٢١٢)
- ٢٤- الْوَيْجُ خَشْبَةُ الْفَدَّانِ عَمَانِيَّةً (ص ٢٢٥) .
- ٢٥- وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ زَعَمَ الْكَسَائِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَامِرٍ يَقُولُ : إِذَا قِيلَ لَنَا أَبْقِ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ ؟ قُلْنَا بِحَبَابٍ أَى لَمْ يَبْقَ (ص ٢٣٠)
- ٢٦- جَحَّ الشَّيْءُ يَجْحَهُ جَحًّا سَحَبَهُ يَمَانِيَّةً (ص ٢٤٣)
- ٢٧- قَالَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ لِي صَبِيُّ مِنْ أَعْرَابِ بَنِي أَسَدٍ دَلَبَحَ أَى طَأْطَأَ ظَهْرَكَ ، قَالَ وَدَرِيحٌ مِثْلُهُ (ص ٢٦٠)

الأزهرى قال أعراب بنى أسد دَلِيحٌ أى طاطى ظهرك ودريح مثله (ص ٢٦٠) .

٢٨- قال ابن دريد السُّح تمر يابس لا يُكْنز لغة يمانية ، قال الأزهرى وسمعت البحرانيين يقولون لجنس من القسب (تمريابس يفتت في الفم) السُّح (ص ٣٠٦)

٢٩- والسُّرحان (الذئب المشهور) ، والسيد الأسد بلغة هذيل (ص ٣١١) .

٣٠- السَّقْحَةُ الصِّلَعُ يمانية رجل أسْقَحُ وسيذكر في الصاد (ص ٣١٦) الصَّقْحَةُ الصِّلَعَةُ ورجل أصقح أصلع يمانية (ص ٣٤٨) .

٣١- الشارح في كلام أهل اليمن الذى يحفظ الزرع من الطيور وغيرها (ص ٣٢٩) .

٣٢- الشَّقْحَةُ والشَّقْحَةُ البُسْرَةُ المتغيرة إلى الحمرة . قال وهو في لغة أهل الحجاز الزَّهْوُ (ص ٣٢٩) .

٣٣- الشَّلْحَاء السيف بلغة أهل الشَّحْر وهى بأقصى اليمن (ص ٣٣٠) .

٣٤- وقول الهذلى [وكرّم ماء صريحاً] أى خالصاً ، وأراد بالتركيم التكثير قال وهى لغة هذلية (ص ٣٤١) .

٣٥- قال خالد بن كلثوم ضحضاح فى لغة هذيل كثير لا يعرفها غيرهم يقال عنده إبل ضحضاح ، قال الأصمعى غنم ضحضاح وإبل ضحضاح كبيرة وقال الأصمعى هى المنتشرة على وجه الأرض ، والضحضاح فى الأصل مارق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين (ص ٣٥٧) .

٣٦- وفَقَّاحَةُ اليد وفَقَّحْتُها راحتها يمانية سَمِيتَ بذلك لاتساعها ، والفَقَّحَةُ منديل الإحرام كل ذلك بلغتهم ، وفقح الشئ يفقحه فقْحاً سَفَهُ كما يسف الدواء يمانية (ص ٣٨٠) .

٣٧- القَدَّاحُ الفصْفَصَةُ (الرطوبة من علف الدواب) الرُّطْبَةُ عراقية الواحدة قَدَّاحَةٌ (ص ٣٩١) .

٣٨- القمح لغة شامية وأهل الحجاز قد تكلموا بها (ص ٤٠٠) .

٣٩- وروى عن الأصمعى أنه قال : التَقْمُحُ كراهة الشرب (مادة قمح) ، ولكن التَقْمُحُ (مادة قنح) أن تشرب فوق الرى ، قال الأزهرى وهو كما قال شمر وهو التَقْمُحُ والتَرْنُحُ سمعت ذلك من أعراب بنى أسد (ص ٤٠١ ، ٤٠٢) .

- ٤٠- ورجل مَجَّاح بما لا يملك يمانية (ص ٤٢٥) .
- ٤١- وحضرنى أعرابيان فصيحان من بنى كلاب فقال أحدهما لا أقول إلا إنْفَحَة وقال الآخر لا أقول إلا منْفَحَة ثم افترقا على أن يسألا عنهما أشياخ بنى كلاب فاتفقت جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا فهما لغتان ، ونفاح المرأة زوجها يمانية (ص ٤٦٤) .
- ٤٢- امرأة بَيِّدْخَة تارة لغة حميرية ، (فى مادة بذخ) وامرأة بَيِّذْخ أى بادن (ص ٤٨٤) .
- ٤٣- البرْخُ الكبير الرِّخْصُ عُمَانِيَّة وقيل هى بالعبرانية أو السريانية ، يقال كيف أسعارهم فيقال برخ أى رخيص (ص ٤٨٤) .
- ٤٤- الخَوْخَة كوة فى البيت تؤدى إليه الضوء ، والخَوْخَة مُخْتَرَقُ ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب بلغة أهل الحجاز (ص ٤٩٠) .
- ٤٥- الرَّدْخُ مثل الردغ عُمَانِيَّة (كلاهما بمعنى الوحل الكثير) (ص ٤٩٥) .
- ٤٦- رُمخ، شمر هو السَّدَا ممدود (البلخ) بلغة أهل المدينة ، وهو السِّيَاب (بلخ أو تمر) بلغة وادى القربى ، وهو الرُمخ بلغة طيى واحدتها رُمخة ، والخلال بلغة أهل البصرة ، والرُمخ الشجر المجتمع والرمح والرُمخ البلخ واحدته رِمخة لغة طائية (ص ٤٩٦) .
- ٤٧- الرُّخَيْخ النار يمانية (ص ٤٩٨) .
- ٤٨- السَّمَاخ لغة فى الصَّمَاخ ، ويقال سمخنى بحدّة صوته وكثرة كلامه ولغة تميم الصَّمَخ (ص ٥٠٤) .

الجزء الرابع

- ١- الأصْلُخ الأصَمَ كذلك قال الفراء وأبو عبيد ، فهؤلاء الكوفيون أجمعوا على هذا الحرف بالخاء المعجمة . وأما أهل البصرة ومن في هذا الشق من العرب .. فإنهم يقولون الأصْلُج بالميم (ص ٣) [وانظر ج ٣ ص ١٣٥] .
- ٢- الصَّمَاخ من الأذن الخرق الباطن الذي يفضى إلى الرأس تميمية والسماخ لغة فيه (ص ٤) .
- ٣- الطَّبِيخ بلغة أهل الحجاز البطيخ وقيده أبو بكر بفتح الطاء (ص ٧) .
- ٤- وأهل اليمن يسمون الصَّقْعَ (بمعنى الضرب) القَفْع (ص ١٧) .
- ٥- نَكْحُهُ في حلقه نَكْحاً لَهْزُهُ يمانية (ص ٣٢) .
- ابن سيده الهَبِيخَةُ المَرْضِعة ، وهي أيضاً الجارية التارة الممتلئة وكل جارية بالحميرية هَبِيخة والهَبِيخُ فَعِيلٌ بتشديد الياء الغلام بلغتهم أيضاً (ص ٣٢) .
- ٦- وثوب برود إذا لم يكن دفيئاً ولا ليناً من الثياب وثوب أبرد فيه لَمَعٌ سوادٍ وبياض يمانية (ص ٥٤) .
- ٧- البلد الدار يمانية (ص ٦٢) .
- ٨- التَّقْرْدَةُ الكسبرة عن ابن دريد قال والتقرد الأبرار كلها عند أهل اليمن (ص ٦٨) .
- ٩- والجُدَادُ الخُلُقَانُ من الثياب هو معرب كُدَاد بالفارسية ، والجُدَادُ الخيوط المعقدة يقال لها كُدَاد بالنبطية (ص ٨٥) .
- ١٠- الجَرِيدَةُ السَّعْفَةُ ما كانت ، بلغة أهل الحجاز (ص ٩١) .
- ١١- قال أبو عبيد والمرید أيضاً موضع التمر مثل الجرين فالمرید بلغة أهل الحجاز والجرين لهم أيضاً والأندر لأهل الشام والبيدر لأهل العراق . قال الجوهري وأهل المدينة يسمون الموضع الذي يجفف فيه التمر لينشف مریداً وهو المسطح والجرين في لغة أهل نجد ، والمرید للتمر كالبيدر للحنطة (ص ١٥١) ورید السيف فريدة هذلية .

١٢- الرُّنْدُ الآس وقيل وهو العود الذي يَبْخَرُ به ، واحدته رَنْدَة ، قال الأزهرى الرعد عند أهل البحرين شبه جوالق ، ورأيت هجريا يقول الرُّنْدُ وكأنه مقلوب (ص ١٦٩) .

١٣- السَّبْنَدَى والسَّبْنَدَى والسَّبْنَتَى النَّمْر وقيل الأسد ، وقيل السبندى الجرى من كل شيء هذلية (ص ١٨٧) قال الأزهرى . فى الرباعى السبندى الجرى وفى لغة هذيل الطويل ، الساجد، المنتصب فى لغة طى قال الأزهرى ولا يحفظ لغير الليث

١٤- السَّمُودُ الغناء بلغة حمير ، يقال اسمدى لنا أى غنى لنا (ص ٢٠٤)

١٥- والسُّودد الشرف معروف وقد يهمز وتضم الدال طائية ، الأزهرى السُّودد بضم الدال الأولى لغة طى (ص ٢١٣) .

١٦- السَّيْدُ الذئب ويقال سَيْدُ رَمَلٍ ، وفى لغة هذيل الأسد (ص ٢١٧) .

١٧- فَيُمْكِنُ تَجْرِجِه على لغة بعض العرب مِن بَكَر بن وائل يقولون «رَدْتُ ، ردت ، ردن ، يريدون رددت ، رددت ، رددن . قال الخليل كأنهم قدروا الإدغام قبل دخول التاء والنون (ص ٢٢٠) .

١٨- والشكْدُ الجزاء والشكْدُ كالشكر يمانية (ص ٢٢٤) .

١٩- الليث لغة تميم شهيد بكسر الشين يكسرون فعिला فى كل شيء كان ثانية أحد حروف الحلق ، وكذلك سقلى مصر يقولون فعिला قال ولغة شعاء يكسرون كل فعيل والنصب اللغة العالية (ص ٢٢٧) .

٢٠- وكذلك فيمن قال رُسْلٌ مخففة قال وهى اللغة التميمية (ص ٢٤٩) .

٢١- وأهل الحجاز يثبتون النباء والواو نحو صَبِيدَ ، عَوْرَ ، وغيرهم يقول صاد يصاد ، عار يعار (ص ٢٥٠) ، والصائد الساق بلغة أهل اليمن (ص ٢٥١) .

٢٢- وقد يوضع الضماد على الرأس للصداع يُضَمَدُ به والمضد لغة يمانية (ص ٢٥٣) .

[ص ٤١٢ . المضد لغة فى ضمد الرأس يمانية] .

٢٣- سألت أبا عبيدة عن الماء العد فقال لى الماء العد بلغة تميم الكثير ، قال وهو بلغة بكر بن وائل الماء القليل (ص ٢٧٦) .

- ٢٤- العَصْدُ وهو ما بين المرفق إلى الكتف والكلام الأكثر العَصْدُ ، قال أبو زيد أهل تهامة يقولون العصد والجز ويذكرون (ص ٢٨٣) .
- ٢٥- وقوله أَعْمَدَتَاهُ رِجْلَاهُ على لغة من قال أكلوني البراغيث وهي لغة طي (ص ٢٩٦) .
- ٢٦- القراميد في كلام أهل الشام أَجَرَ الحمامات ، وقيل وهي بالرومية قَرَمِيدَى (ص ٣٥٢) .
- ٢٧- الإقْلِيدُ المفتاح يمانية وقال اللحياني هو المفتاح ، ولم يعزها إلى اليمن (ص ٣٦٨) .
- ٢٨- قَادَ الدَابَّةَ قَوْدًا فهي مَقْوَدَةٌ ، مَقْوُودَةُ الأخيرة نادرة ، وهي تميمية (ص ٣٧٢) .
- ٢٩- ولغة بني عدي كَدْتُ أَفْعَلُ كَذَا بضم الكاف (ص ٣٨٦) . وكَوَدَ التراب جمعه وجعله كَثْبَةً يمانية .
- ٣٠- كَدَهُ عن الأمر كَذَا حبسه هذلية (ص ٣٩٦) .
- ٣١- وأما أبو عبيد فروى عن أبي عبيدة أن أهل العلية يقولون مَجَدَ الناقة مخففا ، إذا علفها ملء بطونها وأهل نجد يقولون مَجَدَهَا تمجيذا مشددا إذا علفها نصف بطونها (ص ٤٠٢) .
- [العالية ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة وقرى بظاهر المدينة] .
- ٣٢- قال الأخفش نجد لغة هذيل خاصة يريدون نجدا (ص ٤٢٢) . وقال فلان من أهل نجد قال وفي لغة هذيل والحجاز من أهل النجد (ص ٤٢٥) .
- ٣٣- وجد مطلوبه والشئ يَجِدُهُ أيضا بالضم لغة عامرية لا نظير لها في باب المثال : قال لبيد وهو عامري [تدع الصوادى لا يجدن غليلا] قال ابن بري الشعر لجريير وليس للبيد كما زعم (ص ٤٥٨) .
- ٣٤- فإن وافق قولَ عملاً فأخه وأوْدَهُ أى أَحْبَبَهُ وصادقه فأظهر الإدغام للأمر على لغة الحجاز (ص ٤٦٩) .
- الوَدُّ الوَدُّ بلغة تميم . الجوهرى الوَدُّ بالفتح الوَدُّ في لغة أهل نجد كأنهم سكنوا التاء فأدغموها في الدال (ص ٤٧٠) .

الجزء الخامس

- ١- قال ابن جنى قال خالد : إذا لغة هديل وغيرهم يقولون إذ (ص ٨) .
- ٢- الرَبْدَةُ الخوقة يَهْنَأُ بها تميمية (ص ٢٥) .
- ٣- أَشْحَذَ الكلب أغراه يمانية (ص ٢٨) .
- ٤- الشعوذة ليس من كلام أهل البادية (ص ٢٩) والطَّرْمَذَةُ ليس من كلام أهل البادية (ص ٣٢) .
- ٥- وَجَّحِي عَنِ بنى سليم ما رأيته منذُ سَتُّ بكسر الميم ورفع ما بعده ، وحكى عن عكل مذ يوميان بطرح النون وكسر الميم وضم الذال ، وقال بنو ضبة والرياب يخفضون بمذ كل شيء (ص ٤٧) .
- ٦- وفي حديث محمد بن مسلمة فإذا جارية من الأنصار على إجارٍ لهم ، والإنجار بالنون لغة فيه (ص ٦٧) .
- ٧- قال الأصمعي استأثرت الإبل إذا تراءت على نفار واحد . وقال أبو زيد: ذاك إذا نفرت فصعدت الجبل ، فإذا كان نفارها في السهل قيل استأثرت ، قال وهذا كلام بنى عقيل (ص ٩٦) .
- ٨- قال وأما ما يروى من أن النمر بن تولب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : «ليس من امبرٍ امصيام في امسفر» يريد «ليس من البر الصيام في السفر» فإنه أبدل لام المعرفة ميما . وهو شاذ لا يسوغ حكاه عنه ابن جنى ، قال ويقال إن النمر ابن تولب لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم ، غير هذا الحديث (ص ١١٦) .
- ٩- قال وقال بعضهم أبشرتَ (بمعنى كشرت) ولعلها لغة حجازية (ص ١٢٧) .
- ١٠- البظُرُ الخاتم حميرية وجمعه بظُورٍ ، قال شاعرهم : «كما سلَّ البظُورُ من الشناتر، الشناتر الأصابع . قال والبضر بالضاد نواف الجارية قبل أن تخفض ، ومن العرب من يبدل الظاء ضادا فيقول البِضر وقد اشتكى ضهرى ، ومنهم من يبدل الضاد ظاء فيقول قد عظت الحرب بنى تميم (ص ١٣٧) .
- ١١- وبنو تميم يقولون «بغير» بكسر الباء وشِعِير وسائر العرب يقولون بغير (ص ١٣٧) .

- ١٢- وأهل اليمن يسمون البقرة بأقورة ، وكتب النبي صلى الله عليه وسلم ، في كتاب الصدقة لأهل اليمن «في ثلاثين بأقورة، بقرة (ص ١٤٠) .
- ١٣- التيهور ما اطمأن من الأرض ، وقيل هو ما بين أعلى شفير الوادى وأسفله العميق نجدية ، وقيل هو ما بين أعلى الجبل وأسفله هذلية (ص ١٦٣) .
- ١٤- وقال اللحياني جبره لغة تميم وحدها قال وعامة العرب يقولون أجبره . قال الأزهرى وهى لغة معروفة ، وكان الشافعى يقول جبر السلطان وهو حجازى فصيح (ص ١٨٥) .
- ١٥- الحظيرة جرين التمر نجدية لأنه يحظره ويحصره ، والحظيرة ما أحاط بالشئ (ص ٢٧٩) .
- ١٦- والحفر والحفر سلاق فى أصول الأسنان وقيل هى صفرة تعلو الأسنان ، ويقال فى أسنانه حفر وينوأسد تقول فى أسنانه حفر بالتحريك (ص ٢٨١) .
- ١٧- وحمر الرجل تكلم بكلام حمير ولهم ألفاظ ولغات تخالف لغات سائر العرب ، ومنه قول الملك الحميرى ملك ظفار وقد دخل عليه رجل من العرب فقال له الملك ثب ، وثب بالحميرية اجلس فوثب الرجل فاندقت رجلاه فضحك الملك وقال ليست عندنا عربيت من دخل ظفار حمر أى تعلم الحميرية (ص ٢٩٤) وانظر جـ ٢ ص ٢٩١ .
- ١٨- استخمر قوما أى استعبدهم بلغة أهل اليمن ، وأخمره الشئ أعطاه إياه أو ملكه ، قال محمد بن كثير هذا كلام عندنا معروف باليمن (ص ٣٤٣)
- ١٩- الويج والميس باليمانية اسم الخشبة الطويلة ، بين الثورين (ص ٣٦٣) وانظر جـ ٣ ص ٢٢٥) .
- ٢٠- قال الفراء و «مذكر» فى الأصل مُذْتَكِر على مُفْتَعِل فصيرت الذال وتاء الافتعال دالا مشددة قال وبعض بنى أسد يقول مذكر فيقلبون الدال فتصير ذالا مشددة ، وقد قال الليث للذكر ليس من كلام العرب وربيعه تغلط فى الذكر فتقول دكر (ص ٣٧٦) .
- ٢١- أجمع القراء على ترك الهمز فى الدرية وقال يونس أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب فيهمزون النبى والبرى والذرية (ص ٣٩١ وانظر جـ ١ ص ٢٢) .
- ٢٢- قال ابن الأعرابى من غريب شجر البر الزنابير ، واحدها : زنبيرة ، زنبارة ، زنبورة ، وهو ضرب من التين وأهل الحضر يسمونه الحلواتى (ص ٤٢٠) .

الجزء السادس

- ١- السَّوَجْرُ ضرب من الشجر قيل هو الخلاف يمانية (ص ١١) .
- ٢- أبو عمرو وسمعت بعض قيس يقول سَدَلُ الرَّجُلِ في البلاد وسَدَرَ إذا ذهب فيها فلم يثته شيء (ص ٢٠) .
- ٣- السَّقَرُ من جوارح الطير معروف لغة في الصقَر ، والزَقَرُ الصقَر مضارعه وذلك لأن كلبا تقلب السنين مع القاف خاصة رايا ويقولون في «مس سَقَر» مس زَقَر (ص ٣٧) .
- ٤- الجوهري لغة بنى أسد «سكرانة» (ص ٣٨) .
- ٥- الواحدة من كل ذلك شجرة ، شجرة ، وقالوا شَكْرَةً فأبدلوا فإما أن يكون على لغة من قال شجرة وإما أن تكون الكسرة لمجاورتها الياء . قلبت الجيم ياء في شيرة كما قلبوا الياء جيما في قولهم أنا تَمِيمَجْ أى تميمى . والذي حكاه سيبويه، أن ناسا من بنى سعد يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف خاصة ؛ وذلك لأن الياء خفيفة، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف وذلك قولهم تَمِيمَجْ في تميمى فإذا وصلوا لم يبدلوا فأما ما أنشده سيبويه من قولهم :
خالى عويف وأبو علجَ المطعمان اللحم بالمشجَ
وفى الغداة فَلَقَ البَرَنَجَ
- فإنها اضطر إلى القافية ، فأبدل الجيم من الياء في الوصل كما يبدلها في الوقف (ص ٦١) .
- ٦- وأهل الحجاز يقولون هذه الشجر بغير هاء ، وهم يقولون هى البُرْ وهى الشعير وهى التمر (ص ٦٢) .
- ٧- شحرَّ فاه شحرّاً فتحه قال ابن دريد أحسبها يمانية (ص ٦٥) .
- ٨- والشُرَّان على تقدير فعلان دواب مثل البعوض ، واحدتها شُرَّانة لغة لأهل السواد (لعله الهموش) (ص ٦٩) .
- ٩- الشُرُّور طائر صغير مثل العصفور قال الأصمعي تسميه أهل الحجاز الشرشور

وتسميه الأعراب البرقش (ص ٧٠) .

١٠- الشنطرة الأصبع بالحميرية ، قال حميرى منهم يرثى امرأة أكلها الذئب:

أَيَا جَحْمَتَا بَكَّى عَلَى أُمِّ وَاهِبٍ أَكِيلَةَ قُلُوبٍ بْبِعْضِ الْمَذَانِبِ

فلم يبق منها غير شطر عجائنها وشنطرة منها وإحدى الذوائب

التهذيب : الشنطرة والشننطرة الإصبع بلغة أهل اليمن ، وأنشد أبو زيد :

ولم يبق منها غير نصف عجائنها وشننطرة منها وإحدى الذوائب

وقولهم لأضمنك ضم الشناتر وهى الأصابع ، ويقال القرطة لغة يمانية

الواحدة شنطرة وذو شناتر من ملوك اليمن يقال معناه ذو القرطة (ص ٩٩) .

١١- قال الأزهرى والمصطار من أسماء الخمر التى اعتصرت من أبكار العنب

حديثاً بلغة أهل الشام ، قال وأراه روميّاً لأنه لا يشبه أبنية كلام العرب

(ص ١٢٦) .

١٢- والصعترى الشاطر عراقيّة قال الأزهرى رجل صعترى لاغير إذا كان فتى

كريماً شجاعاً (ص ١٢٨) .

١٣- والصفريّة ثمرة يمامية تجفف بُسراً وهى صفراء ، فإذا جفت ففركت انفركت

ويحلى بها السويق فتفوق موقع السكر (ص ١٣٠) .

١٤- والصقر والصقر ماتحلب من العنب والزبيب والتمر ، من غير أن يعصر

وحص بعضهم من أهل المدينة به دبس التمر ، وقيل هو مايسيل من الرطب

إذا دبس والصقر الدبس عند أهل المدينة (ص ١٣٦) .

قال أبو منصور والصقر عند البحرانيين ماسال من جلال التمر ، التى

كُنْزَتْ وسدك بعضها فوق بعض فى بيت مصرج ، تحتها حواب خضر

فينعصر منها دبس خام كأنه العسل (ص ١٣٧) .

١٥- الصنارة بكسر الصاد الحديدة الدقيقة المعقفة التى فى رأس المغزل ولا تقل

صنارة . والصنارة الأذن يمانية (ص ١٣٨) .

١٦- وفيه قراءة عبدالله بن مسعود وأبى جعفر المدنى «فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ» بالكسر ، أى

قطعهن وشققهن وقيل وجههن ، الفراء ضمت العامة الصاد ، وكان أصحاب

عبدالله يكسرونها وهى لغتان ، فأما الضم فكثير وأما الكسر ففى هذيل وسليم

(ص ١٤٩) .

- ١٧- ضارهُ الأمرُ يضوره كيضيره ضيراً وضوراً أى ضره ، وزعم الكسائى أنه سمع بعض أهل العالية يقول ماينفعنى ذلك ولا يضورنى . ابن الأعرابى الضورة الضعيف من الرجال ، قال الفراء سمعت أعرابياً من بنى عامر يقول لآخر أحسبتنى ضورة لا أرد عن نفسى (ص ١٦٦) .
- ١٨- قال أبو زيد سمعت أعرابيين تميمياً وقيسياً يقولان تعذرتُ إلى الرجل تعذراً فى معنى اعتذرت اعتذاراً (ص ٢٢٢) .
- ١٩- ويقول إحدى عشرة امرأة بكسر الشين ، وإن شئت سكنت إلى تسع عشرة والكسر لأهل بحد والتسكين لأهل الحجاز ، قال الأزهرى وأهل اللغة والنحو لا يعرفون فتح الشين فى هذا الموضع ، وروى عن الأعمش انه قرأ وقطعناهم اثنتى عشرة بفتح الشين ، قال وقد قرأ القراء بفتح الشين وكسرها وأهل اللغة لا يعرفونه (ص ٢٤٤) .
- ٢٠- العصفور الولد يمانية (ص ٢٥٨) .
- ٢١- قال الأصمعى عقر الدار أصلها فى لغة الحجاز فأما أهل نجد فيقولون عقر (ص ٢٧٤) .
- ٢٢- وفى الحديث أنهم كانوا يترصدون عبرات قريش ، هو جمع غير ، يريد إبّلهم ودوابّتهم . قال سيبويه اجتمعوا فيها على لغة هذيل يعنى تحريك الياء والقياس التسكين (ص ٣٠٣) .
- ٢٣- عقيل تهمز الفأرة والجؤنة والمؤسى والحؤت (ص ٣٤٨) .

الجزء السابع

- ١- وفي حديث ابن عباس في قوله تعالى كعصف مأكول قال هو الهبور قيل هو دقاق الزرع بالنبطية ، ويحتمل أن يكون من الهبر القطع ، والهبر مشاقة الكتان يمانية (ص ١٠٧) .
- ٢- وهجر الشيء وأهجره تركه الأخيرة هذلية (ص ١١٢) عن النضر ابن شميل أنه قال التهجير إلى الجمعة وغيرها التكبير والمبادرة إلى كل شيء ، تهجيراً فهو مهجر ، قال الأزهرى ، وهذا صحيح وهى لغة أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس (ص ١١٥) .
- ٣- قال اللحياني أهل الحجاز يسمون الفرد الوتر وأهل نجد يكسرون الواو ، وهى صلاة الوتر والوتر ، لأهل الحجاز ويقرءون والشفع والوتر والكسر لتميم وأهل نجد . وقيل الأعداد كلها شفع وتر ، قال اللحياني أهل الحجاز يفتحون فيقولون وتر وتميم وأهل نجد يكسرون . ابن السكيت قال يونس أهل العالية يقولون الوتر فى العدد والوتر فى الذحل (الثأر) قال وتميم تقول وتر بالكسر فى العدد والذحل سواء ، الجوهري الوتر بالكسر الفرد والوتر بالفتح الذحل هذه لغة أهل العالية ، فأما لغة أهل الحجاز فبالضد منهم وأما تميم فبالكسر فيهما (ص ١٣٥ ، ١٣٦) .
- ٤- الوهر توهج وقع الشمس على الأرض حتى ترى له اضطرابا كالبخار يمانية (ص ١٥٦) .
- ٥- وقد بسر يبسر ، ولم تحذف الياء فيه ولا فى بيسر ويبس كما حذف فى يعد وأخواته لتقوى إحدى الياءين بالأخرى ولهذا قالوا فى لغة بنى أسد يبجل وهم لا يقولون يعلم لاستثقالهم الكسرة على الياء (ص ١٦٢) .
- ٦- والأرز حب وفيه ست لغات . ورز ورنز وهى لعبد القيس (ص ١٦٩) .
- ٧- جهاز العروس والميت وجهازها ما يحتاجان إليه وكذلك جهاز المسافر يفتح ويكسر . قال الليث وسمعت أهل البصرة يخطئون الجهاز بالكسر ، قال الأزهرى والقراء وكلهم على فتح الجيم فى قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم ، قال وجهاز بالكسر لغة رديلة (ص ١٩٠) .

- ٨- الحَفَزُ الأجل في لغة بنى سعد وأنشد بعضهم هذا البيت :
- والله أَفْعَلُ ما أَرَدْتُمْ طائِعا أو تَضَرَّبُوا حَقْرًا لِعَامٍ قَابِلِ
- ٩- وفي لغة هذيل الحَمَزُ التحديد يقال حَمَزَ حديثه إذا حددها ، وقد جاء ذلك في أشعارهم (ص ٢٠٥) .
- ١٠- الرُّنْزُ بالضم لغة في الأرْزُ وقد يكون من باب إنجاص وإجاص وهي لعبد القيس ، والأصل فيها رَزَ فكرهوا التشديد فأبدلوا من الزاى الأولى-نونا كما قالوا إنجاص في إجاص (ص ٢٢٤) .
- ١١- وفي الحديث أنه قَدِمَ على النبي صلى الله عليه وسلم ، صاحبُ كسرى ، فوهب له معجزةً فسَمَّى ذَا المعجزة هي بكسر الميم المنطقة بلغة اليمن ، قال وسميت بذلك لأنها عجز المتنطق بها (ص ٢٤٠) .
- ١٢- وقال ابن كيسان في «أمس» يقولون إذا نكروه كل يوم يصير أمساً ، وكل أمسٍ مضى قلن يعود ومضى أمس من الأموس ، وقال البصريون إنما لم يتمكن «أمس» في الإعراب لأنه ضارع الفعل الماضي وليس بمعرب ، وقال الفراء إنما كسرت لأن السين طبعها الكسر ، وقال أبو الهيثم السين لا يلفظ بها إلا من كسر الفم ما بين الثانية إلى الضرس وكسرت لأن مخرجها مكسور في قول الفراء ، قال ابن برى أعلم أن «أمس» مبنية على الكسر عند أهل الحجاز وينو تميم يوافقونهم في بنائها على الكسر في حال النصب والجر ، فإذا جاءت أمس في موضع رفع أعربوها فقالوا ذهب أمس بما فيه (ص ٣٠٥) .
- ١٣- وقال قوم أصل «إنسان» إنسيان على إفعالن فحذفت الياء استخفافاً لكثرة ما تحرى على ألسنتهم فإذا صغروه ردوها لأن التصغير لا لكثرة (أنسيان) والناب لغة في الناس على البذل الشاذ وأنشد :
- يا قَبِجَ الله بنى السعلاة عمرو بن يريوع شرار الناب
غير أعقاء ولا أكيا ب
- أواد ولا أكياس فأبدل التاء من سين الناس والأكياس لموافقتها إياها في الهمس والزيادة وتجاوز المخارج ، وقد حكى أن الإيسان لغة في الإنسان طائفة . قاله اللحياني في لغة طيء ما أتت ثم إيساناً أى إنساناً . وقال الفراء العرب جميعاً يقولون الإنسان إلا طيئاً فإنهم يجعلون مكان النون ياء (ص ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠) .

١٤ - لَابَاسُ عَلَيْكَ ، وَهُوَ فِي لُغَةِ حَمِيرِ لِبَاتٍ أَيْ لَابَاسُ عَلَيْكَ ، قَالَ شَاعِرُهُمْ :

شَرِينًا النُّومَ إِذْ عَصَيْتَ غِلَابَ بَتْسَهيدٍ وَعَقْدٍ غَيْرِ مَيْنِ
هَادِرًا عِنْدَ غَدْرِهِمْ لِبَاتِ وَقَدْ تَرَدَّتْ مُعَاذِرُ ذِي رُعَيْنِ

(ص ٣١٧) .

١٥ - الْخُنْفَسُ بِالْفَتْحِ وَالْخُنْفَسَاءُ بِفَتْحِ الْفَاءِ مَمْدُودٌ دَوِّيَّةٌ ، وَضُمُّ الْفَاءِ فِي كُلِّ ذَلِكَ لُغَةٌ ، وَيُقَالُ خُنْفَسٌ لِلْخُنْفَسَاءِ لُغَةً أَهْلُ الْبَصْرَةِ (ص ٣٧٦) .

١٦ - وَطَىءٌ يَقُولُ طَسَّتْ وَغَيْرُهُمْ طَسَّ ، قَالَ وَهُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَصَّتْ لِلصِّ وَجَمَعَهُ لَصُوصٌ وَطُوتَ عِنْدَهُمْ (ص ٤٣٠) .

١٧ - الطَّائُوسُ فِي كَلَامِ أَهْلِ الشَّامِ الْجَمِيلُ مِنَ الزَّجَالِ . وَالطَّائُوسُ فِي كَلَامِ أَهْلِ النِّيمَنِ الْفِضَّةُ . وَالطَّائُوسُ طَائِرٌ حَسَنٌ هَمْزَتُهُ بَدَلٌ مِنْ وَאוٍ (ص ٤٣٤) .

الجزء الثامن

١- وغس الرجل في البلاد إذا دخل فيها ومضى قدماً ، وهي لغة تميم قال رؤية :
كالحوث لما غس في الأنهار
(وانظر غمس) (ص ٣٣) .

٢- ورجل متغطرس بخيل في كلام هذيل (ص ٣٥) .

٣- ومن هذا قيل للسطل القدس لأنه يتقدس منه أي يتطهر والقدس بالتحريك
السطل بلغة أهل الحجاز لأنه يتطهر فيه (ص ٥٠) .

٤- وقست الشيء بغيره وعلى غيره أقيس قيساً وقياساً فانقاس إذا قدرته على مثاله
وفيه لغة أخرى قسته أقوسه قوساً وقياساً . ابن سيده قست الشيء قسته وأهل
المدينة يقولون لا يجوز هذا في القوس يريدون القياس (ص ٧٠) .

٥- وقيل الكسبي أن يكون الحنك الأعلى أقصر من الأسفل فتكون الثنيتان العليان
وراء السفليين من داخل الفم . وكسكة هوازن هو أن يزيدوا بعد كاف المؤنث
سينا فيقولون أعطيتكسن ومنكس وهذا في الوقف دون الوصل ، الأزهرى
الكسكة لغة من لغات العرب تقارب الكشكشة ، وفي حديث معاوية تياسروا
عن كسكة بكر يعنى إبدالهم السين من كاف الخطاب تقول أبوس ، وأمُس
أي أبوك وأمك ، وقيل هو خاص بمخاطبة المؤنث ومنهم من يدع الكاف
بحالها ويزيد بعدها سينا في الوقف ، فيقول مررت بكس أي بك والله أعلم
(ص ٨٠ ، ٨١) .

٦- الملدس لغة في المِلطس وهو حجر ضخم يدق به النوى (ص ٩٠ المبادلة بين
الدال والطاء) .

٧- أبومالك : أهل الحجاز يقولون الهجرس القرد وبنو تميم يجعلونه الثعلب
(ص ١٣٣) .

هدسه يهدسه هدساً طرده ورجره يمانية مماته ، والهدس شجر وهو عند أهل اليمن
الأس .

٨- الهيس اسم أداة الفدان عمانية (شرح القاموس يمانية) (ص ١٣٩) .

- ٩- قال أبو زيد علياً مصر تقول يحسب وينعم ويئس وسفلاها بالفتح قال سيبويه وهذا عند أصحابنا إنما يجيء على لغتين يعنى يئس يئس ، يأس يئس لغتان ثم يركب فيهما (ص ١٤٧) .
- ١٠- والجحش وله الظبية هذلية قال أبو ذؤيب :
 بأسفل ذات الدنر أفراد جحشها فقد ولهت يومين فهي خلوج .
 والجحش أيضاً الصبى بلغتهم (ص ١٥٧) .
- ١١- جَفَشَ الشيءَ يَجْفِشُهُ جَفْشاً جمعه يمانية (ص ١٦٢) .
- ١٢- قال ابن الفرّج يقال ألحق الحس بالإس قال وسمعت بعض بني أسد ألحق الحس بالإس قال كأنه يَقُولُ ألحق الشيء بالشيء إذا جاءك شيء من ناحية فافعل به ، جاء به أبو تراب في باب الشين والسين وتعاقبهما (ص ١٧٣) .
- ١٣- الخُمُوشُ البعوض بفتح الخاء في لغة هذيل (ص ١٨٨) .
- ١٤- تداعش القوم اختلطوا في حرب أو صخب ، ودعش عليهم هجم يمانية (ص ١٩١) .
- ١٥- الكسائي الزُوشُ العبد اللثيم والعامّة تقول رُوشُ (ص ٢٠٠) .
- ١٦- وقال المؤرّج هي المعيشة قال والمعوشة لغة الأزدي (ص ٢١٢) .
- ١٧- ولقيهُ غَشاشاً وغَشاشاً أي عند الغروب والغَشاشُ العَجَلَةُ يقال لقيته على غَشاشٍ وغَشاشٍ أي على عجلة ، حكاهما قطرب وهي كنانية (ص ٢١٤) .
- ١٨- والفراش ما افترش والجمع أفرشه وفُرْشٌ ، سيبويه وإن شلت حققت في لغة بني تميم (ص ٢١٧) .
- ١٩- والكشكشة لغة لربيعة وفي الصحاح لبني أسد يجعلون الشين مكان الكاف وذلك في المؤنث خاصة فيقولون عlish ومينش ويش وينشدون :
 فعنياش عيناها وحيدش جيدها ولكن عظم الساق منش رقيق
 وأنشد أيضاً :
 نصحك منى أن رأنتى أحترش ولو حرشت لكشفت عن حرش
 ومنهم من يريد الشين بعد الكاف فيقول عليکش وإلکش وبكش ومنكش وذلك في الوقف خاصة ، وإنما هذا لتبين كسرة الكاف فيؤكد التانيث وذلك

لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى في الوقف ، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شيئاً فإذا وصلوا حذفوا لبيان الحركة ، ومنهم من يجرى الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضاً ، وأنشدوا للمجنون «فعياش عيناها، البيت ، قال ابن سيده قال ابن جنى وقرأت على أبي بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى بعضهم :

علىَ فيها أبْتَعى أبْعِشَ بيضاء وصبى ولا أصْبَسِ
وتَطَبَّى ودَّ منى أبِيشَ إذا دنوتِ جعلتِ تَنْدِيشَ
وإنْ نأيتِ جعلتِ تَدْنِيشَ وإن تكلمتِ جلتِ في فِيشِ
حتى تتَقَى كَنَقِيقِ الدِيشِ

أبدل من كاف المؤنث شيئاً في كل ذلك وشبهه كاف الديك لكسرتها بكاف المؤنث ، وربما زادوا على الكاف شيئاً حرصاً على البيان أيضاً قالوا مررت بكش وأعطيتكش فإذا وصلوا حذفوا الجميع ، وربما ألحقوا الشين فيه أيضاً وفي حديث معاوية تياسروا أبوش وأمش ، وزادوا على الكاف شيئاً في الوقف فقالوا مررت بكش كما تفعل تميم (ص ٢٣٣-٢٣٤) .

٢٠- الجِصَّ معروف الذي يطلى به وهو معرب ، ولغة أهل الحجاز في الجصَّ القَصَّ (ص ٢٧٥) وانظر ٣٤٥ .

٢١- وأهل البصرة اختاروا حِمَصاً وأهل الكوفة اختاروا حِمَصاً وقال الجوهري الاختيار فتح الميم ، وقال المبرد بكسرهما (ص ٢٨٣) .

٢٢- قال فقلت فكان ينبغي أن يقول خوَصاً فقال هي معاقبة يستعملها أهل الحجاز يسمون الصوَاغ الصِّيَاغ ويقولون الصِّيَام للصوَام ومثله كثير (ص ٣٠٠) .

٢٣- الشَّيْص والشَّيْصاء ردئ التمر . قال الأموي هي لغة بلحرث ابن كعب الصيص ، وأهل المدينة يسمون الشيص السخل ، وفي الحديث أنه نهى عن تأثير بخلهم فصارت شيصاً (ص ٣١٧) .

٢٤- عصصت أعص قال أبو عبيد عصصت أعص لغة الرياب (ص ٣٢٨) .

٢٥- والقَصَّ الجصَّ لغة حجازية (ص ٣٤٥ وانظر ٣٢٧٥) .

٢٦- القُمُوصُ ضرب من الكمأة والقُعموص والجُعموص واحد ، يقال تحرك قُعموصه في بطنه وهو بلغة أهل اليمن (ص ٣٤٧) .

٢٧- واللَّصْتُ لغة في اللُّصِّ أبدلوا من صاده تاء وغيروا بناء الكلمة لما حدث فيها من البَدَلِ، وقيل هي لغة، قال اللحياني وهي لغة طيء وبعض الأنصار وجمعه لصوت وقد قيل فيه لَصْتُ فكسروا اللام فيه مع البَدَل (ص ٣٥٦).

٢٨- وَحَصَّةٌ وَحَصًّا سَحَبَهُ يَمَانِيَةٌ قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْكَلَابِيِّينَ يَقُولُ أَصْبَحْتُ وَلَيْسَ بِهَا وَحَصَّةٌ أَيْ بَرْدٌ يَعْنِي الْبِلَادَ وَالْأَيَّامَ، وَالْجَاءُ غَيْرَ مَعْجَمَةٍ، الْأَزْهَرِيُّ قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ أَصْبَحْتُ وَلَيْسَ بِهَا وَحَصَّةٌ وَلَا وَذِيَّةٌ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ مَعْنَاهُ لَيْسَ بِهَا عِلَّةٌ (ص ٣٧٤).

٢٩- مُشِيحَةٌ حَذَرَةٌ وَالْمُشِيحُ فِي لُغَةِ هَذِيلِ الْمُجَدِّ (ص ٣٨٩).

الجزء التاسع

١- وقد عَضَضْتُهُ أَعْضَهُ وَعَضَضْتُ عَلَيْهِ عَضاً وَعَضَضاً وَعَضِضُناً ، وَعَضَضْتُهُ تَمِيمِيَّةٌ ، وَلَمْ يَسْمَعْ لَهَا بَيَّاتٌ عَلَى لُغَتِهِمْ (شرح القاموس وعَضَضْتُهُ تَعَضِضُناً لُغَةً تَمِيمِيَّةً) (ص ٥٠) .

٢- وَغَضُّ مِنْ صَوْتِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ كَفَفْتَهُ فَقَدْ غَضَصْتَهُ ، وَالْأَمْرُ مِنْهُ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ اغْضَضُ . وَأَهْلُ نَجْدٍ يَقُولُونَ غَضُّ طَرَفِكَ بِالْإِدْغَامِ ، قَالَ جَرِيرٌ :
فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْباً بَلِغْتَ وَلَا كِلَاباً

٣- وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَقَالَ فَاطِلَتْ نَفْسَهُ بِالظَّاءِ لُغَةً قَيْسٍ ، وَفَاضَتْ بِالضَّادِ لُغَةً تَمِيمٍ ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ سَمِعْتُ أَبَا زَيْدٍ يَقُولُ بَنُو صَبَّةٍ وَحَدَهُمْ يَقُولُونَ فَاضَتْ نَفْسُهُ ، وَكَذَلِكَ حَكَى الْمَازِنِيُّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ ، قَالَ كُلُّ الْعَرَبِ تَقُولُ فَاطِلَتْ نَفْسُهُ إِلَّا بَنِي صَبَّةٍ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ فَاضَتْ نَفْسُهُ بِالضَّادِ ، وَأَهْلُ الْحِجَازِ وَطِيُّ يَقُولُونَ فَاطِلَتْ نَفْسُهُ وَقَضَاعَةُ وَتَمِيمٌ وَقَيْسٌ يَقُولُونَ فَاضَتْ نَفْسُهُ مِثْلَ فَاضَتْ دَمْعَتُهُ ، وَزَعَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهَا لُغَةٌ لِبَعْضِ بَنِي تَمِيمٍ يَعْنِي فَاطِلَتْ نَفْسُهُ وَفَاضَتْ (ص ٧٧) .

٤- وَكَرَضَتْ النَّاقَةُ تَكَرِضُ كَرِضاً وَالْكَرِاضُ فِي لُغَةِ طَيْءِ الْخِدَاجِ (ص ٩٣) .

٥- إِذَا أَرَادَتْ النَّاقَةُ أَنْ تَضَعَ قِيلَ مَحَصَتْ ، وَعَامَّةُ قَيْسٍ وَتَمِيمٍ وَأَسَدٌ يَقُولُونَ مَخَصَتْ بِكَسْرِ الْمِيمِ ، وَيَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي كُلِّ حَرْفٍ كَانَ قَبْلَ أَحَدِ حُرُوفِ الْحَلْقِ فِي فَعِلَتْ وَفَعِيلَ يَقُولُونَ يَعْيزُ وَزَيْيِرُ وَشَهِيْقُ وَيَهْلَتْ الْإِبِلُ وَسِخِرَتْ مِنْهُ (ص ٩٥) .

٦- أَبُو عُبَيْدَةَ مَضَنَى الْأَمْرُ وَأَمَضَنَى ، وَقَالَ أَمَضَنَى كَلَامُ تَمِيمٍ (ص ١٠١) .

٧- أَبُو سَعِيدٍ الْأَنْوَاضِ وَالْأَنْوَاطُ وَاحِدٌ ، وَهِيَ مَانُوطٌ عَلَى الْإِبِلِ إِذَا أَوْقَرَتْ قَالَ رُوَيْةٌ :

جَاذِبْنَ بِالْأَصْلَابِ وَالْأَنْوَاضِ

(ص ١١٦) .

٨- وَأَهْلُ الْيَمَنِ يَسْمَوْنَ النَّبْلَ الَّذِي يَرْمَى بِهِ حَنْطاً (ص ١٤٧) .

- ٩- وأهل الشام يسمون الخمر الرُّسَاطُون وسائر العرب لا يعرفونه ، قال وأراها رومية دخلت في كلام من جاورهم من أهل الشام ، ومنهم من يقلب السين شينا فيقول رشاطون (ص ١٧٥) .
- ١٠- ورجل سَبَط الشعر وسَبِطَه ، ولغة أهل الحجاز رجل سَبِط الشعر وامرأة سَبِطَة (ص ١٨٠) .
- ١١- والسَّرَاطُ السبيل الواضح ، والصراط لغة في السراط ، والصاد أعلى لمكان المضارعة وإن كانت السين هي الأصل ، قال الفراء ونفر من بلغبر يصيرون السين ، إذا كانت مقدمة ، ثم جاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء ، صاداً ، وذلك أن الطاء حرف تضع فيه لسانك في حنكك فينطبق به الصوت فقلبت السين صاداً صورة الطاء واستخفوها ؛ ليكون المخرج واحداً كما استخفوا الإدغاء ، فمن ذلك قولهم الصراط والسراط ، قال وهي بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب ، قال وعامة العرب تجعلها سينا (ص ١٨٥) .
- ١٢- ويقال هو سعيط النفس أي سخيها طيبتها لغة أهل الحجاز (ص ١٨٧) .
- ١٣- قال أبو تراب سمعت بعض قيس يقول اشمعت القوم في الطلب واشمعلوا إذا نادروا فيه وتغرقوا (ص ٢١٠) .
- ١٤- الغلاطُ الفجأة لغة هذلي لقيته قَلَطاً وفلاطاً أي فجأة هذلية ، وأقلطنى الرجل إفلطاً مثل أفلتنى ، وقيل لغة في أفلتنى تميمية قبيحة (ص ٢٤٧) .
- ١٥- القَحْطَى من الرجال ، الأكل الذي لا يبقى من الطعام شيئاً وهذا من كلام أهل العراق ، وقال الأزهرى هو من كلام الحاضرة دون أهل البادية والتقحيط في لغة بنى عامر التلقيح (ص ٢٤٩ ، ٢٥٠) .
- ١٦- كشط الغطاء عن الشيء والجلد عن الجزور ، والقشط لغة فيه ، قيس تقول كشطت وتميم تقول قشطت بالقاف ، قال ابن سيده وليست الكاف في هذا بدلاً من القاف ، لأنهما لغتان لأقوام مختلفين ، وقال يعقوب قريش تقول كشط وتميم وأسد يقولون قشط (ص ٢٦٢ ، ٢٦٣) .
- ١٧- قال ابن الأثير المُنْطَى بالقصر والمُنْطَاة القشرة الرقيقة بين عظم الرأس ولحمه ، وأهل الحجاز يمسونها السُمْحَاق (ص ٢٨٥) .
- ١٨- والواسطُ الباب هذلية (ص ٣١١) .

- ١٩- والوطواط الخفّاش وأهل الشام يسمونه السُرُوع (ص ٣١٢) .
- ٢٠- الوَقْطُ والوَقِيْطَة حفرة في علّط أو جبل يجتمع فيه ماء السماء ، والجمع وَقِطَانٌ ووِقَاطٌ وإقاط الهمزة بدل الواو ، ولغة تميم في جمعه الإقاط مثل إشاح يصيرون كل واو تجيء على هذا المثال ألفا (ص ٣١٢ ، ٣١٣) .
- ٢١- قال أبو تراب سمعت أعرابياً من أشجع يقول بهضنى الأمر وبهظنى ، قال ولم يتابعه أحد على ذلك (ص ٣١٥) .
- ٢٢- الدَّظُّ هو الشَّلُّ بلغة أهل اليمن دَظُّهم في الحرب يدُظُّنهم دَظًّا طردهم يمانية (ص ٣٢٣) .
- ٢٣- قال الفراء يقال فاضت نفسه تَفِيضُ فيضاً وفِيوضاً ، وهى فى تميم وكتب ، وأفصح منها وأثر فاضت نفسه فيوطاً والله أعلم . وفاظت نفسه تَفِيظُ ؛ أى خرجت روحه وكرهها بعضهم ، الليث فاضت نفسه فيظاً وفيظوطة إذا خرجت والفاعل فائظ ، وزعم أبو عبيدة أنها لغة لبعض تميم يعنى فاضت نفسه وفاضت ، وحكى عن أبى عمرو بن العلاء أنه لا يقال فاضت نفسه ولا فاضت إنما يقال فاض فلان ويقال فاض الميت ، قال ولا يقال فاض بالضاد بثةً ، ابن السكيت يقال فاض الميت يفيض فيظا ويفوظ فوظا كذا رواها الأصمعى (ص ٣٣٣) .
- الفراء أهل الجواز وطىء يقولون فاضت نفسه وقضاعة وتميم وقيس يقولون فاضت نفسه مثل فاضت دمعته ، وقال أبو زيد وأبو عبيدة فاضت نفسه بالطاء لغة قيس وبالضاد لغة تميم ، وروى المازنى عن أبى زيد أن العرب تقول فاضت نفسه بالطاء إلا بنى ضبة فإنهم يقولونه بالضاد (ص ٣٣٤) .
- ٢٤- والبالوعة والبلوعة لغتان ، وبالوعة لغة أهل البصرة (ص ٣٦٧) .
- ٢٥- الباعُ والبوعُ مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما الأحييرة هذلية ، قال أبو ذؤيب:
- فلو كان حبلاً من ثمانين قامَةً وخمسين بوعاً نالها بالأناملِ (ص ٣٦٩) .
- ٢٦- والتَّرِعُ السفيةُ السريعُ إلى الشر ، وروى الأزهري عن الكلابيين فلان ذو مترعةٍ إذا كان لا يغضب ولا يعجل ، قال وهذا ضد التَّرِع (ص ٣٨١) .

- ٢٧- والجَزْعُ المحور الذي تدور فيه المحالة لغة يمانية (ص ٣٩٩) .
- ٢٨- يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، والقراء قرأوها بالثقل ويقال يوم الجمعة لغة بني عَقِيل ولو قرئ بها كان صواباً ، قال والذين قالوا الجمعة ذهبوا بها إلى صفة اليوم أنه يجمع الناس كما يقال رجل همزة (ص ٤٠٩ ، ٤١٠) .
- ٢٩- قال الفراء بنو أسد يقولون إن الشَّعْرَ لَمْخَادِعٍ وقد خدع إذا ارتفع وغلا (ص ٤١٨) .
- ٣٠- والحُضَّةُ من النخل التي تنبت من النواة لغة بن حنيفة (ص ٤٢٧) .
- ٣١- الدُّعْعُ الرطء الشديد لغة يمانية قال والدُّعْعُ والدُّعْعُ واحد (ص ٤٣٥) .
- ٣٢- والدَّقْعاء الذرة يمانية (ص ٤٤٥) .
- ٣٣- الدُّوعُ ضرب من الحيتان يمانية (ص ٤٤٧) .
- ٣٤- قال الجوهري وحكى عن بعض بني أسد فتح الباء في الأريعاء (ص ٤٦٦) .
- ٣٥- وَرَجَعْتُهُ أَرْجِعُهُ رَجْعاً وَمَرْجِعاً وَمَرْجِعاً وَأَرْجَعْتُهُ فِي لُغَةِ هَذِيلٍ ، قال وحكى أبو زيد عن الضَّبِّيِّينَ أَنَّهُمْ قَرَأُوهُ (أَفَلَا يَرُونَ أَن لَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا) (ص ٤١) .
- ٣٦- رَضَعَ الصَّبِيَّ وغيره يَرْضَعُ مثال ضرب يضرب لغة نجدية ، ورضع مثال سمع يرضع (ص ٤٨٤) .

الجزء العاشر

- ١- وفي التهذيب ، سَدَعُ الرجل نُكِبَ يمانية (ص ١٤) .
- ٢- كل ما يذكر في ترجمة صَقَّ بالصاد فالسين فيه لغة ، قال الخليل كل صاد تجيئ قبل القاف ، وكل سين تجيئ قبل القاف ، فللعرب فيه لغتان : منهم من يجعلها سيناً ، ومنهم من يجعلها صاداً لا يبالون أمتصلة كانت بالقاف أو منفصلة بعد أن يكونا في كلمة واحدة ، إلا أن الصاد في بعض أحسن والسين في بعض أحسن (ص ٢٢) .
- ٣- ومَهْرُ سَنِيع كثير وقد أَسْنَعَه إذا كَثَرَه عن ثعلب ، والسنائع في لغة هذيل الطرق في الجبال وأحدثها سَنِيعَة (ص ٣٣) .
- ٤- وقال أبو عبيدة لرؤية ما الودى فقال يسمى عندنا السُوعَاء (ص ٣٤) .
- ٥- صارعه فَصَرَّعَهُ يَصَرَّعُهُ صَرَّعاً وَصَرَّعاً الفتح لتميم والكسر لقيس عن يعقوب (ص ٦٤) .
- ٦- وفي الحديث من زنى من امْبَكَّرَ فاصفعوه مائة أى اضربوه ، وقوله من امبكر لغة أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميماً (ص ٦٨) .
- ٧- الصَّنُتْعُ الشاب الشديد ، وحمار صُنُتْعُ صُلْبُ الرأس نأتى الحاجبين عريض الجبهة ، والصننع عند أهل اليمن الذئب عن كراع (ص ٨٢) .
- ٨- قال الفراء الصَّرِيعُ نبت يقال له الشَّبْرَقُ وأهل الحجاز يسمونه الصريع إذا يبس ، وقال ابن الأعرابي الصريع العوسج الرطب ، فإذا اجف فهو عوسج (ص ٩٢) .
- ٩- قال شمر طَبَعَ إِذَا دَنَسَ وَطَبَعَ وَطَبِعَ إِذَا دُنَسَ وَعَيْبَ وَأُنْشَدْتَنَا أُم سَالِمُ الْكَلَابِيَّةُ :
ويحمدُها الجيران والأهل كلهم وَتَبْغِضُ أَيْضاً عَنْ تَسَبُّ فَتُطْبَعَا
وقال ابن الطبرية :
وعن تَخْلَطَى فِي طَيِّبِ الشَّرْبِ بَيْنَنَا مِنْ الْكَدْرِ الْمَائِي شَرِبَا مُطْبَعَا

أراد أن تخلطى وهي لغة تميم ، والمطبع الذي نُجس (ص ١٠٤)
والمابى الماء الذي تأبى الإبل شربه .

١٠- الفَعْفَعَةُ والفَعْفَعُ حكاية بعض الأصوات والفَعْفَعَانِي الجازر (الجزّار) هذلية
(ص ١٢٦) .

١١- وفَنَى بمعنى فَنَى في لغات طيء (ص ١٣٧) .

١٢- الْمُقَرَّصِيعُ الْمُخْتَفِي ، وقال أعرابي من بني تميم إذا أكل الرجل وحده من
اللّوم فهو مقَرَّصِيع (ص ١٤٣) .

١٣- القُطْعَةُ في طيء كالعنينة في تميم ، وهو أن يقول يا أبا الحكا يريد يا أبا
الحكم فيقطع كلامه (ص ١٥٩) ..

١٤- قال الأزهرى سمعت البحرانيين يقولون للقسب إذا ببس وتقعقع تمر سخ وتمر
قعقاع (ص ١٦١) .

١٥- وقول سيف بن ذي يزن حين قاتل الحبشة :

قد علمت ذاتُ امنطع أنى إذا امموتُ كنع
أضربهم بذا امقلع لا أتوقى بامجزع
اقتربوا قرف امقمع

أراد ذات النطع ، وإذا الموت كنع ، فأبدل من لام المعرفة ميماً (ص ١٦٩) .

١٦- الكتّع ولد الثعلب ، والكتّع الذئب بلغة أهل اليمن (ص ١٨٠) .

١٧- الكُسْعُومُ الحمار بالحميرية (ص ١٨٥)

١٨- التكتّع التحالف والتجمّع لغة يمانية ، وبه سمي ذو الكلاع بالفتح ، وهو ملك
حميرى من ملوك اليمن من الأذواء ، وسمى ذا الكلاع لأنهم تكّلّوا على يديه
أى تجمعوا (ص ١٨٨) .

١٩- اللّخع استرخاء الجسم يمانية (ص ١٩٣) .

٢٠- وأراد بالحدو الحدأة وهي لغة أهل مكة (ص ٢٠٢) .

٢١- وحكى الكسائى عن ربيعة وغنم أنهم يسكنون العين من مع فيقولون معكم
ومعنا (ص ٢١٨) .

- ٢٢- وَمِنَّا بِمَعْنَى أَمْنَعُ قَالَ اللّٰحْيَانِي وَزَعَمَ الْكَسَائِي أَنَّ بَنِي أَسَدٍ يَفْتَحُونَ مَنَاعَهَا وَدِرَاكَهَا وَمَا كَانَ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ وَالْكَسْرِ أَعْرَفَ (ص ٢٢١) .
- ٢٣- وَبَنُو أَسَدٍ يَقُولُونَ بِيَجَعُ بِكَسْرِ الْيَاءِ وَهُمْ لَا يَقُولُونَ يَعْلَمُ اسْتِثْقَالًا الْكَسْرَةَ عَلَى الْيَاءِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتِ الْيَاءُ أَنْ قَرِيبًا وَاحْتَمَلَتْ مَا لَمْ تَحْتَمِلْهُ الْمَفْرَدَةُ (ص ٢٥٩) .
- ٢٤- تَسْمَى الرِّيحُ الْجَنُوبَ بِلُغَةِ هَذِيلِ النَّعَامِي (ص ٢٩٦) .
- ٢٥- الْبَالِغَاءُ الْأَكَارِعُ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَهِيَ بِالْفَارْسِيَةِ بَايْهَا (ص ٣٠٣) .
- ٢٦- الصَّدْعُ وَرِيْمًا قَالُوا السَّدْعُ بِالسِّينِ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُسْتَنِيرِ قَطْرَبُ بْنُ قَوْمًا مِنْ تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُمْ بِلُغَتِهِمْ يَقْلِبُونَ السِّينَ صَادًا عِنْدَ أَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ عِنْدَ الطَّاءِ وَالْقَافِ وَالغَيْنِ وَالخَاءِ إِذَا كُنَّ بَعْدَ السِّينِ وَلَا تَبَالِي أَثَانِيَّةٌ كُنَّ أَمَّ ثَالِثَةٌ أَمَّ رَابِعَةٌ بَعْدَ أَنْ يَكُنَّ بَعْدَهَا يَقُولُونَ سَظَاطٌ وَصِرَاطٌ ، وَبِسُطَةٍ وَبِصُطَةٍ ، وَسَيَقِلُّ وَصَيَقِلُّ ، وَسَرْقَتٌ وَصَرْقَتٌ ، وَمُسْغَبٌ وَمُصْغَبَةٌ ، وَمِسْذَغَةٌ وَمِصْذَغَةٌ ، وَسَخَرَلَكُمْ ، وَصَخَرَلَكُمْ ، وَالسَّخْبُ وَالصَّخْبُ (ص ٣٢٢) .
- ٢٧- وَرَجُلٌ صَانِعٌ وَصَوَّاعٌ وَصَيَّاعٌ مُعَاقِبَةٌ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ ، قَالَ الْفَرَاءُ بَنُو سَلِيمٍ وَهُوَ زَيْنٌ وَأَهْلُ الْعَالِيَةِ وَهَذِيلٌ يَقُولُونَ هُوَ أَخُوهُ صَوْغُهُ بِالْصَادِ قَالَ وَأَكْثَرُ الْكَلَامِ بِالسِّينِ (ص ٣٢٥) .
- ٢٨- الْأُكَّافُ مِنَ الْمَرَائِبِ شَبَهُ الرِّجَالِ ، وَكَافٌ ، قَالَ اللّٰحْيَانِي أَكْفَ الْبَغْلَ لُغَةَ بَنِي تَمِيمٍ وَأَوَكْفَهُ لُغَةَ أَهْلِ الْحِجَازِ (ص ٣٥١) .
- ٢٩- الْمَجْدَافُ السُّوْطُ لُغَةُ نَجْرَانِيَّةٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ (ص ٣٦٦) .
- ٣٠- وَالْخَشْفُ الْخَزْفُ يَمَانِيَّةٌ (ص ٤١٨) .
- ٣١- وَأَهْلُ الْبَحْرَيْنِ يَسْمَوْنَ جِلَالَ التَّمْرِ خَضَفًا ، وَالْخَصْفُ الْخَزْفُ (ص ٤٢٠) .
- ٣٢- قَالَ ابْنُ بَرِّي الْمَخَالِيفُ لِأَهْلِ الْيَمَنِ كَالْأَجْنَادِ لِأَهْلِ الشَّامِ وَالْكُورِ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَالرَّسَاتِيقِ لِأَهْلِ الْجِبَالِ وَالطَّسَاسِيجِ لِأَهْلِ الْأَهْوَازِ (ص ٤٣٢) .

الجزء الحادي عشر

١- ودُقِفَ على الجريح كذُفَفَ أَجْهَزَ عليه وكذلك دَافَةُ مُدَافَهُ وَدِافَاهُ وَدَافَاهُ الأَخِيرَةُ جَهِينِيَّةٌ ، وفي حديث ابن مسعود أَنَّهُ دَافَ أَبَا جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ أَيْ أَجْهَزَ عَلَيْهِ وَحَرَّرَ قَتْلَهُ يُقَالُ دَافَقْتُ عَلَيْهِ وَدَافِقَتُهُ وَدُقِفْتُ عَلَيْهِ تَدْفِيفاً ، وفي حديث خالد أَنَّهُ أَسْرَ مِنْ بَنِي جَذِيمَةَ قَوْماً فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ نَادَى مُنَادِيَهُ أَلَا مَنْ كَانَ مَعَهُ أَسِيرٌ فَلْيَدِافِهِ مَعْنَاهُ فَلْيَجْهَزْ عَلَيْهِ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى فَلْيَدِافِهِ بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ مِنْ دَافِقَتِهِ وَهِيَ لُغَةٌ لَجْهِينَةٍ ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ أَنَّهُ أَتَى بِأَسِيرٍ فَقَالَ أَدْفُوهُ يَرِيدُ الدَّفْعَ مِنَ الْبَرْدِ فَقَتَلُوهُ فَوَدَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، (ص ٤) (انظر أيضاً ج ١٨ ص ٢٨٩ ، انظر ج ١ ص ٧٠) .

دفا الجريح دَفَوْاً أَجْهَزَ عَلَيْهِ ، وفي الحديثُ أَنَّ قَوْماً مِنْ جَهِينَةٍ جَاءُوا بِأَسِيرٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ يَرْعُدُ مِنَ الْبَرْدِ فَقَالَ لَهُمْ أَذْهَبُوا بِهِ فَأَدْفُوهُ يَرِيدُ الدَّفْعَ مِنَ الْبَرْدِ ، وَهِيَ لُغَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَدْفُوهُ مِنَ الْبَرْدِ فَوَدَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٢- دَافَ الشَّيْءُ دَوْفاً وَأَدَافَهُ خَلَطَهُ وَأَكْثَرَ فِي الدَّوَاءِ وَالطِّيبِ ، وَمِسْكٌ مَدَوُوفٌ مَدَوْفٌ جَاءَ عَلَى الْأَصْلِ وَهِيَ تَمِيمِيَّةٌ (ص ٧) .

٢- رَضِفَتُ الْوَسَادَةَ تَنِيَّتُهَا يَمَانِيَّةٌ (ص ٢٢) .

٤- الزُّحْلُوفَةُ أَثَارُ تَزَكُّجِ الصَّبِيَّانِ مِنْ فَوْقِ التَّلِّ إِلَى أَسْفَلِهِ ، وَهِيَ لُغَةُ أَهْلِ الْعَالِيَةِ وَتَمِيمٌ يَقُولُهُ بِالْقَافِ (ص ٣١) (رويت هنا أبيات منفردة منسوبة لأوس ابن حجر ، ومزاحم العقيلي والعجاج) .

٥- أَبُو زَيْدٍ السَّدْفَةُ فِي لُغَةِ بَنِي تَمِيمٍ الظُّلْمَةُ قَالَ وَالسَّدْفَةُ فِي لُغَةِ قَيْسِ الضُّوءِ ، وَحَكَى الْجَوْهَرِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ السَّدْفَةُ وَالسَّدْفَةُ فِي لُغَةِ نَجْدِ الظُّلْمَةِ وَفِي لُغَةِ غَيْرِهِمُ الضُّوءُ ، وَهِيَ مِنَ الْأَضْدَادِ (ص ٤٦) .

٦- قَالَ أَرْضُ الْجَنَّةِ مَسْلُوقَةٌ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ هِيَ الْمُسَوَّاةُ أَوْ الْمُسَوَّاةُ قَالَ وَهَذِهِ لُغَةُ أَهْلِ الْيَمَنِ وَالطَّائِفِ (ص ٦١) .

الشَّخْفُ قَشْرُ الْجُلْدِ يَمَانِيَّةٌ ، الشَّخَافُ اللَّبَنُ حَمِيرِيَّةٌ (ص ٦٩) .

- ٧- الشَّرْنَفُ ورق الزرع إذا كثر وطال وخشيَ فساده ، فُقطِعَ يقال حينئذٍ شَرْنَفَتِ الزرع إذا قطعت شرنافه ، قال الأزهرى وهى كلمة يمانية (ص ٧٧) .
- ٨- وأهل هَجَرَ يقولون للمجنون مشعُوف وبه شُعَاف أى جنون (ص ٧٩) .
- ٩- المَصْحَف والمَصْحَف الجامع للصحف المكتوبة بين الدَفَتَيْن كأنه أُصْحَف والكسر والفتح فيه لغة ، قال أبو عبيد تميم تكسرهما وقيس تضمها ، ولم يذكر من يفتحها ولا أنها تفتح إنما ذلك من اللحياني عن الكسائي (ص ٨٨) .
- ١٠- الصَّخْبُ حفر الأرض والمِصْحَفَةُ المِسْحَاةُ يمانية (ص ٨٩) .
- ١١- قال الأزهرى سمعت أعرابياً من بنى حنظلة يسمى المِصْطَبَةُ المِصْطَفَةَ بالفاء (ص ٩٥) .
- ١٢- ماذا عَدُوّاً ولا عَدُوّاً أى شَيْفاً والذال المعجمة فى كل ذلك لغة ، قال أبو حسان سمعت أبا عمرو الشيباني يقول ما ذقت عَدُوّاً ولا عَدُوفاً قال وكنت عند يزيد بن مزيد الشيباني فأنشدته بيت قيس بن زهير :
- وَمُجَنَّبَاتٍ مَازِدْنَ عَدُوفاً يَقْدَقْنَ بِالْمُهَرَّاتِ وَالْأُمَهَارِ
- بالذال فقال لى يزيد صحفت أبا عمرو ، وإنما هى عذوفة بالذال قال فقلت له لم أصحف أنا ولا أنت ، تقول ربيعة هذا الحرف بالذال ، وسائر العرب بالذال (ص ١٣٩ ، ١٤٠) .
- ١٣- الغادِفُ الملاح يمانية ، والغادِف والمِغْدَفَةُ والغادِوف والمِغْدَفُ المِجْدَاف يمانية (ص ١٦٩) .
- ١٤- والغَرِيفَةُ جبل معقود بأنشوطه ، يُلْقَى فى عنق البعير وغرف البعير يغْرِفُه ويغْرِفه غَرْفاً ألقى فى رأسه الغرفة يمانية ، والغريفة النَمْلُ بلغة بنى أسد قال شمر وطىء تقول ذلك (ص ١٧٠) .
- ١٥- القَدَفُ غرف الماء من الحوض أو من شىء تصبّه ، بكفك عُمَانِيَّة (ص ١٨٣) .
- ١٦- والهَيْفُ بالتحريك رِقَّةُ الخَصِرِ وضمور البطن هَيْفٌ هَيْفاً وهافٌ هَيْفاً فهو أهيف ولغة تميم هاف يهاف هَيْفاً وامرأة هيفاء (ص ٢٦٦) .
- ١٧- وَزَفَهُ وَزَفَاً استعجله يمانية (ص ٢٧١) .
- ١٨- الواقِفَةُ القدم يمانية (ص ٢٧٧) .

- ١٩- اللحياني أو كفت البغل أو كفه إيكافاً وهي لغة أهل الحجاز ، وتميم تقول آكفته أو كفه إيكافاً (ص ٢٨١ ، وانظر أيضاً ج ١٠ ص ٣٥١) .
- ٢٠- يُخَنَّقُ الجرادة الجلباب الذي على أصل عنقها وجمعه بخانق وبعض بن عقيل يقول بخنق (ص ٢٩٤) .
- ٢١- البرقي الطيلي حجازية (ص ٢٩٨) .
- ٢٢- البطاقة الورقة عن ابن الأعرابي ، وقال غيره البطاقة رقعة صغيرة وهي كلمة مبتذلة بمصر . وما والاها يدعون الرقعة التي تكون في الثوب وفيها رقم ثمنه بطاقة (ص ٣٠٣) .
- ٢٣- البطريق بلغة أهل الشام والروم هو القائد معرب ، ويقال إن البطريق عربي وافق العجمي وهي لغة أهل الحجاز وقال أمية بن أبي الصلت :
- من كل بطريق يبيط ريق نقي الوجه واضح
- (ص ٣٠٣) .
- ٢٤- قال ابن سيده والحازقة والحزقة العبر طائفة (ص ٣٣١) .
- ٢٥- الحلقة كل شيء استدار كحلقة الحديد والفضة والذهب ، وكذلك هو في الناس ، وقد حكى سيبويه في الحلقة فتح اللام وأنكرها ابن السكيت ، وحكى الأموي حلقة القوم بالكسر ، قال وهي لغة بني الحرث بن كعب (ص ٣٤٦ ، ٣٤٧) .
- ٢٦- الخانق مضيق في الوادي والخانق شعب ضيق في الجبل ، وأهل اليمن يسمون الزقاق خانقاً (ص ٣٨١) .
- ٢٧- وأهل مكة يسمون توابل القدر كلها دقة ، ابن سيده الدقة التوابل وما خلط بها من الأبخار (ص ٣٩٠) والدقة الملح وما خلط به من الأبخار .
- ٢٨- راق الماء يريق ريقاً انصب حكاه سيبويه وأراقه هو إراقة ، وهراقة على البديل عن اللحياني ، وقال هي لغة يمانية ، ثم فشت في مصر (ص ٤٢٨) .

الجزء الثانى عشر

- ١- الزُحْلُوقَةُ آثارُ تَزْلِجِ الصَّبِيَّانِ مِنْ فَوْقَ إِلَى أَسْفَلَ ، قَالَ عَامِرُ بْنُ مَلَاعِبٍ الْأَسْنَةُ :
لَمَّا رَأَيْتُ ضِرَاراً فِى مُسَلَّمَةٍ كَأَنَّمَا حَافَتَاهَا حَافَتَا نَيْقٍ
يَمْمَتُهُ الرَّمَحُ شَزَّراً ثَمَّ قُلْتُ لَهُ هَذِهِ الْمَرْوَةُ لَا لِعَبِّ الزَّحَالِيقِ
(النَّيْقُ أَرْفَعُ مَوْضِعَ فِى الْجَبَلِ) (ص ٣) .
- ٢- الزُّرْقَاقُ السُّكَّةُ يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ قَالَ الْأَخْفَشُ أَهْلَ الْحِجَازِ يُؤْنِثُونَ الطَّرِيقَ وَالسَّرَاطَ
وَالسَّبِيلَ وَالسُّوقَ وَالزُّرْقَاقَ وَالْكَلَاءَ ، وَهُوَ سُوقُ الْبَصْرَةِ ، وَبَنُو تَمِيمٍ يَذْكُرُونَ هَذَا
كُلَّهُ (ص ٩) .
- ٣- كَلَبٌ تَقْلَبُ الصَّادُ مَعَ الْقَافِ زَايَا تَقُولُ أَزْدُقْنِى أَى أَصْدُقْنِى (ص ٦١) .
- ٤- الصَّاقُ لُغَةٌ فِى السَّاقِ عَنَبْرِيَّةٌ ، قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ وَأَرَاهُ ضَرْباً مِنَ الْمَضَارَعَةِ لِمَكَانِ
الْقَافِ ، وَالصُّوَيْقُ لُغَةٌ فِى السُّوَيْقِ الْمَعْرُوفِ لِمَكَانِ الْمَضَارَعَةِ (ص ٧٦) .
- ٥- الطَّرِيقُ ضَرْبٌ مِنَ النَّخْلِ ، وَقِيلَ الطَّرِيقُ أَطْوَلُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّخْلِ بَلْغَةُ الْيَمَامَةِ
وَاحِدَتُهُ طَرِيقَةٌ ، وَقِيلَ الَّذِى يَنَالُ بِالْيَدِ ، وَالطَّرِيقُ النَّخْلَةُ فِى لُغَةِ طِىءَ عَنْ أَبِى
حَنِيفَةَ (ص ٩٣) .
- ٦- الطَّهْقُ سُرْعَةُ الْمَشَى يَمَانِيَّةٌ زَعَمُوا (ص ١٠١) .
- ٧- وَفِى لُغَاتٍ هَذِيلٌ أَعَثَّقَتْ الْأَرْضُ إِذَا أُخْصِبَتْ (ص ١٠٩) .
- ٨- الْعَرَّاقِىُّ عِنْدَ أَهْلِ الْيَمَنِ التَّرَّاقِىُّ (ص ١٢١) .
- ٩- الْعَزِيقُ مُطْمَئِنٌّ مِنَ الْأَرْضِ يَمَانِيَّةٌ (بِالْعَيْنِ وَالزَّيْ) (ص ١٢٢) وَالْعَسَقُ
الْعَرَجُونَ الرَّدَى أَسْدِيَّةٌ .
- ١٠- وَالْعَبْقِيَّةُ نَوَاحِي رَخْوَةٍ كَالْعَجْوَةِ تُؤْكَلُ ، وَنَوَى الْعُقُوقِ نَوَى هَشٍ لَيْنٍ رَخْوٍ
الْمَمْضَغَةِ تَأْكُلُهُ الْعَجْوُزُ أَوْ تُلَوِّكُهُ تَعْلِفُهُ النَّاقَةُ الْعُقُوقُ (الْحَامِلُ) الْإِطَافُ لَهَا فَذَلِكَ
أَضْيَفَ إِلَيْهَا ، وَهُوَ كَلَامُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَلَا تَعْرِفُهُ الْأَعْرَابُ فِى بَادِيَتِهَا
(ص ١٣١) .

- ١١- قال الفراء لغة أهل الحجاز عَمِيقَ وينو تميم يقولون معيق (ص ١٤٣) .
- ١٢- رجلٌ عَوَّقَ لاخير عنده والجمع أعواق ، ورجل عَوَّقَ جبان هذلية (ص ١٥٢) .
- ١٣- ابن سيده الفَحَقَّةَ راحة الكلب بلغة أهل اليمن (ص ١٧٣) .
- ١٤- قال الفراء سمعت أعرابياً من قضاة يقول فُنْتُقُ للفُنْدُق وهو الخان (ص ١٨٨) .
- ١٥- وشيء لَثِقٌ حلو يمانية حكاه الهروى فى الغربيين قال ورواه الأزهري عن على بن حرب وأنشد :
- فَبَغَضُكُمْ عِنْدَنَا مَرٌّ مَذَاقَتُهُ وَبَغَضُنَا عِنْدَكُمْ يَاقَوْمُنَا لَثِقُ
- (ص ٢٠٢) .
- ١٦- لَصِقَ بِهِ يَلْصِقُ لَصُوقاً وهى لغة تميم ، وقيس تقول لَسِقَ بالسَّيْنِ وربيعة تقول لَزِقَ وهى أَقْبَحُهَا ، إلا فى أشياء نصفها فى حدودها (ص ٢٠٥) .
- ١٧- قال أبو زيد لَمَقَ الشَّيْءُ كَتَبَهُ فى لغة بنى عَقِيلَ ، وسائر قيس يقولون لَمَقَهُ محاه (ص ٢٠٨) .
- ١٨- الصَّفُ مِنَ اللَّيْنِ أَوْ الْحِجَارَةِ فى البناء عند أهل الحجاز مِذْمَاكٌ ، وعند أهل العراق سَافٌ (ص ٣١٢) .
- ١٩- الدِّيَكُ فى كلام أهل اليمن الرجلُ المشْفُوقُ الرَّءُومَ ، ومنه سَمِى الدِّيكُ دِيكاً ، قال والدِّيكُ الرِّبِيعُ فى كلامهم (ص ٣١٤) .
- ٢٠- سِيَكٌ بِهِ بِالْكَسْرِ سَدَكاً وَسَدَكاً لَزِمَهُ ، وَالسَّدِكُ المَوْلَعُ بِالشَّيْءِ طَائِفَةٌ (ص ٣٢٣) .
- ٢١- ضَبَكَ الرجلَ وَضَبَكَهُ غَمَزَ يَدِيهِ يَمَانِيَةً (ص ٣٤٥) .
- ٢٢- الْعَنَكُ البابُ يَمَانِيَةً ، وَعَنَّكَ البابُ وَأَعَنَّكَ أَغْلَقَهُ يَمَانِيَةً (ص ٣٥٩) .
- ٢٣- فَذَكَ الْقَطْنَ تَفْدِيكاً نَفَشَهُ وهى لغة أزدية (ص ٣٦١) .
- ٢٤- الْفَرَسُكُ الْخَوْخُ يَمَانِيَةً ، وَقِيلَ هُوَ مِثْلُ الْخَوْخِ فى الْقَدَرِ وَهُوَ أَجْرَدُ أَمْلَسُ أَحْمَرُ وَأَصْفَرُ ، قَالَ شَمْرٌ سَمِعْتُ حَمِيرِيَّةً فَضِيحَةً سَأَلَتْهَا عَنْ بِلَادِهَا فَقَالَتْ : النَّخْلُ

قُلْ ، ولكنْ عِشْتُنَا امْقَمَحُ (القمح) امْفَرَسْكُ ، امْعَنْبُ ، امْحَمَاطُ (الحماطُ =
التين) طوب ، أَى طيِّب فقلت لها مَا الْفَرَسْكُ فقالت امْتِينِ عندكم
(ص ٣٦٣).

٢٥- النَّتْكُ شَبِيهٌ بِالنَّتْفِ يَمَانِيَّة (ص ٣٨٨) .

٢٦- هَلَّاكَ الشَّيْءُ وَهَلَكُهُ وَأَهْلَكَهُ قَالَ الْعَجَاجُ :

وَمَهْمَةٌ هَالِكٍ مَنْ تَعَرَّجَا هَائِلَةٌ أَهْوَالُهُ مَنْ أَدْلَجَا

يعنى مهلك لغة تميم (ص ٣٩٤ ، ٣٩٥) .

الجزء الثالث عشر

١- الليث : الأشلُّ من الذرع (المقاييس) بلغة أهل البصرة يقولون كذا وكذا حبلاً ، وكذا وكذا أشلاً لمقدار معلوم عندهم ، قال أبو منصور وما أراه عربياً ، قال أبو سعيد الأشول هي الحبال ، وهي لغة من لغات النبط قال ولولا أننى نبطى ما عرفته (ص ١٥ ، ١٦) .

٢- التهذيب الإصطقلين الجزر الذى يؤكل لغة شامية الواحدة اصطقلينة ، قال شمر الإصطقلينة كالجزرة ليست بعربية محضة لأن الصاد والطاء لا يكادان يجتمعان فى محض كلامهم ، قال وإنما جاء فى الصراط والإصطقل والاصطمة أن أصلها كلها السين (ص ١٨) .

٣- الأزهرى وخطأ بعضهم قول من يقول : فلان يستأهل أن يكرم أو يهان ، قال وأما أنا فلا أنكره ولا أخطئ من قاله ، لأنى سمعت أعرابياً فصيحاً من بنى أسد يقول لرجل شكر عنده يداً أوليها : تستأهل يا أباحازم ما أوليت (ص ٣٠) .

٤- التهذيب آل فلان من فلان أى وأل منه ونجاه وهي لغة الأنصار يقولون رجل آيل مكان وائل (ص ٤١) .

٥- البرطلة المظلة الصيفية نبطية ، وقد استعملت فى لفظ العربية ، وقال غيره إنما هو ابن الظلة (ص ٥٤) .

٦- ويقال بل مباح مطلق يمانية حميرية (ص ٦٩) .

٧- تميم تقول البلولة من بلّة الثرى وأسد تقول البللة (ص ٧٠) .

٨- قال الفراء والعرب تقول بلّ والله لا آتيك ، وبين والله ، يجعلون اللام فيها نونا ، وهي لغة بنى سعد ولغة كلب ، قال وسمعت الباهليين يقولون لابن بمعنى لابل (ص ٧٤) .

٩- أبو تراب عن بعض بنى سليم : فى الغرارة ثقلّة من تمر وثملة من تمر أى بقية منه (ص ٩٠) .

١٠- الأصمعى إذا اخضر طلع النخيل واستدار ، قبل أن يشتد فإن أهل نجد يسمونه الجدال (ص ١١٠) .

- ١١- قال كراع ويقال للجعل أبو وجزة بلغة طيء (ص ١١٩) .
والجعول ولد النعام يمانية .
- ١٢- الجفال من الزيد كالجفاء ، وكان رؤية يقرأ فأما الزيد فيذهب جفلاً لأنه لم يكن من لغته جفأت القدر ولا جفاً السيل (ص ١٢١) .
- ١٣- وجلّ الداية وجلّكها الذي تلبسه لتصان به ، الفتح عن ابن دريد قال وهى لغة تميمية معروفة (ص ١٢٥) .
- ١٤- والجلّ بالفتح شراع السفينة ، قال شمر رواه أبو عدنان الملاح جلّ وهو الكساء يلبس السفينة ، قال ورواه الأصمعي جلّ وهو لغة بنى سعد بفتح الجيم (ص ١٢٨) .
- ١٥- الحرّجل والحرجلة الجماعة من الخيل تميمية (ص ١٥٨) .
- ١٦- وروى الأزهري بإسناده عن الفراء قال سمعت أعرابياً من بنى سليم ينشد (فإنها حيل الشيطان يحتل) قال وغيره من بنى سليم يقول يحتال بلا همز . المشتق ، قال وغيره يقول المشتاق (ص ١٩٨ ، ١٩٩) .
- ١٧- اللبث لغة تميم حالت عينه تحول حولاً وغيرهم يقول حولت عينه تحول حولاً (ص ٢٠٣) .
- ١٨- الخلال بالفتح البلح واحدته خلالة بالفتح ، قال شمر وهى بلغة أهل البصرة (ص ٢٣٣) .
- ١٩- قال ابن الأثير الخولى عند أهل الشام القيم بأمر الإبل وإصلاحها ، من التخول التعهد وحسن الرعاية (ص ٢٣٩) .
- ٢٠- وفي الحديث ما إخالك سرقت أى ما أظنك ، وتقول فى مستقبله إخال بكسر الألف ، وهو الأفضح ، وينوأسد يقولون أخال بالفتح وهو القياس ، والكسر أكثر استعمالاً (ص ٢٤٠) .
- ٢١- وقال محمد بن حبيب : الدئل فى كنانة بضم الدال وكسر الهمزة ، قال وكذلك فى الهون بن خزيمه أيضاً ، والدئل فى الأزدي بكسر الدال وإسكان الياء (ص ٢٤٨) .
- ٢٢- الدركلة لعبة يلعب بها الصبيان وقيل هى لعبة للعجم معرب قال ابن دريد أحسبها حبشية معربة ، وقال أبو عمرو هو ضرب من الرقص (ص ٢٥٩) .

- ٢٣- لَادَهْلْ أَى لَا تَخَفْ نَبْطِيَّةٌ مَعْرِيَّة (ص ٢٦٧) .
- ٢٤- التَّرَاجِيلُ الكَرَفْسُ سَوَادِيَّةٌ ، وَفِي التَّهْذِيبِ بَلْغَةُ الْعَجْمِ وَهُوَ اسْمُ سَوَادِيٍّ مِنْ يَقُولُ الْبَسَاتِينِ (ص ٢٩١) .
- ٢٥- الرُّكْلُ الكُرَاتُ بَلْغَةُ عَبْدِ الْقَيْسِ (ص ٣١٣) .
- ١٦- نَزِيلَ الْقَوْمِ تَزِيلًا وَتَزِيلًا تَفَرَّقُوا الْأَخِيرَةَ حِجَازِيَّةٌ ، رَوَاهَا اللَّحْيَانِيُّ قَالَ وَرَبِيعَةٌ تَقُولُ تَزَايِلُ الْقَوْمِ تَزَايِلًا (ص ٣٣٦) .
- ٢٧- الْغُرَاءُ يُقَالُ لِلتَّمْرِ الَّذِي لَا يَشْتَدُّ نَوَاهُ الشَّيْصُ ، قَالَ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْمُونَهُ السُّخْلَ وَالسُّخْلُ بَضْمُ السَّيْنِ ، وَتَشْدِيدُ الْخَاءِ الشَّيْصُ عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ (ص ٣٥٣) .
- وَيُقَالُ سَخَلْتُ الرَّجُلَ إِذَا عَبَتْهُ وَضَعَفَتْهُ ، وَهِيَ لُغَةٌ هَذِيلٌ .
- ٢٨- السَّمَالُ شَجَرُ يَمَانِيَّةٍ (ص ٣٦٩) .
- ٢٩- التَّهْذِيبُ فِي الرَّبَاعِيِّ : الشُّشْقَةُ كَلِمَةٌ حِمْيَرِيَّةٌ ، لَهْجٌ بِهَا صَيَارْفَةُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي تَعْبِيرِ الدَّنَانِيرِ (وَزْنُهَا) يَقُولُونَ قَدْ شُشْقَتْنَا أَيَّ عَيْرِنَاهَا أَى وَزْنَاهَا دِينَارًا دِينَارًا ، وَلَيْسَتْ الشُّشْقَةُ عَرَبِيَّةً مُحَضَّةً (ص ٣٧٥) .
- ٣٠- الْكَسَائِيُّ الصَّنِيبُ الدَاهِيَّةُ ، وَلُغَةٌ بَنُو ضَبَّةِ الصَّنِيبِ قَالَ : وَالضَّادُ أَعْرَفُ ، وَأَبُو عَبِيدَةَ رَوَاهُ الصَّنِيبُ بِالضَّادِ ، قَالَ وَلَمْ أَسْمَعْهُ بِالضَّادِ إِلَّا مَا جَاءَ بِهِ أَبُو تَرَابٍ (ص ٤٠١) .
- ٣١- صَلَّ الشَّرَابُ يَصْلُهُ صَلًّا صَفَاءً وَالْمِصْلَةُ الْإِنَاءُ الَّذِي يُصَفَّى فِيهِ يَمَانِيَّةٌ (ص ٤٠٨) .
- ٣٢- اِضْمَحَلَّ السَّحَابُ تَقَشَّعَ وَاضْمَحَلَّ الشَّيْءُ أَى ذَهَبَ ، وَفِي لُغَةِ الْكَلَابِيِّينَ اِضْمَحَلَّ بِتَقْدِيمِ الْمِيمِ حَكَاهَا أَبُو زَيْدٍ (ص ٤١٤) .
- ٣٣- بَنُو تَمِيمٍ يَقُولُونَ وَضَلَّتْ أَضَلَّ ضَلَّتْ أَضَلَّ ، وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ أَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ ضَلَّتْ أَضَلَّ ، وَأَهْلُ نَجْدٍ يَقُولُونَ ضَلَّتْ أَضَلَّ ، وَأَهْلُ الْعَالِيَةِ يَقُولُونَ ضَلَّتْ بِالْكَسْرِ أَضَلَّ ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ لُغَةُ نَجْدٍ هِيَ الْفَصِيحَةُ (ص ٤١٤) .
- ٣٤- الطُّفَالُ وَالطُّفَالُ الطَّيْنُ الْيَابِسُ يَمَانِيَّةٌ (ص ٤٢٩) .
- ٣٥- ظَلَّ نَهَارُهُ يَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا ، يَظِلُّ ظِلًّا وَظُلُولًا وَظَلَّتْ أَنَا وَظَلَّتْ وَظَلَّتْ قَالَ وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَحْذِفُ لَامَ ظَلَّتْ وَنَحْوَهَا حَيْثُ يَظْهَرَانِ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ

يكسرون الظاء على كسرة اللام ، التي أَلْقَيْتُ فيقولون ظَلِنَا وظَلْتُمْ (ص ٤٤١) .

٣٦- والعَرَجَلَّةُ من الخيل القطيع ، وهي بلغة تميم الحَرَجَلَّةُ (ص ٤٦٥) .

٣٧- وحكى أبو زيد أن لغة عَقِيلَ لَعَلَّ زَيْدٍ منطلق بكسر اللام من لَعَلَّ وجر زَيْدٍ ، وقال الأخفش ذكر أبو عبيدة أنه سمع لام لَعَلَّ مفتوحة في لغة من يجريها (ص ١٠٥) .

٣٨- والمُعَامَلَةُ في كلام أهل العراق هي المُسَاقَاةُ في كلام الحجازيين (ص ٥٠٤) .

الجزء الرابع عشر

- ١- واسم ماتغزل به المرأة المغزَل والمغزَل والمغزَل تميم تكسر الميم ، وقيس تضمها والأخيرة أقلها (ص٤) .
- ٢- النضر فى كتاب الزرع : القَلُّ التذرية فى لغة أهل اليمن (ص٤٥) .
- ٣- وفي حديث معاوية أنه صعد المنبر وفي يده قليلة وطريدة القليلة الكيبة من الشعر والقليل الليف هذلية (ص٤٨) ، وأهل اليمن يسمون ثمر الغاف قلفلاً .
- ٤- القُمَّلُ والقَلَمُ القُدح الضخم بلغة هذيل (ص٨٧) .
- ٥- وينوأسد يقولون : قول وقيل بمعنى واحد (مبنى للمجهول) (ص٩٢) .
- ٦- المقُولُ القَيْلُ بلغة أهل اليمن ، قال ابن سيده المقُولُ والقَيْلُ الملك من ملوك حمير (ص٩٤) .
- ٧- وبز مكيل ويجوز فى القياس مكْيول ولغة بنى أسد مكُول ولغة رديئة مكال ، قال الأزهرى أما مكال فمن لغات الحضريين ، قال وما أراها عربية محصة ، وأما مكول فهي لغة رديئة ، واللغة الفصيحة مكيل ، ثم يليها فى الجودة مكْيول (ص١٢٥) .
- ٨- قال الفراء أملت لغة أهل الحجاز وبنى أسد ، وأملت لغة بنى تميم وقيس (ص١٥٤) .
- ٩- وأهل الحجاز يؤنثون النخل ، وفى التنزيل العزيز والنخل ذات الأكمام ، وأهل نجد ينكرونها (ص١٧٥) .
- ١٠- وكتاب منمل مكتوب هذلية (ص٢٠٤) .
- ١١- والنول الوادى السائل خثعمية عن كراع (ص٢٠٨) .
- ١٢- الجوهري فى المستقبل منه أربع لغات يوجَل ويَجَل ويَجَل ويَجَل بكسر الياء ، قال وكذلك فيما أشبهه من باب المثال إذا كان لازماً ، فمن قال ياجل جعل الواو ألفاً لفتحة ما قبلها ، ومن قال ييجل بكسر الياء فهي على لغة بنى أسد، فإنهم يقولون أنا ييجل ونحن نيجل وأنت تيجل ، كلها بالكسر ، وهم لا يكسرون الياء فى يعلم لاستثقالهم الكسر على الياء ، وإنما يكسرون فى ييجل لتقوى إحدى الياءين بالأخرى (ص٢٤٨) .

- ١٣- الوَذِيلَةُ المرأة طائفة ، قال أبو عمرو قال الهذلي الوذيلة المرأة في لغتنا (ص ٢٤٩) .
- ١٤- المُوْتَصِّلَةُ لغة قريش فإنها لاتدغم هذه الواو وأشباهها في التاء فتقول موْتَصِّل وموتَفَّق وموتَعِد ونحو ذلك ، وغيرهم يدغم فيقول مَتَصِّل ومَتَفَّق (ص ٢٥٣) .
- ١٥- الأُجَمُ القصر بلغة أهل الحجاز ، وفي الحديث حتى توارثُ بآجام المدينة أي حصونها (ص ٢٧٣) .
- ١٦- الأرومة الأصل ، قال ابن الأثير الأرومة بوزن الأكلة الأصل (ص ٢٧٩) . والأرومة والأرومة الأخيرة تميمية الأصل والجمع أروم (ص ٢٨١) .
- ١٧- قال الليث وتكون «أم» مبتدأ الكلام في الخبر وهي لغة يمانية ، يقول قائلهم : أم نحن خرجنا خيار الناس ، أم نطعم الطعام ، أم نصرب الهام ، وهو يخبر . وروى عن أبي حاتم قال : قال أبو زيد «أم» تكون زائدة لغة أهل اليمن (ص ٣٠١) . تكون «أم» بلغة بعض أهل اليمن بمعنى الألف واللام ، وفي الحديث ليس من أمبر امصيايم في امسفر ، قال أبو منصور والألف فيها ألف وصل تكتب ولا تظهر إذا وصلت ، ولاتقطع كما تقطع ألف «أم» التي قدمنا ذكرها ، وأنشد أبو عبيد:
- ذاك خليلي وذو يعاتبنى يرمى ورائي بامسيف وامسيلمه
- الآ تراه كيف وصل الميم بالواو فافهمه (ص ٣٠٢) .
- ١٨- البُطْمُ شجر الحبة الخضراء واحدته بَطْمَةٌ ، ويقال بالتشديد ، وأهل اليمن يسمونها الضرو (ص ٣١٧) .
- ١٩- وَجَحَمَتَا الإنسان عيناه وجحمتا الأسد عيناه بلغة حمير ، قال ابن سيده بلغة أهل اليمن خاصة (ص ٣٥٢) .
- ٢٠- قال أبو حنيفة الجُدَامِي ضرب من التمر باليمامة ، وهو بمنزلة الشهرير بالبصرة والتبى بالبحرين (ص ٣٥٣) .
- ٢١- يقال للذَّعْ جَذَعٌ وجَذَعَةٌ ، قال ابن الأثير ، وفي حديث علي كرم الله وجهه أسلم والله أبو بكر وأنا جذعمة ، وفي رواية ، أسلمت وأنا جذعمة ، أراد وأنا جذع أي حديث السن (ص ٣٥٧) .

الجزء الخامس عشر

- ١- وفي حديث عمر رضى الله عنه في الحرام كفارة يمين : هو أن يقول حراماً الله لا أفعل ، كما يقول يمين الله وهي لغة العقيليين (ص ١٨) .
- ٢- الأزهرى قال أبو تراب سمعت بعض بنى سليم يقول حمزه وحمظه أى عصره ، وجاء به فى باب الظاء والزأى (ص ٣٠) .
- ٣- الخزومة البقرة بلغة هذيل (ص ٦٦) .
- ٣- وقال أبو عمر الدمدم أصول الصليان (شجر) المحيل فى لغة بنى أسد وهو فى لغة بنى تميم الدندن ؛ الدندم النبت القديم المسود كاللدندن بلغة بنى أسد . قال ابن سيده ولولا أنه قال بلغة بنى أسد لجعلت ميم الدندم بدلاً من نون الدندن (ص ٩٩) .
- ٥- الرّحم القرابة والرّحم بالكسر مثله ، وذهب سيبويه إلى أن هذا مطرد فى كل مائتائه من حروف الحلق بكريّة (ص ١٢٤) .
- ٦- وزعم أبو زيد الأنصارى أن من أهل اليمن من يقول رَحِمْتَهُ رَحْمَةً بمعنى رحمته رحمة (ص ١٢٥) .
- ٧- فإن الخليل زعم أن ناساً من بكر بن وائل يقولون رَدْتُ ورَدَّتْ وكذلك مع جماعة المؤنث يقولون رَدْن ومَرْن ، يريدون : رددت ورددت وأرددن وامررن (ص ١٤٥) (وانظر ج ٤ ص ٢٢٠) .
- ٨- الزّعم تميمية والزّعم حجازية (ص ١٥٦) .
- ٩- الأحمر : بعير أريم وأسجم ، وهو الذى لا يرغو ، قال شمر الذى سمعت : بعير أَرَجَم بالزأى والجيم قال وليس بين الأريم والأزجم إلا تحويل الياء جيماً ، وهي لغة فى تميم معروفة ، قال أبو الهيثم والعرب تجعل الجيم مكان الياء لأن مخرجيهما من شجر الفم ، وشجر الفم الهواء وخرق الفم الذى بين الحنكين (ص ١٧٢) .
- ١٠- سَطْمَةُ البحر والحسب واسْطُمْتُهُ واسْطُمْتُه وسطه ومجتمعه والجمع الأسائم ، قال و تميم تقول أساتم نعاقب بين الطاء والتاء فيه (ص ١٧٨) .
- ١١- قال يونس : أهل العالية يقولون السّم والشّهْد يرفعون ، و تميم تفتح السّم

والشهد (ص ١٩٥) .

١٢- والحروف الصُّتْمُ التى ليست من حروف الحلق ، قال ابن سيده ولذلك معنَى ليس من غرض هذا الكتاب ، قال الجوهري الحروف الصِّمَّ ماعدا الذلق ، والصتيمية الصخرة الصلبة ، والأصْتَمَةُ معظمُ الشئ ، تميمية التاء فيها بدل من الطاء ، وفلان فى أصْتَمَةٍ قومه مثل أصْطَمْتهم ، التهذيب والأصاتم جمع الأصطمة بلغة تميم جمعوها بالتاء كراهة تفخيم أصاطم فردوا الطاء إلى التاء (ص ٢٢٥) .

١٣- الجوهري : الصَّوْمُ شجر فى لغة هذيل (ص ٢٤٤) .

١٤- وأهل الحجاز إذا أطلقوا اللفظ بالطعام عنوا به البرَّ خاصة (ص ٢٥٦) .

١٥- والعُظْمَةُ والعظامَةُ والعِظَامَةُ بالإتشديد والإِعْظَامَةُ والعِظِيمَةُ ثوب تعظم به المرأة عجيزتها ، وقال الفراء العظمة شئ تعظم به المرأة ردفها من مرفقة وغيرها ، وهذا فى كلام بنى أسد ، وغيرهم يقول العِظَامَةُ بكسر العين (ص ٣٠٤) .

١٦- وأما الذى ورد فى حديث عائشة ، رضى الله عنها : استأذنت النبي، صلى الله عليه وسلم ، فى دخول أبى القعيس عليها فقال ائذنى له فإنه عمج ، فإنه يريد عمك من الرضاعة فأبدل كاف الخطاب جيما ، وهى لغة قوم من اليمن ، قال الخطابى إنما جاء هذا من بعض النقلة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان لا يتكلم إلا باللغة العالية قال ابن الأثير ، وليس كذلك فإنه قد تكلم بكثير من لغات العرب ، منها قوله ليس من امبر امصيام فى امسفر ، وغير ذلك (ص ٣١٩) .

١٧- المَغْرَمُ المملوء بالماء وغيره هذلية ، أبو عبيد المَغْرَمُ من الحياض المملوء بالماء فى لغة هذيل ، الجوهري أفرمت الإناء ملأته بلغة هذيل (ص ٣٤٩) .

١٨- قَطَامٌ ، قَطَامٌ اسم امرأة وأهل الحجاز يبنونه على الكسر فى كل حال ، وأهل نجد يجرونه مجرى ما لا ينصرف ، وقد ذكرناه فى رقاش (ص ٣٩١) .

١٩- القَهْمُ القليل الأكل من مرضٍ أو غيره ، وقد أقهم عن الطعام وأقهى أى أمسك ، وصار لا يشتهيهِ وقهى لبعض بنى أسد (ص ٣٩٧) .

٢٠- الكَحْمُ لغة فى الكحب وهو الحَصْرِمُ واحدته كَحْمَةٌ يمانية (ص ٤١٢) .

٢١- الكَلِمَةُ لغة تميمية والكَلِمَةُ اللفظة حجازية ، والجمع فى لغة تميم الكَلَمُ (ص ٤٢٨) .

الجزء السادس عشر

- ١- أبو زيد قال تميم تقول تلثمت على الفم وغيرهم يقول تلثمت (ص ٥) .
- ٢- وتكون هلمًا بمعنى إلا، في قولك سألتك لما فعلت ، بمعنى إلا فعلت وهي لغة هذيل (ص ٢٧) .
- ٣- في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ، رأى على عبد الرحمن بن عوف، وضرباً من صفرة فقال : مهيم ؟ قال قد تزوجت امرأة من الأنصار على نواة من ذهب . فقال أولم ولو بشاة . أبو عبيد قوله مهيم كلمة يمانية معناه ما أمرك ؟ (ص ٤٢) .
- ٤- ونعمة الله بكسر النون منه ، وما أعطاه الله العبد ، والجمع نعم وأنعم ونعمات ونعمات الإتياع لأهل الحجاز (ص ٥٩) .
- ٥- وحكى سيبويه أن من العرب من يقول نعم الرجل في نعم . كأن أصله نعم ثم خفف بإسكان الكسرة على لغة بكر بن وائل (ص ٦٥) .
- ٦- أمرنا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بأمر فقلنا نعم ، فقال لاتقولوا نعم ، وقولوا نعم بكسر العين ، وقال بعض ولد الزبير ماكنت أسمع أشياخ قريش يقولون إلا نعم بكسر العين (ص ٦٩) .
- ٧- الهيصم حجر أملس يتخذ منه الحقاق وأكثر مايتكلم به بنو تميم ، وربما قلبت فيه الصاد زايا (ص ٩٦) .
- ٨- قال سيبويه هلم في لغة أهل الحجاز يكون للواحد والاثنين والجميع والذكر والأنثى بلفظ واحد ، وأهل نجد يصرفونها ؛ وأما في لغة تميم وأهل نجد فإنهم يجرونه مجرى قولك رد يقولون للواحد هلم كقولك رد وللاثنين هلمًا ، وقال الليث هلم كلمة دعوة إلى شيء الواحد والاثنان والجميع والتأنيث والتذكير سواء ، إلا في لغة بني سعد ، فإنهم يحملونه على تصريف الفعل تقول هلم هلمًا هلمًا ونحو ذلك (ص ١٠١، ١٠٢) .

- ٩- قال اللحياني وسمع الكسائي رجلا من بني عامر ، يقول إذا قيل لنا أبقي عندكم شيء قلنا همهمام وهمام يا هذا ، أي لم يبق شيء (ص ١٠٧) .
- ١٠- الوسمه أهل الحجاز يثقلونها (أي الوسمه) وغيرهم يخففها كلاهما شحر له ورق يختص به وقيل هو العظم (ص ١٢٣) .
- ١١- الإحانة والإنجانة والأجانة الأخيرة طائفة عن اللحياني المُرْكَنُ (التي تغسل فيها الثياب ونحوها) وأفصحها إحانة واحدة الأجاجين وهو بالفارسية إكانة (ص ١٤٥) .
- ١٢- قال أبو إسحاق والحجة في إن هذان لساحران بالتشديد والرفع أن أبا عبيدة روى عن أبي الخطاب أنه لغة كنانة يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد ، يقولون رأيت الزيدان ، وروى أهل الكوفة والكسائي والفراء أنها لغة لبني الحارث بن كعب (ص ١٧٢) .
- ١٣- وحكى ابن جني عن قطرب أن طيئا تقول هن فعلت فعلت ، يريدون إن ، فيبدلون (ص ١٧٨) .
- ١٤- فأبدل العين مكان الهمزة وهذه عنعنة تميم ، وهي مذكورة في موضعها (ص ١٧٨) (انظر ج ١٧ ص ١٦٨) .
- ١٥- للعرب في «أنا» لغات وأجودها أنك إذا وقفت عليها ، قلت «أنا» بوزن «عنا» ، وإذا مضيت عليها قلت «أن» فعلت ذلك بورن «عن» فعلت تحرك النون في الوصل ، ومن العرب من يقول أنا فعلت ذلك فيثبت الألف في الوصل ولاينون ، ومنهم من يكن النون ، وهي قليلة فيقول أن قلت ذلك ، وقضاعة تمد الألف الأول أن قلته (ص ١٧٩) .
- ١٦- البلسن العدس يمانية ، الجوهرى البلسن بالضم حب كالعدس وليس به (ص ٢٠٤) .
- ١٧- والباهين ضرب من التمر عن أبي حنيفة ، وقال مرة أخبرني بعض أعراب عمان أن بهجر نخلة يقال لها الباهين لايزال عليها السنة كلها طلع جديد (ص ٢٠٧) .

- ١٨- الفراء في قولهم «بل» بمعنى الاستدراك تقول بل والله لا آتيك وبين والله ، يجعلون اللام فيها نونا ، قال وهي لغة بني سعد ولغة كلب ، قال وسمعت الباهليين يقولون لابن بمعنى لابل (ص٢٠٦) .
- ١٩- المثبنة كيس تضع فيه المرأة مرآتها وأداتها يمانية (ص٢٢٦) .
- ٢٠- الجرين هو موضع تجفيف التمر ، وهو له كالبيدر للحنطة ، وقيل الجرين موضع البيدر بلغة أهل اليمن ، قال وعامتهم بكسر الجيم وجمعه جرن ، والجرين الطحن بلغة هذيل (ص٢٣٨ ، ٢٣٩) .
- ٢١- الجوهري حزنه لغة قریش وأحزنه لغة تميم وقد قرىء بهما (ص٢٦٦) .

الجزء السابع عشر

- ١- الدَّحَنَةُ الأرض المرتفعة عن أبي مالك يمانية (ص ٥) .
- ٢- الدَّرَان الثعلب وأهل الكوفة يسمون الأحمق دَرِينَةً (ص ١٠) .
- ٣- أبو حنيفة الدَّرَاقِنُ الخَوْخُ بلغة أهل الشام (ص ١١) .
- ٤- دَاشِنٌ معرب من الدَّشَنِ ، هو كلام عراقي وليس من كلام أهل البادية ، كأنهم يعنون به الثوب الجديد الذي لم يلبس أو الدار الجديدة التي لم تسكن ولا استعملت (ص ١١) .
- ٥- الدَّعْنُ سَعْفٌ يضم بعضه إلى بعض ، ويُرمَلُ بالشرط ، ويبسط عليه التمر أُرْدِيَّة (ص ١١) .
- ٦- قال أبو حنيفة قال أبو عمر «الدَّنْدِنُ، الصَّلِيَّانُ المُحِيلُ تميمية ثابتة (ص ١٧) .
- ٧- ورجل دائن ومدين ومديون الأخيرة تميمية ، ومَدَانٌ عليه الدِّينُ ، وقيل هو الذي عليه دين كثير ، الجوهرى رجل مديون كثر ما عليه من الدين (ص ٢٥) .
- ٨- وقيل الزَّرْجُونُ قصبان الكرم بلغة أهل الطائف وأهل الغور ، قال السيرافي هو فارسي معرب شبه لونها بلون الذهب ؛ لأن «زر» بالفارسية الذهب وجون اللون (ص ٥٧) .
- ٩- الزَّرْفَنُ ، الزَّرْفَنُ بلغة عمان كلاهما ظلة ، يتخذونها فوق سطوحهم تقيهم ومد البحر أو حره ونداه ، والرَّقْسُ عسيب من عشب النخل يضم بعضه إلى بعض شبهه بالحصير المرمول قيل هي لغة أردية (ص ٥٨) .
- ١٠- الزُّوَانُ حَبٌّ يكون في الحنطة تسميه أهل الشام الشَّيْلَمُ (ص ٦٢) .
- ١١- سَخَنُ الشَّيْءِ والماء بالصم ، سَخَنَ بالفتح ، سَخِنَ الأخيرة لغة بني عامر (ص ٦٦) .
- ١٢- السخاخينُ المَسَاحِي واحدُها سِخْنٌ بلغة عبدالقيس وهي مسحاة منعطفة (ص ٦٩) .

- ١٣- السُّعْنُ ظِلَّةٌ أو كَالظِّلَّةِ تَتَخَذُ فَوْقَ السُّطُوحِ جَدْرَ نَدَى الْوَمَدِ ، وَالْجَمْعُ سُّعُونٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ هِيَ عَمَانِيَّةٌ لِأَنَّ مِتْخَذِيهَا إِنَّمَا هُمْ أَهْلُ عَمَانَ (ص ٧١) وَانْظُرِ الزَّقْنَ) .
- ١٤- السُّكْنُ ، وَالْمِسْكُنُ ، الْمَسْكُنُ الْمَنْزِلُ وَالْبَيْتُ الْأَخِيرَةُ نَادِرَةٌ ، وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ مَسْكَنٌ بِالْفَتْحِ (ص ٧٤) .
- ١٥- حَكَى الْكِسَائِيُّ عَنْ بَعْضِ بَنَى أَسَدِ الْمُسْكِينِ بِفَتْحِ الْمِيمِ فِي الْمُسْكِينِ (ص ٨١) .
- ١٦- التَّسْمِينُ التَّبْرِيدُ طَائِفِيَّةٌ ، وَفِي حَدِيثِ الْحِجَازِ أَنَّهُ أَتَى بِسَمَكَةٍ مَشْوِيَةٍ فَقَالَ لِلَّذِي حَمَلَهَا سَمَهَا فَلَمْ يَدْرِ مَا يَرِيدُ ، فَقَالَ عَنبَسَةُ بْنُ سَعِيدٍ إِنَّهُ يَقُولُ لَكَ بَرْدُهَا قَلِيلًا (ص ٨٣) .
- ١٧- الشَّتْنُ النَّسِجُ وَالشَّاتِنُ وَالشَّتُونُ النَّاسِجُ يَقَالُ شَتْنُ الشَّاتِنِ ثَوْبَهُ أَيْ نَسَجَهُ وَهِيَ هَذَلِيَّةٌ (ص ٩٦) .
- ١٨- وَثُوبٌ مَصُونٌ عَلَى النَقْصِ ، مَصُونٌ عَلَى التَّمَامِ الْأَخِيرَةُ نَادِرَةٌ وَهِيَ تَمِيمِيَّةٌ (ص ١١٨) .
- ١٩- الضَّائِنُ خِلَافُ الْمَاعِزِ وَالْجَمْعُ الظَّانُ وَالضَّائِنُ مِثْلُ الْمَعَزِ ، وَالْمَعَزُ ، وَالضَّائِنُ ، وَالضَّائِنُ تَمِيمِيَّةٌ ، وَالضَّيْنُ وَالضَّيْنُ غَيْرُ مَهْمُورِينَ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ كُلُّهَا أَسْمَاءٌ لَجْمَعِهَا ، فَالضَّائِنُ كَالرَّكْبِ وَالظَّانُ كَالْقَعْدِ وَالضَّائِنُ كَالْغَزَى وَالْقَطْمِينَ ، وَالضَّائِنُ دَاخِلٌ عَلَى الضَّائِنِ أَتَبَعُوا الْكُسْرَ الْكُسْرَ ، يَطْرُدُ هَذَا فِي جَمِيعِ حُرُوفِ الْحَلْقِ إِذَا كَانَ الْمِثَالُ فَعَلًا أَوْ فَعِيلًا (ص ١١٩) .
- ٢٠- ضَدَّنْتُ الشَّيْءَ أَضَدَّنْتُهُ ضَدَّنْتُ سَهْلَتَهُ وَأَصْلَحْتُهُ ، لُغَةٌ يَمَانِيَّةٌ (ص ١٢٢) .
- ٢١- وَحَكَى اللَّحْيَانِيُّ عَنِ بَنِي سَلِيمٍ لَقَدْ ظَنَنْتُ ذَلِكَ أَيْ ظَنَنْتُ فَحَذَفُوا كَمَا حَذَفُوا ظَلَّتْ وَمَسَتْ وَمَا أَحْسَتْ ذَاكَ وَهِيَ سَلْمِيَّةٌ (ص ١٤٣) .
- ٢٢- قَالَ أَبُو تَرَابٍ سَمِعْتُ زَائِدَةَ الْبَكْرِيَّ يَقُولُ الْعَرَبُ تَدْعُو أُلُوَانَ الصُّوْفِ الْعَهْنَ غَيْرَ بَنِي جَعْفَرٍ فَإِنَّهُمْ يَدْعَوْنَهُ الْعَثْنَ بِالْثَاءِ (ص ١٤٨) .
- ٢٣- الْعِجَانُ بُلْغَةُ أَهْلِ الْيَمَنِ الْعَنْقُ . قَالَ شَاعِرُهُمْ يَرِثِي أُمَّهُ وَأَكَلَهَا الذُّنْبُ : فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ نِصْفِ عِجَانِهَا وَشَتْرَةٌ مِنْهَا وَاحِدَى الذَّوَانِبِ
- ٢٤- وَعَنْعَنَةُ تَمِيمٌ يُدَالِهُمُ الْعَيْنُ مِنَ الْهَمْزَةِ ، كَقَوْلِهِمْ «عَنْ» يَرِيدُونَ «أَنْ» ، قَالَ

الفراء لغة قريش ومن جاورهم «أن»، وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف «أن»، إذا كانت مفتوحة عينا يقولون أشهد عنك رسول الله، فإذا كسروا رجعوا إلي الألف، قال ابن الأثير كأنهم يعقلونه ليصح في أصواتهم . والعرب تقول لأنك ولعنك تقول ذلك بمعنى لعلك . ابن الأعرابي لعنك لبنى تميم، وينو تميم الله بن ثعلبة يقولون رعنك يريدون لعنك (ص ١٦٨) .

٢٥- ونخلة عوان طويلة أزدية، وقال أبو حنيفة العوانة النخلة في لغة أهل عمان، والعانة الحظ من الماء للأرض بلغة عبد القيس (ص ١٧٤) .

٢٦- وقيل العين والعين الجديد طائية، وكذلك قرية عين جديد طائية أيضاً (ص ١٧٩) .

٢٧- الغدان القضيبي الذي تعلق عليه الثياب يمانية، بلغة أهل اليمن (ص ١٨٧) .

٢٨- التهذيب قال أبو عمرو أتيت على إقان ذلك، وقطن ذلك، وغفان ذلك، قال والغين في بني كلاب (ص ١٩٠) .

٢٩- فتن الرجل بالمرأة وافتتن، وأهل الحجاز يقولون فتنته المرأة إذا ولهته وأحبها، وأهل نجد يقولون أفتنته (ص ١٩٤) .

قال الفراء أهل الحجاز يقولون «ما أنتم عليه بفاتنين»، وأهل نجد يقولون بمفتنين من أفتنت (ص ١٩٦) .

٣٠- قال أبو عبيد يتفككون أى يتندمون، اللحياني أزد شنوءة يقولون يتفكهون، وتميم تقول يتفككون (ص ٢٠١) .

٣١- ابن بزرج يقول بعض بني أسد ياقل أقبل، وياقل أقبلا، وياقل أقبلوا، وقالوا للمرأة فيمن قال ياقل أقبل ياقلان أقبلى، وبعض بني تميم يقول ياقلان أقبلى، وبعضهم يقول ياقلان أقبلى، قال سيبويه ليست ترخيما وإنما هي صيغة ارتجلت في باب النداء، وقد جاء في غير النداء وأنشد :

في لجة أمسك فلانا عن قل

(ص ٢٠٢) .

٣٢- ابن شميل أهل الحجاز يسمون القارورة «القرآن» الرء شديدة، وأهل اليمامة يسمونها الحنجورة (ص ٢٢٠) .

٣٣- والقينة الأمة المغنية تكون من التزَيْن لأنها كانت تَتَزَيْن ، وربما قالوا للمتزين من الرجال قينة ، قال وهي كلمة هذلية (ص ٢٣١) .

٣٤- روى الأزهرى قال سمعت محمد بن اسحق السعدى ، يقول سمعت على بن حرب الموصلى يقول : شىء لثني أي حلو بلغة أهل اليمن ، قال الأزهرى لم أسمع له غير على بن حرب وهو ثبت ، وفي حديث المبعث :

بُعْضُكُمْ عِنْدَنَا مَرٌّ مَذَاقُهُ وَيُبْغِضُنَا عِنْدَكُمْ يَاقَوْمَنَا لَثْنٌ

٣٥- أبو زيد عن الكلابيين أجمعين : هذا من لَدْنِه ، ضموا الدال وفتحوا اللام ، وكسروا النون (ص ٢٦٩) .

٣٦- ولغَن لغة في لعل وبعض بنى تميم يقول لَغْنُكَ بمعنى لعلك ، قال الفرزدق :

فقا يا صاحبي بنا لَغْنَا نرى العرصات أو أثر الخيام

(ص ٢٧٥) .

٣٧- قال أبو منصور سمعت رجلاً من أهل هَجَرَ يقول لآخر : مَشَنَ اللَّيْفَ أَي مَيَّشَهُ وانفَشَعَ للتلسين ، والتلسين ، أن يسوَّى الليف قطعة قطعة (ص ٢٩٥) .

٣٨- قال اللحياني فإذا لقيت النون ألف الوصف فمنهم من يخفض النون فيقول : من القوم ، ومن ابنك ، وحكى عن طيء وكلب ، اطلبوا من الرِّجْمَن . وبعضهم يفتح النون عند اللام وألف الوصل ، فيقول من القوم ومن ابنك . قال سيبويه قالوا من الله ومن الرسول ومن المؤمنين ففتحوا ، قال وزعموا أن ناساً يقولون من الله فيسكرونه ويجرونه على القياس ، يعنى أن الأصل في كل ذلك أن تكسر لالتقاء الساكنين ، قال وقد اختلف العرب في «من» إذا كان بعدها ألف وصل غير الألف واللام ، فكسره قوم على القياس ، وهي أكثر في كلامهم وهي الجيدة ، ولم يكسروا في ألف اللام لأنها مع ألف اللام أكثر ؛ إذ الألف واللام كثيرة في الكلام تدخل في كل اسم نكرة ، ففتحوا استخفافاً فصار «من ابنك ومن امرئ» ، قال وقد فتح قوم فصحاء فقالوا من ابنك فأجروها مجرى قولك من المسلمين .

قال أبو اسحاق ويجوز حذف النون من (من وعن) عند الألف واللام لالتقاء الساكنين وحذفها من (من) أكثر من حذفها من (عن) ؛ لأن دخول (من) في الكلام أكثر من دخول (عن) ، وأنشد :

أبلغ أبا دختلوس مألكة غير الذي قد يقال م الكذب
(ص ٣١١، ٣١٢) .

٣٩- والوهين بلغة من يلي مصر من العرب ، وفي التهذيب بلغة أهل مصر
الرجل يكون مع الأجير في العمل يحثه على العمل (ص ٣٤٧) .

٤٠- التابوه لغة في التابوت أنصارية (ص ٣٧٣) .

٤١- قال أبو زيد قال لي رجل من بني كلاب : ألقيتني في التَّوهِ يريد التيه
(ص ٣٧٥) .

٤٢- قيل الأجله الأجلح (الأصلح) في لغة بني سعد (ص ٣٧٨) .

٤٣- وفي بعض الحديث أن رجلا من «أسلم» عدا عليه ذئب ، فانتزع شاة من
غنمه فجهاه أي زيره ، وأراد «جهجه» فأبدل الهاء همزة لكثرة الهاءات
وقرب المخرج (ص ٣٧٩) .

٤٤- قال ابن سيده والشَّبهانُ والشُّبهانُ ضرب من العضاء ، وقيل هو الثمام يمانية
حكاها ابن دريد (ص ٤٠٠) .

٤٥- الأصمعي وغيره العَضْنَةُ السَّحْرُ بلغة قريش ، وهم يقولون للساحر عاضنة
(ص ٤١١) .

٤٦- والكرهاء أعلى النقرة هذلية أراد نقرة القفا (ص ٤٣٣) .

٤٧- الماء والماء والماء معروف ، وهمزة «ماء» منقلبة عن هاء ، بدلالة ضروب
تصاريفه فإن تصغيره «مويه» ، وجمع الماء أمواه ومياه ، ومن العرب من
يقول «ماءة» كبني تميم ، يعنون الركبة بمائها .

٤٨- النُّكَّة من الإبل التي ذهبت أصواتها من الضعف ، وهي لغة تميم في «النُّكَّة»
(ص ٤٤٨) .

٤٩- الوافه قِيم البيعة الذي يقوم على بيت النصارى ، الذي فيه صليبه، بلغة أهل
الجزيرة كالواهِف (ص ٤٥٩) .

الجزء الثامن عشر

- ١- وقرء «يوم يأت» بحذف الياء ، كما قالوا «لا أدري» وهى لغة هذيل . وأما قول قيس بن زهير العبسى :

ألم يأتنيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بنى زياد

فإنما أثبت الياء ولم يحذفها للجزم ضرورة وردّه إلى أصله ، قال المازنى ويجوز في الشعر أن تقول : «ريد يرميك» برفع الياء ، ويغزوك برفع الواو ، وهذا قاضى بالتنوين ، فتجرى الحرف المعتل مجرى الحرف الصحيح من جميع الوجوه فى الأسماء والأفعال جميعاً لأنه الأصل (ص ١٤) .

- ٢- وآتيته على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته وطاوعته ، والعامة تقول : وآتيته ، قال ولا تقل وآتيته إلى فى لغة لأهل اليمن (ص ١٨) .
- ٣- وتقول آخيته على مثال فاعلته ، قال ولغة طيء وأخيته (ص ٢٣) .
- ٤- وأهل الحجاز يقولون : آديته على أفعلته أى أعنته ، وآدانى السلطان عليه أعدانى ، واستأديته عليه استعديته ، وآديته عليه أعنته ، كله منه الأزهرى أهل الحجاز يقولون استأديت السلطان على فلان ، أى استعديت فآدانى عليه أى أعدانى وأعانى ص ٢٧ .
- ٥- وهو يآدائه أى يآزائه طائفة (ص ٢٨) .
- ٦- قال الأزهرى سمعت الفصيح من بنى كلاب يقول لماوى الإبل «مأواة» بالهاء (ص ٥٤) .
- ٧- قال ابن برى قال ابن خالويه : ليس أحد يقول بديت بمعنى بدأت إلا الأنصار ، والناس كلهم بديت وبدأت ، لما خففت الهمزة كسرت الدال ، فانقلبت الهمزة ياءً ، قال وليس من بنات الياء ، وأهل المدينة يقولون بدينا بمعنى بدأنا (ص ٧١) .
- ٨- وطيء تقول بقى ، بقت مكان بقى ، بقيت ، وكذلك أخواتها من المعتل ، قال البيولانى :

- نستوقدُ النَّبْلَ بالحصى وتصدُّ طَادُ نفوساً بُنْتُ على الكرم
أى بُنِيتْ ، ولغة طيِّ بَقَى بَقَى . وكذلك لغتهم فى كل باء انكسر
ماقبلها ، يجعلونها أَلْفَا نحو بَقَى وبَقوته بطرت إليه (ص ٨٨) .
- ٩- وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : وصلاة الليل فَبَتَّيتُ كيف يصلى
النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى رواية كراهة أن يرى أنى كنت أَبْقِيَه أى
أُنْظِرُه وأرصده ، اللحيانى بَقِيته وبَقوته نظرت إليه (ص ٨٨) .
- ١٠- قال الفراء والعرب تقول ، بل والله لا آتِيكَ ، وبنَ والله ، يجعلون اللام فيها
نوناً ، قال وهى لغة بنى سعد ولغة كلب ، قال وسمعت الباهليين يقولون :
«لَابَن» بمعنى «لأَبْل» (ص ٩٥ وانظر أيضاً ج ١٦ ص ٢٠٦) .
- ١١- وحكى الفارسى أن طيِّباً تقول «تَوَى» ، قال ابن سيده وأراه على ما حكاه
سيبويه من قولهم بقى ورضى ونهى (ص ١١٤) .
- ١٢- ويقال جرت عنك شاة أى قصت ، وبنو تميم يقولون أجزأت عنك شاة بالهمز
أى قصت (ص ١٩٥) .
- ١٣- وقيل أهل مكة يسمون «الحداء» حَدَرًا بالتشديد (ص ١٨٤) .
- ١٤- الحكاة العظاة بلغة أهل مكة ، وجمعها حُكى ، قال وقد يقال بغير همز ويجمع
على حُكَى مقصور (ص ٢٠٨) .
- ١٥- وحميت عليه غضبت والأموى يهمزه (ص ٢١٨) .
- ١٦- يقال حانة وجانوت وصاحبها حانى ، وفى حديث عمر أنه أحرق بيت
رويشد الثقفى ، وكان حانوتاً تعاقر فيه الخمر وتباع . وكانت العرب تسمى
بيوت الخمارين الحوانيت ، وأهل العراق يسمونها المواخير ، واحداها جانوت ،
ماخور (ص ٢٢٤) .
- ١٧- الحِياة نقيض الموت ، وحكى ابن جنى عن قطرب أن أهل اليمن يقولون
الحياة واو قبلها فتحة ، وكذلك يفعل أهل اليمن بكل ألف منقلبة عن واو
كالصلاة والزكاة (ص ٢٣٠) ، وقرأ أهل المدينة «ويحيا من حى عن بيته»
وغيرهم «من حى عن بيته» .
- ١٨- الأزهرى للعرب فى هذا الحرف لغتان ، يقال استَحَى الرجلُ يستَحى

- بفاء واحدة ، واستحفا فلان يستحى بباءن ، والقرآن نزل بهذه اللغة الثانية ، وقال الأخفش استحى بباء واحدة لغة تميم ، وببائين لغة أهل الحجاز ، وهو الأصل (ص ٢٣٨ ، ٢٣٩) .
- ١٩- والخشو الحشف من التمر ، وخشت النخلة تخشو خشوا أحشفت وهى لغة بلحرث بن كعب (ص ٢٥١) .
- ٢٠- والخوافى السعفات اللواتى يلين القلبة نجدية ، وهى فى لغة أهل الحجاز العوامن (ص ٢٥٩) .
- ٢١- قال اللحيانى تميم تقول : خلا فلان على اللين وعلى اللحم إذا لم يأكل معه شيئاً ولا خلطه به ، قال وكنانة وقيس يقولون : أخلى فلان على اللين واللحم (ص ٢٦١) .
- ٢٢- الخوى الثابت طائية (ص ٢٧١) .
- ٢٣- الدعوة والدعوة والمدعاة مادعوت إليه من طعام وشراب ، الكسر فى الدعوة لعدى بن الرباب ، وسائر العرب يفتحون (ص ٢٨٥) .
- ٢٤- الدعى المنسوب إلى غير أبيه ، وإنه لبين الدعوة والدعوة الفتح لعدى بن الرباب وسائر العرب تكسرها بخلاف ماتقدم فى الطعام (ص ٢٨٥) .
- ٢٥- ودفا الجريح دفوا أجهز عليه ، وفى الحديث أن قوماً من جهينة جاءوا بأسير إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يرعد من البرد فقال لهم اذهبوا به فادفوه يريد الدفاء من البرد وهى لغته عليه الصلاة والسلام ، فذهبوا به فقتلوه ، وإنما أراد أدفثوه من البرد ، فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص ٢٨٩) .
- ٢٦- ذأى العود والبقل يذأى ذأوا وذأباً وذئباً الأخيرة عن ابن الأعرابى ، قال يعقوب وهى حجازية دوى وذبل (ص ٣٠٨) .
- ٢٧- دوى العود والبقل بالفتح يدوى دباً ودوباً كلاهما ذيل ، وقال الليث لغة أهل بئينة ذأى العود (ص ٣١٨) .

الجزء التاسع عشر

١- يرى ، ترى ، نرى ، أرى ، قال وبها نزل القرآن ، إلا تيم الرّياب فإنهم يهزمون حروف المضارعة فتقول : هو يراى ، تراى ، نراى ، أراى ، (ص ٤، ٥) .

٢- قال الفراء : أهل المدينة يقرءونها «رياً» بغير همز ، قال وهو وجه جيد من رأيت لأنه مع آيات لسن مهموزات الأواخر (ص ٧) .

٣- الرُّئى ، الرُّئى الجنى يراه الإنسان ، وقال اللحيانى له رئى من الجن ورئى إذا كان يحبه ويؤلفه ، وتميم تقول رئى بكسر الهمزة والراء مثل سعيد ، بغير (ص ١٠) .

٤- الاختيار من اللغات «ريوة» لأنها أكثر اللغات ، والفتح لغة تميم (ص ١٩) .

٥- أرجى الأمر آخره لغة فى أرجاه ، وفى قراءة أهل المدينة «قالوا أرجيه وأخاه» (ص ٢٤) .

٦- قال أبو عمرو «الأرعوة» بلغة أزد شنوءة نير الفدان ، يحترث بها (ص ٤٢) .

٧- قال اللحيانى «الزنى» مقصور لغة أهل الحجاز ، قال تعالى : «ولا تقرّبوا الزنى» ، بالقصر ، والزناء ممدود لغة بنى تميم ، وفى الصحاح المد لأهل نجد (ص ٧٩) .

٨- الزهو ، الزهو النيسر إذا ظهرت فيه الحمرة ، وقيل إذا لون واحدته زهوة ، وقال أبو حنيفة زهو وهى لغة أهل الحجاز بالصم جمع زهو كقولك قوس ورد وأفراس ورد (ص ٨٢) .

٩- شمر : السدى ، السداء ممدود البلح لغة أهل المدينة ، وقيل السدى البلح الأخضر ، وقيل البلح الأخضر بشماريخه يمد ويقصر يمانية (ص ٩٨) .

١٠- سريت سرى ، مسرى ، وأسريت بمعنى إذا سرت ليلاً ، بالالف لغة أهل الحجاز ، وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً (ص ١٠٣) .

السرى مصدر سريت ، ويقال فى المصادر أن تجيئ على هذا البناء ؛ لأنه من أبنية الجمع ، يدل على صحة ذلك أن بعض العرب يؤنث السرى

- والهْدَى ، وهم بنو أسد توهما أنهما جمع سُرْية ، هُدْية (ص ١٠٤) .
- ١١- ابن الأعرابى : «سَفَّاءٌ إذا ضعف عقله ، و«سَقَّاءٌ إذا رُق شعْرُه وجلَّ لغة طيء (ص ١١١) .
- ١٢- قَالَ اللحيانى : اسْمُهُ فلان كلام العرب ، وحكى عن بنى عمرو ابن تميم اسْمه فلان بالضم ، وقال الضم فى قضاة كثير (ص ١٢٦) .
- ١٣- السُّهُوةُ الصخرة طائفة لا يسمون بذلك غير الصخرة (ص ١٣٣) .
- ١٤- قولهم «لايسوى» [بمعنى لايساوى] أحسبه لغة أهل الحجاز (ص ١٣٦) .
- ١٥- الشَّبَا الطُّحْلُب يمانية (ص ١٤٨) .
- ١٦- صَلَوْتُ الظَّهْرِ ضَرَبْتُ صَلَاةً (وسط الظهر) أو أَصْبَتُهُ بَشْيءٍ مِنْهُمْ ، أو غيره عن اللحيانى ، قال وهى هذلية (ص ٢٠٠) .
- ١٧- ابن الأعرابى أخفض الأعلام «الثَّايَّةُ» وهى بلغة بنى أسد بقدر قَعْدَةِ الرجل ، فإذا ارتفعت عن ذلك فهو «صَوَّةٌ» [حجر يكون علامة فى الطريق] (ص ٢٠٦) .
- ١٨- وَشِدَّ مَا ضَحَّيْتُ وَضَحَّوْتُ لِلشَّمْسِ (أى برزت) والريح وغيرهما ، وتميم تقول ضحوت للشَّمْسِ أَضْحُو (ص ٢١٣) .
- ١٩- قال أبو زيد الكلابيون يقولون «وبلدة ليس بها طُوَيْيٌّ» [أى ليس بها أحد، الواو قبل الهمزة ، وتميم تجعل الهمزة قبل الواو فتقول طُوَوِيٌّ] (ص ٢٢٦) .
- ٢٠- تقول سمعتُ طَفَى فلان أى صوته هذلية (ص ٢٣١) .
- ٢١- قال ابن جنى أعلم أن الظاء لا توجد فى كلام النبط ، فإذا وقعت فيه قلبوها طاء ولهذا قالوا البرطلة ، وإنما هو ابن الظلِّ وقالوا ناطور ، وإنما هو ناظور فاعول من نظر ينظر (ص ٢٥١) .
- ٢٢- عَتَّى بمعنى «حتى» هذلية وتقنية ، وقرأ بعضهم «عَتَّى حين» أى «حتى حين» ، وفى حديث عمر رضى الله عنه بلغه أن ابن مسعود رضى الله عنه يقرئ الناس «عَتَّى حين» يريد (حتى حين) فقال إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش . كل العرب يقولون (حتى) إلا هذيلًا وتقياً فإنهم يقولون (عتى) (ص ٢٥٣) .

- ٢٣- قال أبو عبيد، العدِّي، جماعة القوم بلغة هذيل (ص ٢٥٨) .
- ٢٤- ابن سيده عن أبي حنيفة: العَجْوَةُ بِالْحِجَازِ أُمُّ التَّمَرِ الَّذِي إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ كَالشَّهْرِيزِ بِالْبَصْرَةِ ، وَالتَّبِيُّ بِالْبَحْرَيْنِ وَالْجَذَامِيُّ بِالْيَمَامَةِ (ص ٢٥٧) .
- ٢٥- قال الليث وكلمة (شنعاء) من لغة أهل الشحر، يقولون: يَعْزَى مَاكَانَ كَذَا وَكَذَا كَمَا يَقُولُ نَحْنُ لِعَمْرَى لَقَدْ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَيَعْزِيكَ مَاكَانَ كَذَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ «عَزَى» كَأَنَّهَا كَلِمَةٌ يَتَلَطَّفُ بِهَا (ص ٢٨٣) .
- ٢٦- العَاسِي الشَّمْرَاخُ مِنْ شَمَارِيخِ الْعِذْقِ فِي لُغَةِ بَلْحَرَثَ بْنِ كَعْبٍ (ص ٢٨٣) .
- ٢٧- وحكى اللحياني عن الكسائي: «بِالْعَسِيِّ أَنْ يَفْعَلَ» قَالَ وَلَمْ أَسْمَعْهُمْ يَصْرِفُونَهَا مُصْرَفَ أَخَوَاتِهَا ، يَعْنِي بِأَخَوَاتِهَا حَرَى وَبِالْحَرَى وَمَا شَاكَلَهَا (ص ٢٨٥) [لهجة لبنانية بالعسي يجيئ] .
- ٢٨- أبو زيد: الْعِفْوَةُ أَفْتَاءُ الْحُمْرِ ، قَالَ وَلَا أَعْلَمُ فِي جَمِيعِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَآوَا مُتَحَرِّكَةً بَعْدَ حَرْفٍ مُتَحَرِّكٍ فِي آخِرِ الْبِنَاءِ غَيْرَ وَآوِ عِفْوَةٍ ، قَالَ وَهِيَ لُغَةٌ لَقَيْسٍ (ص ٣١١) .
- ٢٩- قال سيبويه أَلَفَ عَلًا زَيْدًا ثَوْبٌ مُنْقَلِبَةٌ مِنْ وَآوِ ، إِلَّا أَنَّهَا تَقْلُبُ مَعَ الْمُضْمَرِّ يَاءُ تَقُولُ عَلَيْكَ ، وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَتْرَكُهَا عَلَى حَالِهَا قَالَ الرَّاجِزُ :
- أَيُّ قُلُوصٍ رَاكِبٍ تَرَاهَا فَاشْدُدْ بِمِثْنَى حَقَبٍ حَقَّوَاهَا
نَادِيَةً وَنَادِيًا أَبَاهَا طَارَوْا عَلَاهُنْ فَطَرَهُ عَلَاهَا
- وَيَقَالُ هِيَ بِلُغَةِ بَلْحَرَثَ بْنِ كَعْبٍ (ص ٣٢٢) .
- ٣٠- الْعَوَاءُ النَّابُ مِنَ الْإِبِلِ مَمْدُودَةٌ ، وَقِيلَ هِيَ فِي لُغَةِ هَذِيلِ النَّابِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي لَا سَنَامَ لَهَا (ص ٣٤٦) .
- ٣١- وَعَبَّى شَعْرَهُ قَصَرَ مِنْهُ لُغَةٌ لِعَبْدِ الْقَيْسِ ، وَقَدْ تَكَلَّمَ بِهَا غَيْرُهُمْ (ص ٣٥١) .

الجزء العشرون

١- شمر : فجا بابه بفجوه إذا فتحه بلغة طى ، قال ابن سيده قاله أبو عمرو الشيباني ، وأنشد للطرماح :

كحبة السّاح فجا بابها صبح جلا خصرة أهدابها

(ص ٦) .

٢- وفي حديث هوازن لما انهزموا ، قالوا :

الرأى أن نُنخل في الحصن ما قدرنا عليه من «فاشيتنا» أى مواشينا (ص ١٤) .

٣- وفي حديث ابن عباس رضى الله عنه أنه سئل عن قتل المحرم الحيات فقال لا بأس بقتله «الافعو» ، ولا بأس بقتل «الحدو» فقلب الألف فيهما واوا فى لغته ، أراد الأفعى وهى لغة أهل الحجاز ، قال ابن الأثير ومنهم من يقلب الألف ياء فى الوقف ، وبعضهم يشدد الواو والياء وهمزتها زائدة (ص ١٨) .

٤- اللّباية المفازة بلغة حمير (ص ٢٨) .

٥- ابن سيده : القرية والقرية لغتان للمصر الجامع ، التهذيب المكسورة يمانية ، ومن ثم اجتمعوا فى جمعها على القرى ، فحملوها على لغة من يقول كسوة وكسأ ، وقيل هى القرية بفتح القاف لاغير ، قال وكسر القاف خطأ (ص ٣٧) .

٦- قال ابن السكيت ماكان من النعوت مثل العلّيا والدنيا ، فإنه يأتى بضم أوله وبالياء ؛ لأنهم يستقلون الواو مع ضمة أوله ، فليس فيه اختلاف إلا أن أهل الحجاز قالوا القصوى ، فأظهروا الواو ، وهو نادر وأخرجوه على القياس ؛ إذ سكن ما قبل الواو ، وتميم وغيرهم يقولون القصيا (ص ٤٤) .

٧- وفي حديث طلحة : فوضعوا اللّج على قفّى أى وضعوا السيف على قفّاي ، قال وهى لغة طائية يشددون ياء المتكلم (ص ٥٥) .

٨- تقول قلاه يقلّيه قلى وقلاء ويقلاه لغة طى (ص ٥٩) .

٩- أهل الحجاز يقولون : فنّوان ؛ وقيس : فنّوان ؛ وتميم وضبة : فنّيان ، قال ، وكتب تقول : فنّيان (ص ٦٧) .

١٠- الكَلْوَةُ لغة في الكَلْيَةِ لأهل اليمن ، قال ابن السكيت ولا تَقُلْ «كَلْوَةً» بكسر الكاف (ص ٩٤) .

١١- وقال ابن سيده و«لَقَّاهُ طَائِيَةً» ، أنشد اللحياني :

لم تَلَقْ خَيْلَ قَبْلَهَا مَا قَدَ لَقَّتْ مِنْ غَبٍّ هَاجِرَةٍ وَسِيرٍ مُمَادٍّ
(ص ١٢٠ سَاد = سير الليل كله) .

١٢- قال أهل التفسير اللَّهْوُ في لغة حضرموت «الولد» ، وقيل اللهو المرأة (ص ١٢٦) .

١٣- محَا الشيء يَمْحُوهُ ويمْحَاهُ مَحْوً ومَحِيّاً أَذْهَبَ أثره . الأزْهَرِي المَحْوُ لكل شيء يذهب أثره ، تقول أنا أمحوه وأمحاه ، وطئ محيته مَحِيّاً ومَحْوً (ص ١٣٩) .

١٤- المَرْيَةُ والمَرْيَةُ الشك ، قال ثعلب هما لغتان ، قَالَ وَأَمَّا مَرْيَةُ النَّاقَةِ فليس فيه إِلَّا الْكُسْرُ وَالضَّمُّ غَلَطٌ ، قال ابن برى يعنى مَسَحَ الصَّرْعَ لَتَدْرُ النَّاقَةُ ، قال وقال ابن دريد مريّة الناقة بالصم ، وهى اللغة العالية (ص ١٤٦) .

١٥- المَنَّا النكيل أو الميزان الذى يوزن به بفتح الميم مقصور ، يَكْتَبُ بِالْأَلْفِ وهو أَفْصَحُ مِنَ «الْمَن» والجمع أَمْنَاء ، وينو تميم يقولون هو «من» ومَنَانٌ وَأَمْنَانٌ (ص ١٦٧) .

١٦- نَطَأَ الرَّجُلُ سَكَتٌ وفى حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ يَمْلَى عَلَيَّ كِتَاباً وَأَنَا أَسْتَفْهِمُهُ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : أَنْطُ أَى أُسَكْتُ بِلُغَةِ حَمِيرٍ ، وَأَنْطَيْتُ لُغَةً فِى أُعْطَيْتُ وَقَدْ قَرِئْتُ إِنَّا أُعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، وَالْإِنْطَاءُ لُغَةٌ فِى الْإِعْطَاءِ ، وَقِيلَ الْإِنْطَاءُ الْإِعْطَاءُ بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ (ص ٢٠٦) .

وفى حديث الدعاء «لا مانع لما أنطيت ولا منطى لما منعت» ، قال هو لغة أهل اليمن .

١٧- النَّمَاءُ الزيادة نَمِيَ نُمِيّاً ونَمِيّاً ونَمَاءً زَادَ وكَثُرَ ، وربما قَالُوا يَنْمُو نُمُوّاً المحكم قال أبو عبيد قال الكسائي ، ولم أسمع ينمو بالواو إلا من أخوين من بنى سليم ، قال ثم سألت عنه جماعة بنى سليم فلم يعرفوه بالواو ، قال ابن سيده هذا قول أبى عبيد وأما يعقوب ، فقال ينمى وينمو فسوى بينهما (ص ٢١٥) .

١٨- قال ثعلب الهمداني بالتخفيف لغة أهل الحجاز والهمداني بالتثقيب على فعيل لغة بني تميم وسفلى قيس وقد قرئ بالوجهين جميعاً حتى يبلغ الهمداني محله، (ص ٢٣٤).

٢٠- قال الكسائي: «هي» أصلها أن تكون على ثلاثة أحرف مثل «أنت» فيقال «هي» فعلت ذلك، وقال هي لغة عمدة ومن في تلك الناحية، قال وغيرهم من العرب يخففها وهو المجتمع عليه فيقول: هي فعلت ذلك، قال اللحياني وحكى عن بعض بني أسيد وقيس هي فعلت ذلك بإسكان الياء (ص ٢٥٣)، (٢٥٤).

٢١- الأواغي مغاير الماء في الديار والمزارع واحدها آغية يخفف ويثقل (أي أواغي، أواغي، أواغي جمع آغية) وهو من كلام أهل السواد؛ لأن الهمزة والغين لا يجتمعان في بناء كلمة واحدة (ص ٢٧٨).

٢٢- في لغة بني سعد يقولون «ألاتا» يقول «ألا تجبي»؟ فيقول الآخر «بلى فاه» أي فانهب بنا (ص ٣١٣).

٢٣- قال أبو زيد ومن العرب من يقول «هؤلاء» قومك، ورأيت هؤلاء فينون ويكسر الهمزة، قال وهي لغة عقيل (ص ٣٢١).

٢٤- وأما «ذو» التي في لغة طي بمعنى الذي فحقها أن توصل بها المعارف تقول: أنا ذو عرفت وذو سمعت، وهذه امرأة ذو قالت، كذا يستوي فيه التثنية والجمع والتأنيث، قال بجير بن عتبة الطائي أحد بني بولان:

وإن مولاي ذو يعاتبني لا إحنة عنده ولا جرمة
ذاك خليلي وذو يعاتبني يرمى ورائي بامسهم وامسمة

(ص ٣٤٧، ٣٤٨).

٢٥- قال الأزهرى وسمعت غير واحد من العرب يقول: «كنا بموضع كذا وكذا مع ذى عمرو وكان ذو عمرو بالصمان» أي كنا مع عمرو ومعنا عمرو، و«ذو» كالصلة عندهم، وكذلك ذوى، قال وهو كثير في كلام قيس ومن جاورهم (ص ٣٤٩).

٢٦- فإن جعلتها حرف نفى لم تعملها في لغة أهل نجد لأنها دارة، وهو القياس، وأعملتها في لغة أهل الحجاز تشبيهاً بليس، تقول مازيد خارجاً وما هذا بشراً

(ص ٣٦٢) .

٢٧- الأصمعي ؛ متى في لغة هذيل قد تكون بمعنى 'من' ، وأنشد لأبي ذؤيب :
شرين بماء البحر ثم ترفعت
منى لجح خضر لهن نلجج
(ص ٣٦٤) .

٢٨- وأهل الحجاز يقولون : ها إنك زيد ؟ معناه إنك زيد ؟ في الاستفهام
ويقصرون فيقولون : هانك زيد ؟ في موضع أنك زيد ؟ (ص ٣٦٥) .

٢٩- قال الكسائي : 'هو' أصله أن يكون على ثلاثة أحرفٍ مثل 'أنت' ، فيقال ،
هو فعل ذلك ، قال ومن العرب من يخففه ، فيقول : هو فعل ذلك بإسكان الواو
(ص ٣٦٦) .

٣٠- أبو الهيثم : بنو أسد تسكن هي ، هو ، فيقولون هو زيد وهي هند ، كأنهم
حذفوا المتحرك ، وهي قالته وهو قاله وأنشد :

وكنّا إذا ما كان يوم كربةٍ فقد علموا أنّي وهو فتّيان

(ص ٣٦٨) .

٣١- قال الفراء : والعرب تقف على كل هاء مؤنث بالهاء إلا طيناً ، فإنهم يقفون
عليها بالتاء فيقولون : هذه أمت ، وجاريت ، طلحت (ص ٣٧٠) .

٣٢- قال الفراء : يقال اجلس ههنا أي قريباً ، وتنج ههنا أي تباعد أو ابعد قليلاً ،
قال و'ههنا' أيضاً نقوله قيس وتميم ، قال الأزهرى وسمعت جماعة من قيس
يقولون : اذهب ههنا بفتح الهاء ولم أسمعها بالكسر من أحد (ص ٣٧٤) .

ملحوظة :

تعلّم بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب ، وأما أهل الحجاز
وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون تعلّم ، والقرآن
عليها .

أهم المراجع العربفة

- ١- ابن الجزرى :
النشر فى القراءات العشر .
- ٢- سببوفه :
الكتاب .
- ٣- ابن ففش :
شرح المفصل .
- ٤- ابن جنى :
(أ) الخصائص .
(ب) سر صناعة الإعراب .
- ٥- السببوفى :
(أ) المزهر .
(ب) الإقتان فى علوم القرآن .
- ٦- ابن فارس :
الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها .
- ٧- اليازجى :
مجنة الرائد وشرعة الوارد فى المترادف والمتراد .
- ٨- ابن خلدون :
المقدمة والتارىخ .
- ٩- القلقشندى :
صبح الأعشى ، الجزء الأول .

- ١٠- ابن سيده :
المخصص .
- ١١- ابن منظور .
لسان العرب .
- ١٢- ابن الأنباري :
كتاب الأضداد .
- ١٣- مجلة مجمع اللغة العربية ، الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ،
١٤- جورج زيدان :
تاريخ آداب اللغة العربية .
- ١٥- حفنى ناصف :
مميزات لغات العرب .
- ١٦- الدسوقي :
تهذيب الألفاظ العامية .
- ١٧- الدكتور أحمد عيسى :
المحكم في أصول الكلمات العامية .
- ١٨- محمد فخر الدين :
مجموعة من الخراط التاريخية لبلاد العرب .
- ١٩- الدكتور أحمد أمين :
ضحى الإسلام .
- ٢٠- الدكتور على عبدالواحد وافي :
(أ) علم اللغة .
(ب) فقه اللغة .
- ٢١- عبدالوهاب حمودة :
القراءات واللهجات .

٢٢- يوهان فك : (ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار) .

العربية (دراسات في اللغة واللهجات والأساليب) .

٢٣- ابن حزم الأندلسي :

جمهرة أنساب العرب .

٢٤- برچشتراسر :

التطور النحوي .

٢٥- ابن دريد :

(أ) الاشتقاق .

(ب) الجمهرة .

٢٦- ابن فارس :

مقاييس اللغة .

٢٧- القرطبي :

الجامع لأحكام القرآن .

٢٨- الجاحظ :

البيان والتبيين .

٢٩- الباقلاني :

إعجاز القرآن .

٣٠- المبرد :

الكامل .

٣١- القالي :

الأمالي .

٣٢- ابن عبد ربه :

العقد الفريد .

- ٣٣- ابن هشام :
مغنى اللبيب .
- ٣٤- الحريري :
درة الغواص في أوهام الخواص .
- ٣٥- الرافعي :
تاريخ آداب العرب .
- ٣٦- أبو حيان :
البحر المحيط (تفسير) .
- ٣٧- الزمخشري :
(أ) الكشف (تفسير) .
(ب) المفصل وشرحه لابن يعيش .
- ٣٨- صحيح البخاري ، صحيح مسلم .
- ٣٩- ابن حجر العسقلاني :
الإصابة في تمييز الصحابة .
- ٤٠- أبو عمرو الداني :
التيسير .
- ٤١- ابن السكيت ، الأصمعي ، السجستاني :
ثلاثة كتب في الأضداد (نشرها أوغست هوفنر) .
- ٤٢- أبو البركات الأنباري .
الإنصاف في مسائل الخلاف .
- ٤٣- شهاب الدين الخفاجي :
شفاء الغليل .
- ٤٤- أبو زيد الأنصاري :
نوادير اللغة .
- ٤٥- البغدادى :
خزانة الأدب .

الفهرس

٥ مقدمة الطبعة الثالثة
٧ مقدمة الطبعة الثانية
٧ دراسة اللهجات وازدهارها في السنوات الست الأخيرة .
٩ مقدمة الطبعة الأولى
٩ الأسس العلمية التي تبنى عليها دراسة اللهجات العربية القديمة : ...
١٠ أولها : دراسة اللهجات الحديثة دراسة مستفيضة .
١٣ ثانيها : دراسة القراءات القرآنية .
١٣ ثالثها : جمع الروايات المتناثرة في بطون كتب اللغة والأدب .
٣٠-١٥	الفصل الأول : اللهجة

١- معنى اللهجة في الاصطلاح الحديث والقديم ،

١٥ ومعنى اللغة في الاصطلاحين .

٢- العناصر التي تتميز بها اللهجة ،

١٦ والعناصر التي تشترك بين لغات الفصيلة .

٢٠ - كيف تتكون اللهجات :

الانعزال بين بيئات الشعب الواحد ،

والصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات .

٢٣ ٣- وحدة النطق في البلاد العربية :

كيف يختلف النطق الحديث في البلاد العربية ،

ونواحي هذا الاختلاف . وسائل توحيد النطق .

٤٥-٣١ الفصل الثاني : اللغة واللهجات قبل الإسلام

٣١ ١- اللغة العربية قبل الإسلام :

غموض التاريخ السياسي والاجتماعي لجزيرة العرب
في العصر الجاهلي ، تشتت القبائل في اللهجات
وتوحيدها في اللغة الأدبية النموذجية . لم يكن
الأسلوب القرآني في متناول جميع العرب .
كيف نشأت اللغة النموذجية المشتركة قبل الإسلام ،
وخلوها من الصفات المحلية للهجات .

٢- كيف كان ينظر إلى اللهجات قبل الإسلام وبعده .

اعتزاز بعض المتأخرين بنصوص اللهجات ٤١

الفصل الثالث : بين القراءات واللهجات ٧١-٤٧

القراءات القرآنية واللهجات :

تفسير جديد لحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف .

الصفات المشهورة المشتركة بين القراءات واللهجات :

١- الفتح والإمالة ، موقف القراء من الإمالة ، أنواع

الإمالة الناشئة عن أصل يائي ، والناشئة عن

انسجام الحركات ٥٣

٢- الإدغام ، وتأثر الأصوات المتجاورة ببعضها ببعض .

موقف القراء من هذه الظاهرة ، وموقف القبائل منها ٦٢

٣- الهمز ، موقف القراء من تحقيق الهمز أو تسهيله ،

وموقف القبائل من هذا ٦٧

الفصل الرابع : عناصر اللهجات العربية وقبائلها .. ١٣٥-٧٣

١- ما يتعلق بالإعراب : الإعراب واللهجات . لم يكن الإعراب

مظهراً من مظاهر السليقة بين عامة العرب ٧٤

٢- ما يتعلق بالناحية الصوتية : اختلاف البدو

والحضر في الصفات الصوتية للنطق ٧٧

٧٨ ٣- عوامل التطور وعوامل الجمود بين القبائل البدوية :

- الانعزال بين الجيل الناشئ وجيل الكبار ،
- كثرة التنقل والرحيل ، قلة عناية البدو بالنطق ،
- تعصبهم للصفات التي تشتهر عنهم .
- موقف الحضر من هذه العوامل : قياس المركز
- الاجتماعي بمقاييس لغوية يساعد على الاستقرار في
- النطق ، ولكن استعداد الحضر لقبول كل جديد
- يساعد على التطور .

٨١ ٤- صفات اللهجة بين البدو والحضر :

- (١) الفتح عند الحضر والإمالة عند البدو .
- (٢) الكسر عند الحضر والضم عند البدو .
- (٣) الأصوات الرخوة عند الحضر ، ونظائرها
- الشديدة عند البدو .
- (٤) الأصوات المهموسة عند الحضر ،
- ونظائرها المجهورة عند البدو .
- (٥) التأثر بالأصوات المتجاورة ، وشيوعه عند البدو .
- (٦) الميل إلى الترقيق عند الحضر ، والتفخيم عند البدو .

١١٥ ٥ - السرعة في النطق :

١٢١ ٦- لهجات متناثرة :

- ثقله بهراء ، طمطمانيه حمير ، واستنطاء هذيل .
- موقف اللهجات من المثنى .
- صوت اللين المركب .
- اختلاف الثبر بين القبائل .

٧- أشهر القبائل في اللهجات العربية : ١٣٣

نطق العامة من العرب للنصوص الأدبية يعدّ سبباً هاماً في اختلاف الروايات لهذه النصوص .

الفصل الخامس : اللهجات : الدلالة والبنية ١٣٧-١٥٠

اختلاف الدلالة والبنية في اللهجات : ١٣٧

(١) أهمية البحث في دلالة الألفاظ عند القبائل المختلفة .

(٢) اختلاف البنية من أوضح ظواهر اللهجات .

(٣) رأى ابن جنى في اختلاف البنية .

(٤) بحث في أبواب الثلاثي مؤسس على

ماورد في القرآن الكريم من أفعال .

الفصل السادس : الترادف والاشتراك اللفظي والتضاد ١٥١-١٨٥

١- المترادفات : ١٥١

موقف علماء اللغة من الترادف في انقرن الثاني الهجري ،

اختلاف العلماء في الترادف في القرن الرابع الهجري ،

وأدلة أصحاب الترادف .

رأى المحدثين في الترادف ، وما يشترطونه لتحقيق فكرة الترادف .

الترادف في القرآن الكريم .

الذين أنكروا الترادف كانوا : إما من الإشتقاقيين

كابن دريد وابن فارس ، أو من الأدباء أو من النقاد

الذين يستشفون في الكلمات ظلالاً من المعاني .

الأسباب التي ولدت الترادف في اللغة العربية :

إيثار بعض القبائل لكلمات خاصة ، استعارة بعض

الكلمات من لهجة أخرى ، فقدان الوصفية ، تطور المعنى ،

المجازات المنسية .

الترادف الوهمي :

مجموعة كثيرة من الكلمات تطورت أصواتها في قبيلة
وبقيت على حالها عند أخرى ، وظنّها جامعو اللغة من
المترادفات .

١٦٦

٢- المشترك اللفظي :

(أ) أصحاب فكرة المشترك اللفظي ، والمعارضون الذين
ينكرونه .

(ب) المجازات المنسية :

مجازات الأدباء ومجازات جمهور الناس .

(ج) عوامل المشترك اللفظي :

الانتقال من الحقيقة إلى المجاز ، سوء فهم المعنى ،
الاقتراض ، تطور المعنى في بيئة دون أخرى ،
تطور الصورة :

(د) اضطراب المعاجم في رواية أمثلة من المشترك
اللفظي .

١٧٦

٣- التضاد :

(أ) مبالغة ابن الأنباري في كتابه «الأضداد» ،

بحث أمثلة مختارة من هذا الكتاب .

(ب) عوامل التضاد هي عوامل المشترك اللفظي مضافاً

إليها : التطير ، التهكم .

(ج) الإبهام في المعنى الأصلي وعمومه .

الفصل السابع : هل اللغة العربية لغة بدوية ؟ ١٨٧-١٩٤

الفصل الثامن : اللهجات الحديثة : ١٩٥-٢٠٨

١ - الناحية الصوتية : ١٩٥
(أ) لهجة القاهرة :

١ - خصائصها الصوتية ، واتجاهاتها في تطور الأصوات :
كالميل إلى الهمس ، وإيثار صيغة على أخرى .

٢ - أخطاء الأجيال الناشئة : قلب صوت إلى آخر نظير له ،
أو تغيير في ترتيب الأصوات ، أو قياس خاطئ .

٣ - تطور المعاني في لهجة القاهرة .

٢ - الناحية الدلالية : ٢٠٤
(ب) كلمة ختامية :

العناصر المشتركة بين اللهجات الحديثة تنتمي إلى لهجات
عربية قديمة .

ملاحق الكتاب ٢٧٩-٢٠٩

نصوص معجم لسان العرب الخاصة باللهجات
المنسوبة لقبائل معينة أو أمكنة محددة في شبه
الجزيرة العربية .

- الجزء الأول ٢١١
- الجزء الثاني ٢١٦
- الجزء الثالث ٢٢١
- الجزء الرابع ٢٢٦
- الجزء الخامس ٢٢٩
- الجزء السادس ٢٣١
- الجزء السابع ٢٣٤
- الجزء الثامن ٢٣٧
- الجزء التاسع ٢٤١

٢٤٥	- الجزء العاشر
٢٤٨	- الجزء الحادي عشر
٢٥١	- الجزء الثاني عشر
٢٥٤	- الجزء الثالث عشر
٢٥٨	- الجزء الرابع عشر
٢٦٠	- الجزء الخامس عشر
٢٦٢	- الجزء السادس عشر
٢٦٥	- الجزء السابع عشر
٢٧٠	- الجزء الثامن عشر
٢٧٣	- الجزء التاسع عشر
٢٧٦	- الجزء العشرون
٢٨٠	- المراجع العربية